سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(٦٨٩)

الجمع بين العلم والمال

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"""""""" صفحة رقم ١٢٦ """""""

والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر الكسب كسب الربا ، وشر المأكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقى في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أذرع ، والأمر إلى آخره ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسق وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يصم يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي - ثلاث مرات - أستغفر الله لي ولكم . روى عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ' زوجوا أبناءكم وبناتكم ' . قالوا : يا رسول الله ؛ هؤلاء أبناؤنا نزوج ، فكيف بناتنا ؟ فقال : ' حلوهن بالذهب والفضة ، وأجيدوا لهن الكسوة ، وأحسنوا إليهن النحلة يرغب فيهن ' . وقال عليه السلام : ' أربع من قواصم الظهر ؛ إمام تطيعه فيضلك ، وزوجة تأمنها فتخونك ، وجار إن رأى حسنة سترها وإن رأى قبيحة أذاعها ، وفقر يترك المرء متلددا ' . قال : ' ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا افتقر من اقتصد ' . وقال عليه السلام : ' اغد عالما أو متعلما أو مجيبا أو سائلا ، ولا تكن الخامس فتهلك ' . وقال : ' يا عجبا للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ' . ورووا أنه (صلى الله عليه وسلم) أوصى عليا أن يقضي دينه ، ولم يكن عليه دين ، إنما أمر أن يقضي عدته . وقال عليه السلام : ' العالم والمتعلم شريكان في الخير ، وسائر الناس لا خير فيهم ' . وقال : ' لا خير فيمن كان في أمتي ليس بعالم ولا متعلم ' . وقال : ' خير سليمان بين الملك **والمال والعلم** فاختار العلم ، فأعطى **العلم والمال** والملك باختياره العلم ' .". (١)

"المسألة العاشرة: في عموم نحو قوله تعالى: خذ من أموالهم صدقة...المسألة العاشرة: في عموم نحو قوله تعالى: خذ من أموهلم صدقةذهب الجمهور إلى أن قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ ١ يقتضي أخذ الصدقة من كل نوع من أنواع المال إلا أن يخص بدليل.قال الشافعي: مخرج هذه الآية عام في الأموال، وكان يحتمل أن يكون بعض الأموال دون بعض الأموال دون بعض، فدلت السنة على أن الزكاة في بعض المال دون بعض.قال في موضع آخر: ولولا دلالة السنة لكان ظاهر القرآن أن الأموال كلها سواء، وأن الزكاة في جميعها لا في بعضها دون بعض.واستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بأن هذه الصيغة من صيغ العموم؛ لأنها جمع مضاف، وقد تقدم أن ذلك من صيغ العموم، فيكون المعنى: خذ من كل واحد واحد من أموالهم صدقة؛ إذ معنى العموم ذلك، وهو المطلوب.وأجيب عن هذا: بمنع كون معنى العموم ذلك.وذهب الكرخي من الحنفية وبعض أهل الأصول، ورجحه ابن الحاجب إلى أنه لا يعم، بل إذا أخذ من جميع أموالهم صدقة واحدة فقد أخذ من أموالهم صدقة، وإلا لزم أخذ الصدقة من كل درهم ودينار ونحوهما، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله.وأجيب: بأن الجمع لتضعيف المفرد، والمفرد خصوصا مثل **المال والعلم**، والمال قد يراد به المفرد فيكون معنى الجمع المعرف باللام أو

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع ١٢٦/١

الإضافة جميع الأفراد وقد يراد به الجنس فيكون معناه جميع الأنواع بالأموال والعلوم والتعويل على القرائن، وقد دل العرف وانعقد الإجماع على أن المراد في مثل ﴿خذ من أموالهم﴾ الأنواع لا الأفراد، وأما ما يتوهم من أن معنى الجمع_____________١ جزء من الآية "١٠٣" من سورة التوبة.." (١)

"أنهم/كسروه على أفعال، فقالوا: أذواء (١) اليمن، لذى نواس، وذى رعين، وذى يزن، وغيرهم من ملوك اليمن.وإنما حكموا بأن المحذوف منه ياء، لأن العين إذا كانت واوا فالحكم بأن اللام ياء؛ لأن باب لويت أكثر من باب قوة (٢)، ولم يردوا لامه فى التثنية، كما لم يردوا لام «فم» فى تثنيته، فلم يقولوا: ذويا مال، كما قالوا: أبوا زيد، وأخوا عمرو، وحموا بكر، ولكنهم ردوا اللام فى تثنية مؤنثه، فقالوا: ذواتا مال، كما جاء فى التنزيل: ﴿ذواتا أفنان﴾ (٣) و ﴿ذواتي أكل خمط﴾ (٤) الأصل فيهما: ذويتا وذويتى، فعلتا، وفعلتى، فصارت الياء التى هى لام ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فقولك:ذواتا صيد، كقولك: فتاتا زيد، وكذلك ردوا لامه فى جمع التكسير، فى قولهم:أذواء اليمن، كما ردوا لامات أب وأخ وحم وهن وفم، فى قولهم: آباء وآخاء وأحماء وأهناء وأفواه.وإنما لزمت الإضافة هذا الاسم، لأنهم إنما صاغوه توصلا به إلى الوصف بأسماء الأجناس، **كالعلم والمال** والحسن، لما لم يستحسنوا أن يقولوا: رجل مال، وشيخ علم، وامرأة حسن، قالوا: ذو مال، وذو علم، وذات حسن، أى صاحب علم، وصاحبة حسن، فلزمت إضافته لهذا؛ لأنهم لو أفردوه فاتهم ما حاولوه وأرادوه، ولأن إفراده كان يسقط واوه لسكونها وسكون التنوين....____________(١) ذكرهم ابن الشجرى بالتفصيل فى المجلس السادس والعشرين.(٢) سيشرحه المصنف قريبا. وانظر له: الحلبيات ص ٩، وسر صناعة الإعراب ص ٥٧٨، واللسان (ذو) ٢٠/ ٣٤٤.(٣) سورة الرحمن ٤٨.(٤) سورة سبأ ١٦.." (٢)

"فقد يجد الإنسان الرمص في عينه فينحيه، ويبتلى بالبرص في بدنه فيخفيه.وقد أفسده أيضا ثقة صاحبه به، وتعويله عليه، وقلة سماعه من الناصح فيه، فعذر بازدهاء **المال والعلم** والاقتدار والأمر والكفاية وطاعة الرجال وتصديق الجلساء والعادة الغالبة، وهو في الأصل مجدود «١» لا جرم ليس يقله مكان دلالا وترفا، وعجبا وتيها وصلفا، واندراء»على الناس، وازدراء للصغار والكبار، وجبها للصادر والوارد، وفي الجملة، صغار آفاته كبيرة، وذنوبه جمة.ولكن الغنى رب غفورقال: ما صدر هذا البيت؟ فأنشدته الأبيات، وهي لعروة بن الورد في الجاهلية، وكان يقال له عروة الصعاليك، لأنه كان يؤويهم ويحسن إليهم كثيرا:ذريني للغني أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقيروأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخيرويقصيه الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغيروتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطيرقليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغنى رب غفورفقال: لا شك أن المسودة جامعة لهذا كله. قلت: تلك تجزع في دست كاغد فرعوني. فقال: أجد تحريرها، وعلي بها، ولك الضمان ألا يراها إنسان، ولا يدور بذكرها لسان. قلت: السمع والطاعة.قال: قد تركنا من حديثه ما هو أولى مما مر بنا، كيف بلاغته من بلاغة ابن العميد؟ وأين طريقته من طريقة ابن يوسف والصابي؟قلت: قد سألت جماعة عن هذا، فأجابني كل واحد بجواب إذا حكيته عنه كان ما يقال فيه ألصق، وكنت من الحكم عليه وله

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الشوكاني ٣١٦/١

(٢) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢٤٦/٢

أبعد.قال: صف هذا.قلت: سألت ابن عبيد الكاتب عن ابن عباد في كتابته فقال: يرتفع عن المتعلمين فيها بدرجة أو بدرجتين. وقال علي بن القاسم: هو مجنون الكلام، تارة تبدو لك منه بلاغة قس، وتارة يلقاك بعي باقل، تحريف كثير في المعاني، وإحالة في الوضع، وغلط في السجع، وشرود عن الطبع.وقال ابن المرزبان: هو كثير السرقة، سيئ الإنفاق، رديء القلب والعكس، فروقة «٣»." (١)

"الخالي من الآفات؟ فقال: أن يكون الدين طريا، والدولة مقبلة، والخصب عاما، والعلم مطلوبا، والحكمة مرغوبا فيها، والأخلاق طاهرة، والدعوة شاملة، والقلوب سليمة، والمعاملات متكافئة، والسياسة مغروسة، والبصائر متقاربة. فقال: هذا لو صح لارتفع الكون والفساد اللذان هما سوس هذا المكان، فقال: غلطت يا أبا عبد الله، فإن الكون والفساد يكونان على حاليهما، ولكنهما يقعان على معلومين للصورة الثابتة، والسياسة العامة الغالبة، كأنك لا تحس بالفرق بين زمان خصب الأرض وجدبها، وكما أن للأرض خصبا وجدبا، كذلك للأحوال والأديان وللدول صلاح وفساد، وإقبال وإدبار، وزيادة ونقصان، ولو كان ما خلته لازما، لكنا لا نتمنى ملكا عادلا، ولا سائسا فاضلا، ولا ناظرا ناظما، ولا مدبرا عالما، وكان هذا لا يعرف ولا يعهد، ويكون في عرض المحال كونه ووجدانه، وليس الأمر هكذا فقد عهدنا مثل أبي جعفر بسجستان، وكان والله بصيرا خبيرا، عالما حكيما، يقظا حذرا، يخلق ويفري، ويريش ويبري، ويكسو ويعري، ويمرض ويبري، وهكذا مثل أبي جعفر بالأمس ملك العراق في حزامته وصرامته وقيامه في جميع أموره، بنظره وتدبيره، وكذلك قد عهد الناس قبلنا مثل هذا، فلم يقع التعجب من شيء عليه مدار الليل والنهار.وقال ديوجانس لصاحب له: اطلب في حياتك هذه، العلم والمال، تملك بهما الناس، لأنك بين الخاصة والعامة، فالخاصة تعظمك لفضلك، والعامة تعظمك لمالك «١» .وقال أفلاطون: إن الله تعالى بقدر ما يعطي من الحكمة يمنع الرزق، قال أبو سليمان: لأن العلم والمال كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعية، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة، وهذان الحظان كالمتعاندين والضدين. قال: فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره، وأوله وآخره، وسفره وحضره، وشهادته ومغيبه من ذي المال، فإذا وهب له العلم فلا يأس على المال الذي يجزئ منه اليسير، ولا يلهب نفسه على فوته حسرة وأسفا، فالعلم مدبر، والمال مدبر، والعلم نفسي، والمال جسدي، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة، لأنك لا ترى عالما سرق علمه وترك فقيرا منه، وقد رأيت جماعة سرقت أموالهم ونهبت وأخذت، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم، والعلم يزكو على الإنفاق، ويصحب صاحبه على الإملاق، ويهدي إلى القناعة، ويسبل الستر على الفاقة، وما هكذا المال.." (٢)

"فتقديم المفعول: ﴿إياك﴾ في الموضعين قد أفاد القصر، أي: قصر العبادة والاستعانة عليه تعالى، وكذا القول في الآيات الكريمة: ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ (آل عمران: ١٥٨)، ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ (التوبة: ١٢٩)، ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٦٤

(٢) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٩٠

كنتم إياه تعبدون﴾ (البقرة: ١٧٢). فتقديم المعمولات: ﴿إلى الله﴾، و ﴿عليه﴾، و ﴿إياه﴾، في الآيات الكريمة السابقة قد أفاد الاختصاص.ومن ذلك أيضا قول شوقي:بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلالفتقديم الجار والمجرور بالعلم أفاد قصر بناء الملك على كونه بالعلم والمال.ومثل ذلك قول الآخر:إذا شئت يوما أن تسود عشيرة ... فبالحلم سد لا بالتسرع والشتموقول غيره:على الأخلاق خطوا الملك وابنوا ... فليس وراءها للعز ركنفقد قصر السيادة في البيت الأول على الحلم، بحيث لا تتعداه إلى التسرع والشتم، وقصر بناء الممالك وخطها في البيت الثاني على الأخلاق فليس وراءها للعز ركن. والعامل المقدر في كل ما ذكرنا كالمذكور. وقولك: زيدا عرفته، إن قدرت المفسر بعد المنصوب أي: زيدا عرفته: أفاد الاختصاص. وإن قدر قبله أي: عرفت زيدا عرفته، أفاد: التوكيد وتقوية الحكم.أما قول الله تعالى: "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى" (فصلت: ١٧). في قراءة من قرأ بنصب "ثمود"، فلا يفيد إلا الاختصاص؛ لأنه لا يتأتى أن يقدر المفسر." (١)

"السماء تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها، فإن زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير، فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وتروح وليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها.[٧٩]- في الخبر أن لقمان نودي: إني أجعلك خليفة في الأرض، فقال: إن اختارني ربي فسمعا وطاعة، وإن خيرني اخترت العافية، فأولاه الله الحكمة وصرفت الخلافة إلى داود عليه السلام، فكان إذا رآه داود يقول:وقيت الفتنة يا لقمان.[٨٠]- وقال ابن عباس: خير سليمان بن داود بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطي المال والملك معه.____________[٧٩] عرائس المجالس: ٣٤٩، ومختار الحكم: ٢٦٢، ومحاضرات الراغب ١: ١٧٤.[٨٠] نثر الدر ١: ١٧٥، والحكمة الخالدة: ١٣٢، والشريشي ٥: ١٣٠، ١٣١، والنهج المسلوك:٥/أ.." (٢)

"واستعهدناه بعدم اظهاره اغريناه باذاعته لأن كل ممنوع مرغوب. ويفسر الجاحظ رغبة الناس فيما منعوا منه بالطبع الذي يفسر به كل شيء لأنه مبدأه الفلسفي الاساسي. انهم مطبوعون على شهوات عديدة ترغب في الارتواء والاشباع.فاذا منعت من الحصول على ما يشبعها او يرويها تعلقت به وفتشت عنه ورغبت فيه. فاذا حصلت على مطلوبها واشبعت حاجتها قل قدره عندها وهان عليها وصدفت عنه. هذا هو حال الجائع والشبعان والمحروم من الجماع والمغموس فيه. ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى المال والعلم، لأن المال يتخذه البعض لا لقضاء الحاجة بل لقمع الحرص والحرص لا حد له. ولأن العلم لا حد له ولا نهاية وكلما ازداد المرء طلبا ازداد فيه رغبة. ويرى الجاحظ في موقف الناس من المال والعلم خروجا على العقل لأن النهم هو تجاوز القدر.ان اكثر الامور عرضة لافشاء السر الخبر الرائع والخطب الجليل مثل اسرار الاديان وعقائدها واخبار الملوك والعظماء.وافشاء السر يمت بصلة الى الغيبة، والغيبة رذيلة خلقية كريهة لانها «خطة جور في الحكم، وسقوط في الهمة، وسخافة في الرأي، ودناءة في القيمة، وكلفة عريضة، وحسد وتعاسة قد استحوذت على هذا العالم وغلبت على طبائعه وتوكدت لسوء العادة عندهم ولعلو الشر على الخير وكثرة الدغل والنغل والحسد في القلوب ... » .ويحض

---

(١) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٣٧

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦١/١

الجاحظ على العدل في الاحكام لانه لا شيء «احلى مذاقا من العدل، ولا اروح على القلوب من الانصاف، ولا امر من الظلم ولا ابشع من الجور» .واسباب الظلم هي الشره والحرص المركب في اخلاق الناس ومن ثم." (١)

"فضلا عن ملابسته، إلى وقت عودة السبب الأول.فإذا كانت الطبائع تتشابه، ولكل حاسة قوة، فإذا امتلأت تلك القوة من محسوسها لم تجد لها وراءه طعما ولا ريحا، وعاد عليها الضرر. فبعض النظر يعمى، والصوت الشديد يصم، والرائحة المنتنة تبطل المشم، والأطعمة الحارة المحرقة تبطل حاسة اللسان.وتتطرف كل واحدة منها، فبين الطيب عند من بعد عهده [به] ؛، والجماع والسماع، وبين من هو مغموس فيه بون بعيد جدا، في الحلاوة وحسن الموقع.كل ذلك ما لم يأت **المال والعلم**، فإنه كلما كثر كان أشهى وأعجب، لأن قصد الناس له ليس لطلب مقدار الحاجة وسد الخلة كما يريده أهل القناعة والزهادة، وإنما يراد لقمع الحرص، والحرص لا حد له ولا نهاية، لأنه سعى لا لحاجة، وإيضاع لا لبغية.وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن لا بن آدم واديين من ذهب لا بتغى إليهما ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» .وقال بعض الحكماء:من كان لا يغنى بما يغنيه ... فكل ما في الأرض لا يغنيهقال الله عز وجل: وتحبون المال حبا جما.. وقال: وإنه لحب الخير لشديد. وقال الشاعر:والناس إن شبعت بطونهم ... فعيونهم في ذاك لا تشبعفأما الحديث الذي جاء: «لا يشبع أربع من أربعة: أرض من مطر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم» .. فإن العين لا تشبع في الجملة كما لا يشبع الخيشوم من الاستنشاق. فأما من صنف مما يراه دون." (٢)

"هي ولا شيء مما فيها على حال واحدة، وإنما الثبوت الدائم لدار القرار. فالسآمة تلحقها في محبوبها، كما يصيب المنتهي من الطعام والشراب والباه، فإنه ليس شيء أبغض إلى من يتناهى فيه إلى غايته، من النظر إلى ناحيته، فضلا عن ملابسته، إلى وقت عودة السبب الأول.فإذا كانت الطبائع تتشابه، ولكل حاسة قوة، فإذا امتلأت تلك القوة من محسوسها لم تجد لها وراءه طعما ولا ريحا، وعاد عليها الضرر. فبعض النظر يعمى، والصوت الشديد يصم، والرائحة المنتنة تبطل المشم، والأطعمة الحارة المحرقة تبطل حاسة اللسان.وتتطرف كل واحدة منها؛ فبين الطيب عند من بعد عهده به، والجماع والسماع، وبين من هو مغموس فيه بون بعيد جدا، في الحلاوة وحسن الموقع.كل ذلك ما لم يأت **المال والعلم**؛ فإنه كلما كثر كان أشهى وأعجب؛ لأن قصد الناس له ليس لطلب مقدار الحاجة وسد الخلية كما يريده أهل القناعة والزهادة، وإنما يراد لقمع الحرص، والحرص لا حد له ولا نهاية؛ لأنه سعى لا لحاجة، وإيضاع لا لبغية.وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ".وقال بعض الحكماء:من كان لا يغنى بما يغنيه ... فكل ما في الأرض لا يغنيه." (٣)

"تزهي بها مثل ما تزهي لسيدنا ... مؤيد الدولة المأمون طارقهاهذي المعالي التي اغتص الزمان بها ... وافتك منسوقة والله ناسقهاإن الغمائم قد آلت معاهدة ... لا زايلتها ولا زالت تعانقهالأرضها كلما جادت مواهبها ... وفي ديار معاديها

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/١٣

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٩٩

(٣) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٥٦/١

صواعقهاومنها قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد ابتداؤها:دار على العز والتأييد مبناها ... وللمكارم والعلياء مغناهادار تباهي به الدنيا وساكنها ... هذا وكم كانت الدنيا تمناهافاليمن أقبل مقرونا بيمناها ... واليسر أصبح مقرونا بيسراهامن فوقها شرفات طال أدناها ... يد الثريا فقل لي كيف أقصاها؟كأنها غلمة مصطفة لبست ... بيض الغلايل أمثالا وأشباهاانظر إلى القبة الغبراء الغراء مذهبة ...كأنما الشمس أعطتها محياهاتلك الكنائس قد أصبحن رايقة ... مثل الأوانس تلقانا ونلقاهافالربع بالمجد لا بالصحن متسع ... والبهو لا بالحلي بل بالعلى باهالما بنى الناس في دنياك دورهم ... بنيت في دارك الغراء دنياهاولو رضيت مكان البسط أعيننا ... لم تبق عين لنا إلا فرشناهاوهذه وزراء الملك قاطبة ... ببابك لم تزل ما بينها شاهافأنت أرفعها مجدا وأسعدها ... جدا وأجودها كفا وأكفاهاوأنت ادبها وأنت آكبها ... وأنت سيدها وأنت مولاهاكسوتني من لباس العز أشرفه ... **المال والعلم** والسلطان والجاهاولست أقرب إلا بالولاء وإن ... كانت لنفسي من علياك قرباهاوقصيدة ابن الطيب الكاتب أولهاودار ترى الدنيا عليها مدارها ... يجوز السماء أرضها ودیارهابناها ابن عباد ليعرض همه ... على همم إشراقهن اقتصارها." (١)

"(إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا)(فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا)(أبيا بوجهك عن باخل ... تراه بما في يديه أبيا)(فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا)ومنه:(وفي قبض كف الطفل عند ولاده ... دليل على الحرص المركب في الحي)(وفي بسطها عند الممات مواعظ ... ألا فانظروني قد خرجت بلا شي)حركة النبض عند الحكماء من مقولة الأين، وعند بعضهم من مقولة الوضع، وعند بعضهم من مقولة الكم، والقول الأوسط أوسط الأقوال.ولله در أبو نواس:(حامل الهوى تعب ... يستخفه الطرب)(لا تلمه في وله ... ليس ما به لعب)(كلما انقضى سبب ... منك جاءه سبب)(تعجبين من سقمي ... صحتي هي العجب)قيل لبعض الحكماء: أتدخر المال وأنت ابن سبعين سنة، قال: يموت الرجل فيخلف مالا لعدوه خير من أن يحتاج في حياته لصديقه.من كلامهم: إذا أثريت فكل رجل رجلك، وإذا افتقرت أنكرك أهلك.قيل لأفلاطون: لم لا يجتمع **العلم والمال؟** فقال: لعز الكمال.كان سقراط فقيرا، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال أيها الملك، لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي.عن محمد بن الحنفية قال: من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا في عينيه.قال بعض الحكماء: لا تصحب من هو أغنى منك، فإنك إن ساويته في الإنفاق أضر بك، وإن زاد عليك استذلك.لما مات حاتم أراد أخوه أن يتشبه به، فقالت أمه: لا تتعبن، فلن تناله، قال: وما." (٢)

"طبقات، شعب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ، وحبل، وفصيلة، قالوا، مضر:شعب، وكنانة: قبيلة، وقريش: عمارة، وفهر: بطن، وقصي: فخذ، وهاشم:حبل، وآل العباس: فصيلة، والشعب والحي بمعنى.قال أهل النسب: فالشعب الجماهير والجراثيم التي تفرقت منها العرب، ثم تفرقت القبائل من الشعوب، ثم تفرقت العمائر من القبائل، ثم تفرقت البطون من العمائر، ثم تفرقت الأفخاذ من البطون، ثم تفرقت الفصائل من الأفخاذ، وليس دون الفصائل شيء.في بعض المجاميع:

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٥٢/١

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٢٦٨/٢

اجتمع أبو حامد الغزالي، بأبي الفرج الفقيه الصقلي، وكان قد رد عليه ونسبه إلى الزندقة، قال له: يا هذا، في هذه السنة أتحاكم أنا وأنت بين يدي الله تعالى، فماتا فيها جميعا.بعضهم [١] : [الكامل]وإذا رأيت عجيبة فاصبر لها ... فالدهر قد يأتي بما هو أعجبفلقد أراني والأسود تخافني ... فأخافني من بعد ذاك الثعلبآخر: [الطويل]لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي ... مصائب هذا الدهر أم كيف يحذرنرى الشيء مما نتقي فنخافه ... وما لا نرى مما يقي الله أكثرفي بعض المجاميع قال إفلاطون: إن الله تعالى بقدر ما يعطي من الحكمة يمنع من الرزق. قال صاحب المجموع، قال أبو سليمان: لأن **العلم والمال** كضرتين، قلما يجتمعان ويصطحبان./بعضهم: [الطويل]وللناس في الوسطى خلاف وحصره ... بسبعة أقوال يضاف لها عشرفخذ خمسة منها لإفراد عشرها ... وسادس كل الخمس قول له ذكر [٢]وبالجمعة الغراء سبع وثامن ... صلاة جماعات وتاسعها الوتروعاشرها مكتوبة لا يعينها ... وقيل هي الصبح السنية والعصروقيل هي الصبح السنية والعشا ... وقيل هي الأضحى وقيل هي الفطروخامس عشر جمعة في محلها ... وفي سائر الأيام أيضا هي الظهروعدت صلاة الخوف سادس عشرها ... وإن صح منقول الضحى ثبت الحصر____________[١] البيتان في الدر الفريد ٥/٢١٢ دو عزو.[٢] في ب، ل: لإفراد عدها.." (١)

"رؤوس الصديقين حب الرياسة، وأعلاها اللذات العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وهذا أخذه من كلام الغزالي قال الغزالي: والعقلية هي أقلها وجودا وأشرفها، أما قلتها فلأن الحكمة لا يستلذ بها إلا الحكيم وقصور الرضيع عن إدراك لذة العسل والطيور السمان والحلاوة لا يدل على أنها ليست بلذيذة واستطابته للبن لا يدل على أنه أطيب الأشياء والناس كلهم إلا النادر مقيدون في صبأ الجهل غير بالغين في رتبة العلوم، فلذلك لا يستلذون:ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا.وأما شروطها: فلأنها لازمة لا تزول ودائمة لا تمل وثمرتها في الدار الآخرة، والقادر على الشريف إذا رضي بالخسيس الفاني كان مصابا في عقله مجزوما بشقاوته أقل أمر فيه أن الفضائل لا سيما العلم والعمل لا يحتاجان إلى أعوان وحفظة بخلاف المال فإن العلم يحرسك وأنت تحرس **المال والعلم** يزيد بالإنفاق والمال ينقص به والعلم نافع في كل حال والمال تارة يجذب إلى الرذيلة، ولذلك ذمه الله في القرآن في مواضع وإن سمي خيرا في مواضع وذكر الشيخ عز الدين في (القواعد) قريبا منه فقال: هذا مختص بدار المحنة وأما دار الكرامة وهي الجنة فإن اللذة تحصل." (٢)

"حاشه الماء فهو صيد كريم ... ليت بالنيل يوم يسقط غيضاشيدوا المال، والعلوم قليل ... أنقذوه **بالمال والعلم** نقضا." (٣)

"فيختلف الترتيب – للأسباب الآتية:(أ) إما لأمر معنوي – نحو: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) (فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله)(ب) وإما لأمر لفظي – نحو: (ولقد جاءهم من ربهم

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٣٩١

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع الزركشي، بدر الدين ٤/٩١٢

(٣) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٢٤٦

الهدى)فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل، لأنها مبنية على الألف(جـ) وإما للأهمية – نحو: قتل الخارجي فلانوأما تقديم الفضلات على بعض: فقد يكون(١) للأصالة في التقدم لفظا – نحو: حسبت الهلال طالعا، فان الهلال وإن كان مفعولا في الحال، لكنه مبتدأ في الأصل أو للأصالة في التقدم معنى – وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير: وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة (١)(٢) أو لإخلال في تأخيره – نحو: مررت راكبا بفلان – فلو أخرت الحال لتوهم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فانها حال من الفاعل والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها.تمرينلبيان المتقدم من ركني الجملة، ومتعلقات الفعل، وسبب تقدمه١– قال الله تعالى: (فلله الآخرة والأولى) .٢– وكتب ابن المعتز لأحد خلانه: –قلبي نجى ذكرك، ولساني خادم شكرك.٣– وقال الله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .٤– كل حي وإن أقام كنوح في أمان من الردى سوف يفنى٥– أنشا يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا٦– منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.٧– عباس مولاي أهداني مظلته يظلل الله عباسا ويرعاهاالجملة ... نوع المتقدم ... سبب تقدمه١– لله الآخرة والأولى ... خبر ... تخصيص الخبر بالمبتدأ٢– قلبي. ولساني ... مبتدأ ... أنه الأصل٣– الله يبسط الرزق ... مبتدأ ... تخصيصه الخبر٤– كل حي وان أقام ... مبتدأ ... إفادة التعميم٥–أبعد شيبي يبغى ... ظرف ... موضع الانكار٦– منهومان لا يشبعان ... مبتدأ ... التشويق إلى المبتدأ٧– عباس مولاي ... مبتدأ ... التعظيم٨ – أنا أكرمتك، وفي منزلي آويتك٩– لك عندي وعند صحبي أياد سوف تبقى وكل شيء سيفنى١٠ – ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنوقال المرحوم حافظ إبراهيم بك في وصف الشمس: –١١– إنما الشمس وما في آيها من معان لمعت للعارفينحكمة بالغة قد مثلت قدرة الله لقوم غافلين١٢– فمثل علاك لم أر في المعالي ولا تاجا كتاجك في الجلالتمرين آخر١– لشرح معنى التخصيص: واذكر مواضعه في باب التقديم.٢– أي أجزاء الجملة يفيد تقديمه، التبرك، أو التلذذ، أو التعظيم؟ ومتى يفيد ذلك؟٣– ما هي متعلقات الفعل؟ وما أسباب تقديمها عليه؟٤– كيف تشوق كل من المبتدأ والخبر؟ ومتى يفيد المبتدأ التعميمالجملة ... نوع المتقدم ... سبب تقدمه٨– أنا أكرمتك ... مبتدأ ... تخصيصه بالخبر الفعليوفي منزلي آويتك ... جار ومجرور ... تخصيصه بالفعلومطمئنا قلت لك ... حال ... موضع العناية والاهتمامنجاتك تحققت ... مبتدأ ... تعجيل المسرةلك جرائم ... خبر ... التنبيه على أنه خبر لا صفة٩– لك عندي ... مبتدأ ... للتنبيه على أنه خبر لا صفةكل شيء سيفنى ... مبتدأ ... افادة التعميم١٠– ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... مبتدأ ... نفي العموم١١– الشمس وما في آيها حكمة ... مفعول ... الشويق للخبر١٢– مثل علاك لم أر ... تخصيص المفعول بالفعلإذا قدمته؟ ومتى يدل على التخصيص بالخبر؟٥– ميز المبتدأ الذي جرى في التقديم على أصله من الذي تقدم زائدا؟ ؟تدريبالعبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعضأذكر المتقدم – وبين نوعه في كل عبارة:١– إثنان لا يستغنى عنهما إنسان: العلم والمال.٢– قال صلى الله عليه وسلم: إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم.٣– إليك على بعد المزار وصعبه توازع شوق ما ترد عوازبه.٤– قال تعالى: «فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»٥– قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.٦– وقال تعالى «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون» .٧– إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شيء

من الأمرتمرينعين المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل، واذكر سبب تقدمه١- قال الله تعالى: «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .٢- الدنيا دار عناء ليس لأحد فيها البقاء، وغدا تسر أو تساء٣- ألقت مقاليدها الدنيا إلى رجل ما زال وقفا عليه الجود والكرم٤- وقال الله تعالى: «وله من في السموات والأرض، كل له قانتون» .٥- وقال الله تعالى: «قالوا الآن جئت بالحق» .٦- بأي لفظ تقول الشعر زعنفة ... يجوز عندك لاعرب ولا عجم.٧- ولأحمد بن يوسف: بالأقلام تساس الأقاليم٨- أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله بقلبه خالصا.٩- قال الله تعالى: «إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير» .١٠ - رأى الرسول رجلا نذر أن يمشي فقال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى١١- يساورني طول الدجى وأساوره ملال وطرفي ساهد الليل ساهرهإختبار للذاكراةكون أربع جمل: تقدم في أولاها (الخبر) ليفيد التشويق إلى المبتدأ.وتقدم (المبتدأ) في الثانية لتعجيل المسرة، وتقدم في الثالثة (الحال) لأنه موضع الانكار، وتقدم (الظرف) في الرابعة لأنه موضع العناية.ــــــــــــــ(١) لأن الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقدم.." [1]

"(٤) غير الجملة الاتية بحيث تفيد القصر بالعطف.«بالاختراعات الحديثة ارتقت الامم الغربية»الرقم ... الجملة ... باعتبار المقصور ... باعتبار الواقع ... طريقه١ ... ما قصبات السبق الخ. ... قصر صفة على موصوف ... إضافي ... النفي والاستثناء٢ ... إلى الله أشكو ... = ... حقيقي ... التقديم٣ ... عند الامتحان يكرم الخ ... قصر صفة على موصوف ... اضافي ... التقديم(١) إنما نجح سعد لا سعيد(٢) إنما يكثر المطر في السودان ربيعا لا شتاء(أ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره.(ج) إذا كان المخاطب مترددا في تأدية الواجب وغيره(٤) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها.تطبيق عملي(١) لم يبق سواك نلوذ به مما نخشاه من المحن (١)(٢) إنما يشتري المحامد حر طاب نفسا لهن بالأثمان (٢)(٣) إنما الدنيا متاع زائل فاقتصد فيه وخذ منه ودع (٣)(٤) عمر الفتى ذكره لا طول مدته وموته خزيه لا يومه الداني (٤)(٥) ما نال في دنياه وان بغية لكن أخو حزم يجد ويعمل (٥)(٦) ومن البلية عذل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم (٦)**بالعلم والمال** يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال (٧)تمرين آخرعين المقصور، والمقصور عليه، ونوع القصر وطريقته، فيما يأتي:(١) قال الله تعالى: «فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»(٢) وقال الله تعالى: «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد»(٣) وقال تعالى «إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون»(٤) قال ابن الرومي:غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الإصداروالناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار(٥) قال المتنبي:والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم(٦) قال الطرماح بن حكيم:وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل(٧) قال حطان بن المعلى:وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض(٨) وقال رجل من بني أسد:ألا إن خير الود ود تطوعت به النفس، لا ود أتى وهو متعب(٩) قال ابو تمام:شاب رأسي وما رايت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤادوكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد(١٠) قال المتنبي:وما أنا إلا

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٦٤

سمهري حملته ... فزين معروضا وراع مسدداوما الدهر إلا من رواه قصائدي ... إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا(١١) وقال ايضا:وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا(١٢) وقال أبو فراس الحمداني:إذا الحل لم يهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتاب(١٣) وقال ابو العتاهية:علل النفس بالكفاف وإلا طلبت منك فوق ما يكفيهاإنما انت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها(١٤) قال مهيار:وما الحرص إلا فضلة لو نبذتها لما فاتك الرزق الذي أنت آكله(١٥) قال الطغرائي:وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل(١٦) قال الغزي:ليس التغرب أن تشكو نوى سفر وإنما ذاك فقد العز في الوطن(١٧) وقال أيضا:إنما هذه الحياة متاع والسفيه الغبي من يصطفيهاما مضى فات، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها(١٨) وقال الأرجاني:تطلعت في يومي رخاء وشدة وناديت في الأحياء هل من مساعدفلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد(١٩) وقال الأبيوردي:ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أخو اللوم فيها والكريم يخيب(٢٠) وقال أيضا:ولا تصطنع إلا الكرام فإنهم يجازون بالنعماء من كان منعماأسئلة على القصر وأنواعه تطلب أجوبتهاما هو القصر لغة واصطلاحا؟ ؟كم قسما للقصر؟ ؟ ما هو القصر الحقيقي، ما هو القصر الإضافي؟ – كم قسما للقصر الحقيقي؟ – كم قسما للقصر الاضافي، ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟ – ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الأضافي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟ – كم قسما للاضافي بقسميه؟ على من يرد بقصر الأفراد؟ – على من يرد بقصر القلب؟ على من يرد بقصر التعيين؟ – ما هي طرق القصر المصطلح عليها في هذا الباب؟ ما أقواهاأيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ – أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟ – متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟ – لماذا يجب تأخير المقصور مع انما؟ ويكثر مع النفي والاستثناء؟!____________(١) في هذا البيت إستثناء بغير إلا.(٢) يقول إن شراء المحامد مقصور على الأحرار، فهم الذين تطيب نفوسهم ببذل المال في سبيل الحمد، والذي دل على هذا القصر هو لفظ (إنما) وهذا (قصر صفة) وهي الشراء على (موصوف) وهو الجر.(٣) فقد قصر الدنيا على صفة من صفاتها، وهي كونها متعبة لا تدوم لحي، وهو كما ترى (قصر موصوف على صفة) .(٤) أي إن حياة الانسان لا تقاس بطول المدة، ولكن بالذكر الخالد، وأن الموت لا يكون بمفارقة الحياة، بل بما يرضي به بعض الأحياء من خزي وهوان، وقد جاء في كل شطر بقصر، إذ قصر العمر على الذكر في الشطر الأول، وقصر الموت على الخزي في الشطر الثاني، والذي دل على القصر فيهما هو العطف (بلا) في قوله «لا طول مدته» ولا يومه الداني» .(٥) يقول: إن المهمل لا ينال أمانيهن إنما الذي ينال ما يرجوه هو الحازم الذي يجد ويعمل، فقصر نيل البغية على أخي الحزم، وطريق القصر هنا هو العطف «بلكن»(٦) يقول: إن لوم من لا يرجع عن باطله، وإن التحدث إلى من لا يعي عنك ولا يفهم: مقصور على صفة لا يفارقها، وهي كونه بلاء ونكدا – والذي دل على هذا القصر تقديم الخبر على المبتدأ.(٧) قصر بناه الملك على **العلم والمال** بتقديم الجار والمجرور على الفعل.." [١]

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٧٧

"المقصود (١) كما تقول مجيبا لشخص بالنفي «لا – شفاه الله (٢)لمن يسألك: هل برىء علي من المرض؟ ؟ «فترك الواو يوهم السامعالدعاء عليه، وهو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له» (٣)ولهذا (وجب أيضا الوصل)وعطف (الجملة الثانية) الدعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبرية المصورة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الاعرابالثالث – إذا كان (للجملة الأولى) محل من الاعراب، وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الاعراب حيث لا مانع، نحو: علي يقول، ويفعل (٤)تمرينوضح أسباب الوصل في الجمل الآتية:(١) قال الله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»(٢) وقال تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا»(٣) وقال تعالى «قل يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم، والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم»(٤) وقال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٥) قال ابو العتاهية:تأتي المكاره حين تأتي جملة وأرى السرور يجىء في الفلتات(٦) وقال المتنبي:وكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب(٧) وقال المعري:اضرب وليدك وادلله على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلمفرب شق براس جر منفعة وقس على نفع شق الرأس في القلم(٨) وقال:يصون الكريم العرض بالمال جاهدا وذو اللؤم للأموال بالعرض صائن(٩) وقال مسلم بن الوليد:يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود(١٠) وقال أبو نواس:نسيببك: من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيت لا من تصاقب(١١) وقال الغزى:إنما هذه الحياة متاع والسفيه الغني من يصطفيهاما مضى فات، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيهاتمرين آخربين أسباب الفصل في الأمثلة الآتية:قال الله تعالى:(١) «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشاها أول مرة»(٢) وقال تعالى «فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا»(٣) وقال تعالى «إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين»(٤) وقال تعالى «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة»(٥) وقال تعالى «وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنية وقرا»(٦) وقال تعالى «ونبئهم عن ضيف إبراهيم، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما، قال إنا منكم وجلون، قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم، قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون، قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين»(٧) قال أبو العتاهية:الصمت أجمل بالفتى من منطق في غير حينهلا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيوبهكل أمرىء في نفسه أعلى وأشرف من قرينه(٨) قال أبو تمام:ليس الكريم الذي يعطي عطيته عن الثناء وإن أغلى به الثمناإن الكريم الذي يعطى عطيته لغير شيء سوى استحسانه الحسنالا يستثيب ببذل العرف محمدة ولا يمن إذا ما قلد المننا(٩) وقال المتنبي:لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال(١٠) وقال الشريف الرضي:لا تأمنن عدوا لان جانبه خشونة الصل عقبى ذلك اللين(١١) وقال المعري:لا يعجبنك إقبال يريك سنا إن الخمود لعمري غاية الضرم(١٢) وقال الخفاجي:الناس شتى وإن عمتهم صور هي التناسب بين الماء والآل(١٣) وقال أبو فراس:لا تطلبن دنو دار من خليل أو معاشرأبقى لأسباب المودة أن تزور ولا تجاور(١٤) وقال الحطيئة:من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس(١٥) وقال أعرابي قتل أخوه ابنا له:أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم تردكلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي(١٦) وقال

الغزي:من أغفل الشعر لم تعرف مناقبه لا يجتني ثمر من غير أغصان(١٧) وقال ابن شرف:لا تسأل الناس والأيام عن خبر هما يبثانك الأخبار تفصيلا(١٨) ولكل حسن آفة موجودة إن السراج على سناه يدخن(١٩) بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال________________(١) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.(٢) فجملة شفاه الله خبرية لفظا انشائية معنى: والعبرة بالمعنى – واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» جملة خبرية إذ التقدير «لا يره حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.(٣) كما حكى: أن (أبا بكر) مر برجل: في يده ثوب، فقال له: أتبيع هذا: فقال) الرجل «لا – يرحمك الله» فقال أبو بكر «لا تقل هكذا» قل «لا – ويرحمك الله، وهكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟ ؟ فقل «لا – وشفاه الله» حتى لا يتوهم السامع أنك تدعو عليه، وأنت تريد الدعاء له، فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبرية، والثانية إنشائية في المعنى، لأنها لطلب الرحمة الشفاء، وكان الواجب الفصل بينهما، لولا ما يسببه الفصل من الوهم.(٤) فجملة (يقول) في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: (ويفعل) معطوفة على جملة يقول: وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، فاشتراك الجملتين في الحكم الاعرابي يوجب الوصلوحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضى مشاركة الثاني للأول في إعرابه والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية أي: أن تعطف الاسمية على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الافراد – والجملة – والظرفية: ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض«أ» كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، نحو: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)«ب» وكافادة التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى – نحو:(أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) فقد لوحظ في الأولى إحداث تعاطى الحق وفي الثانية الاستمرار على اللعب، والثبات على حالة الصبا – ونحو: الصديق يكاتبني وأنا مقيم على وده، وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبات بالجملة الاسمية – ومثل هذا: يحصل عند إرادة المضي في إحداهما والمضارعية في الأخرى..." (١)

"/زرتك مولاي وأنت الذي ... في العلم والمال له بسطه(سريع)ومنطقي يقصر عن فضله [١] ... ومن يصفه لم يطق ضبطهسماء مجد [٢] لا أرى [٣] سمكها ... وبحر جود لا أرى شطهوحق مثلي واجب عنده ... فأعط [٤] ذا الحق إذا قسطهولا تدع برك عن قلة ... فبقة في وقتنا بطهكفيت ما تحذره سالما ... وعشت في خير وفي غبطه٩٢- أبو نصر محمد بن أحمد الخواري «١» [٥]أبوه خواري وهو نيسابوري، وكل منهما في العلم علم. وأبو نصر هذا من أظرف خلق الله. وقد عاشرته فاستحسنت أخلاقه، واستحليت مذاقه. وله________________[١] . في ل ٢ وب ١: وضعه.[٢] . في ل ٢: ومجد.[٣] . في ف ١ ول ٢ وب ١: يرى.[٤] . في ل ٢: فإذا أعط.[٥] . في ل ٢: الخوارزمي. وفي ب ٢: الجواري.." (٢)

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٨٢

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٢/١٠٥٥

"فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، يا كميل محبة العلم دين تدان به تكتسب به الطاعة في حياتك وجميل الأحدوثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان **المال والعلماء** باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه إن ههنا لعلما جما لو أصبت له حملة بلى أصبت لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه، أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أجنائة فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهه، أو لا ذا ولاذا فمنهم باللذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شبها بهم الأنعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر وإما خائف لئلا تبطل حجة الله وتبيانه وكم وأين أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه هاه شوقا إلى رؤيتهم. ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الأوائل: خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبح معك، وقال الخليل:(افخر وكاثر بالقريحة ... إنها فخر المكاثر)(وأعلم بأن العلم ما ... أوعيت في صحف الضمائر)وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال (ما ضمنته صحف الضمائر) كان." (١)

"وحين تعاطيت الفنون ونلتها ... تبين لي أن الفنون جنون «١»الحكماء: جمع المال كإعلاء الحجر العظيم إلى ذروة الجبل الشامخ، وخرجه كإلقائه منها. قيل: اكتساب المال من الوجه الذي ينبغي صعب، وتفريقه سهل كما قيل:له مصعد صعب ومنحدر سهلذكر في صحيفة سليمان، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، أن الحكمة مع الغنى يقظانة، ومع الفقر نائمة. بعضهم: التوجه إلى المصالح الضرورية يمنع الرجل من الفضائل الكثيرة. قيل:حياة بلا مال حياة ذميمة ... وعلم بلا مال كلام مضيعالمتنبي:فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده «٢»عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه» .بعضهم: قلة المال، وكثرة العيال، نعوذ بالله من ذلك الحال. أبقراط: قلة العيال أحد اليسارين «٣» . ترك ابن المبارك دنانير وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها حسبي وديني. قيل لأفلاطون: لم تجمع **العلم والمال؟**قال: لعز الكمال. وقيل له: لم صار الرجل يقتني مالا وهو شيخ؟ فقال: لأن يموت الإنسان فيخلف مالا لأعدائه خير من أن يحتاج في حياته إلى أصدقائه.." (٢)

"وقال: اطلب في حياتك **العلم والمال** والعمل الصالح، فإن الخاصة تفضلك بما تحسن من العلم، والعامة بما تملك من المال، والجميع بما تعمل من العمل الصالح.قيل لآخر: لم تحب هذه الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ قال: وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها. ابن عيينة «١» من كان له مال فليصلحه، فإنكم في زمان من احتاج فيه إلى الناس كان أول ما

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/ ١٤٧

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٢٣

يبذله دينه. قال علي رضي الله عنه لابن الحنفية «٢» : يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت. وعنه كرم الله وجهه: الفقر الموت الأكبر. وعنه أيضا رضي الله عنه: إن المال حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة» . قيل:ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الجهل والإفلاس بالرجل «٣»لقمان، إذا مر بالأغنياء كان يقول: يا أهل النعيم الأصغر، لا تنسوا النعيم الأكبر. وإذا مر بالفقراء يقول: إياكم أن تغبنوا مرتين. نظر أعرابي إلى دينار فقال: ما أصغر قامتك وأكبر همتك. يقال: الدينار مفتاح الأوطار، والدرهم مزيل الهم. وقيل: الدراهم مراهم. قيل: النقود تحل العقود. عن النبي صلى الله عليه وسلم:«الدراهم والدنانير خاتمان من خواتيم الله تعالى، فمن ذهب بخاتم من خواتيم." (١)

"وقوله ناس أو متناس الناسي الذي طبعه النسيان ولا يحفظ وإن تعمل للحفظ يقال منه نسي ينسى نسيانا والمتناسي الذي يتهيأ له أن يحفظ ولا يحفظ وهو الذي يتعمد النسيان يقال منه تناسى ويتناسى وتناسيا وقيل هو الذي يظهر النسيان كالمتجاهل والمتعاقل. ليدخل في جملة المجدودين المجدودون المحظوظون يقال منه جد الرجل فهو مجدود ما تقول حظ فهو محظوظ وفلان جد حظ وجدي حظي وجديد حظيظ إذا كان ذا جد وحظ والجد بفتح الجيم الحظ هنا وهو أيضا القطع وأب الأب وأبو الأم والعظمة. والجد بالكسر ضد الهزل والاجتهاد في العمل والجد بالضم البئر الجيدة الموضع من الكلأ. " ويخرج عن جملة المحدودين " المحدودون المحرومون كأنهم منعوا الرزق وأصل الحد المنع ومنه سمي البواب حدادا لمنعه الناس من الدخول وسمي حد السارق حدا لمنعه إياه من المعاودة. وأراد بالمحدودين العلماء وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال فقال لعدم الكمال وقال إبراهيم بن شكلة:مع أنني واجد في الناس واحدة ... الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدبوقوله " فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر وبارت بضائع أهله ".وأحد العلماء عالم كشاعر وشعراء ويكون وأحدهم عليما ككريم وكرماء وظريف وظرفاء. والمغمور الخامل وهو مأخوذ من الغمر وهو الماء الكثير وأصله التغطية فكأن المغمور الذي قد غشيه ماء كثير فغطاه وهو ههنا الذي غمر بجهل الناس فلا يعرف. والغمير نبت صغير في أصل الكبير كأنه غمره. والغمر الذي لم يجرب الأمور لغلبة الجهل عليه والغمر الحقد منه أيضا. وكرة الجهل دولته ورجوعه قال الله تعالى " ثم رددنا لكم الكرة عليهم " أي الدولة والفعل منه كر يكر كرا إذا عطف ورجع بضم الكاف من المستقبل وما كان من فعل ومضاعفا غير متعد فعين مستقبله في الأكثر مكسورة نحو عف يعف وخف يخف وما كان متعديا فيفعل منه مضموم كمد يمد ورد يرد إلا أحرفا جاءت بالوجهين وهي شده يشده ويشده وعله يعله ويعله إذا سقاه ثانيا ونم الحديث ينمه وينمه وهره يهره ويهره كرهه وبته يبته ويبته قطعه وأضني الأمر يؤضني ويئضني إذا أضطرك ومن قال حببته فمضارعه." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٢٤

(٢) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢١

"المعنى يريد أنه كثير الأسفار في كل بلدة وأنه يقال له مال الذي تطلبه فيقول الذي أطلبه أجل من أن يذكر اسمه يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم قال ابن وكيع وهو من قول الآخر(وسائلة بالغيب عني وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)٢٧ - الإعراب الضمير في بينهم راجع إلى الذين يقولون ما أنت حكاه الخطيب وقال غيره هو راجع إلى الشامتين الغريب جلوب بمعنى جالب المعنى يقول هم يبغضونني وإن بينهم قد علموا أني أجلب اليتم إليهم من معادته بقتل آبائهم فلهذا أبغضوني٢٨ - الغريب الجد الحظ والبخت والفهم معرفة العلوم المعنى يقول جمع الضدين على يسير وإنما الصعب الذي لا أقد عليه الجمع بين الجد والفهم لأن العقل والعلم بتدبير الأمور لا يجتمع مع الحظ في الدنيا والجاهل المحظوظ في الدنيا أسعد من العالم وما أحسن قول حسان(رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطى عليه النعيم)وأحسن فيه بن دريد بقوله(لا يرفع اللب بلا جد ولا ... يحطك الجهل إذا الجد علا)وقيل لحكيم لم لا تجمع بين **العلم والمال** فقال لعز الكمال وأحسن فيه الحمدوني بقوله(إن المقدم في حذق بصنعته ... أني توجه فيها فهو محروم)المعنى يقول لكنني أستنصر بذبابه أي طرف السيف فأضمره لدلالة الكلام عليه أي إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم فأنا أطلب النصرة بذباب السيف وأرتكب به الظلم في كل حال للأعداء." (١)

"المالالمال نعمته عظيمة، وزينته كبيرة، وخيراته واسعة كثيرة، وحليته جذابة جميلة، ومنافعه عذبة وفيرة، وقد جعله الحق سبحانه وتعالى وسيطا لنيل المآرب والجاه في هذه الحياة، فبالمال تشترى المآكل اللذيذة، والمشارب العذبة، والقصور الفخمة، والملابس الثمينة، وتنكح الغانيات من النساء، وتشترى الأنعام، وتصنع السيارات والطائرات الفائقة، وبالمال تستخدم الرجال، وتبنى المدارس، وتشق الطرقات، ويدنو البعيد من المقاصد، ويسهل الصعب من الأعمال، ويرتفع الوضيع، ويعز الذليل، ويقوى الضعيف، وبه تشيد الممالك، قال الشاعر:قف بالممالك وانظر دولة المال ... واذكر رجالا أدالوها بإجمالوانقل ركاب القوافي في جوانبها ... لا في جوانب رسم المنزل الباليما هيكل الهرم الجيزي من ذهب ... في العين أزين من بنيانها الحاليعلا بها الحرص أركانا وأخرجها ... على مثال من الدنيا ومنوالفيها الشقاء لقوم والنعيم لهم ... وبؤس ساع ونعمى قاعد ساليوالمال مذ كان تمثال يطاف به ... والناس مذ خلقوا عباد تمثالإذا جفا الدور فانع النازلين بها ... أو الممالك فاندبها كأطلاليا طالبا لمعالي الملك مجتهدا ... خذها من العلم أو خذها من المال**بالعلم والمال** يبني الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال (١)وله أيضا:لا يقيمن على الضيم الأسد ... نزع الشبل من الغاب الوتدبسط الكف لمن صادفه ... ومضى يقصر خطوا ويمديجعل الأوطان أغنيته ... وينادي الناس من جاد وجدأيها الناس اسمعوا أصغوا له ... أخرجوا المال إلى البر يعدينهض الله الصناعات به ... من عثار لبثت فيه الأبدوعلى المال بنت سلطانها ... ثابت الآساس مرفوع العمدوأصارت بنك مصر كهفها ... حبذا الركن وأعظم بالسندولو ذهبنا نتتبع فوائد المال ومنافعه لما استطعنا إحصاءها لأن الحق سبحانه وتعالى جعله وسيطا لبناء الحياة، ووسيلة لعمارتها، وقد يكون وسيطا للوصول إلى الدرجات العلا من الجنة إذا ما راعى الإنسان في طرق كسبه وصرفه ضوابط الشريعة ومقاصدها، فبالمال تبنى دور العلم التي يتعلم فيها الناس أمور دينهم ودنياهم، وبالمال تبنى المنازل للزمنى والمكفوفين والمحتاجين من الفقراء والمساكين، وبالمال يمول الدعاة

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٠٨/٤

والمرشدون، وبالمال يؤاسى الضعفاء والمحتاجون، وبالمال تبنى المساجد والجوامع، وبالمال توصل الأرحام، وينشر الإسلام، وتقام دور العبادة في كل مكان، وترتفع راية الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، فهو زينة الحياة كما أخبر عنه الحق سبحانه وتعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (٢) ، ولما كان المال بهذه المكانة نهى سبحانه وتعالى عن إيتائه السفهاء فقال جل شأنه: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا______________(١) – هذه الأبيات لأمير الشعراء احمد شوقي.(٢) – سورة الكهف الآية (٤٦) .." (١)

"الإجابة:١– إنما نجح محمد لا خالد.٢– إنما يكثر المطر في السودان ربيعا لا شتاء.٣– أ– لا أكرم إلا المؤدب.ب– إنما أكرم المؤدب.ج– أكرم المؤدب لا سيئ الخلق.د– المؤدب أكرم.٤– أ– إذا كان المخاطب يعتقد أن كتبت غير ما طلب.ب– إذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت ما طلب وغيره.ج– إذا كان المخاطب مترددا في كتابتك ما طلب وغيره.٥– اجتمع الملك المبدد شمله بك لا بغيرك.٦– لا تقع الطيور إلا على أشكالها.٧– إنما يحمد الناس الصادق.٨– ينال المجد المجتهد لا الكسلان.تمرين أول:بين طريق القصر ونوعه باعتبار المقصود عليه وباعتبار الواقع وباعتبار المخاطب:١–وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ... ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا٢–وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن وعى٣– وللفتى من ماله ما قدمت ... يداه قبل موته لا ما اقتنى٤–ما افترينا في مدحه بل وصفنا ... بعض أخلاقه وذلك يكفي٥– ليس عار بأن يقال فقير ... إنما العار أن يقال بخيل٦–وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا٧– سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر٨–وما يلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصادق٩–عمر الفتى ذكره لا طول مدته ... وموته خزيه لا يومه الداني١٠–بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ... لا يبن ملك على جهل وإقلال." (٢)

"له إلى الله وتدبيره ... ثم إلى الدهر وتجريبهفإنما الأقدار لا بد أن ... تأتي بما خط وتجري بهفليس كما قال فإنما الهمل في الامهال ولا عذر له في الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا إن يحتاج إلى الشفيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف ويحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب إلى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيهاترك الصلاة لا كلب يسعى بها ... نحو الفراش مع الغواة الأرجسفلياًتينك غاديا بصحيفة ... كتبت كمثل صحيفة المتلمسفإذا أتاك معذرا بملامة ... فعظنه موعظة اللبيب الأكيسوإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت به ثلاثا فاحبسواعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفسوأما العلم فقدره كبير وفضله كثير ويكفي في شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم قال بعض الحكماء إذا اجتمع العقل والعلم في رجل فقد استطاب المحيا وسما إلى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا وقالوا العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل إلى معرفة الحقائق ويتوصل إلى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه ولا فتقر كاسبه

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٣١٩/١

(٢) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المراغي، أحمد بن مصطفى ص/١٦٠

ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو النيس في الوحشة والصاحب في الغربة والوزير عند الخلاء." (١)

"١٦- حدثنا محمد بن الحسين الأشناني حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السدي حدثنا عاصم بن حميد، أو رجل عن عاصم بن حميد الخياط عن ثابت بن أبي صفية أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال أخذ علي يعني ابن أبي طالب عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحر جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية خيرها أوعاها احفظ عني ما أقول لك:الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على العمل والمال -[٣٣]- تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته وصنيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه إن ههنا وأشار بيده إلى صدره علما لو أصبت حمله بل أصبت لقنا لأهل الحق لا بصيرة له في حياته يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذا، فمن منهوم باللذة سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار ليسا من دعاة الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم بحجة لكي لا تبطل حجج الله عز وجل وبيناته أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عز وجل عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم به العلم -[٣٤]- على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا مما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى (أولئك خلف الله عز وجل في بلاده والدعاة إلى دينه) هاه هاه شوقا إلى رؤيتهم. وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم.." (٢)

"وقد اتجه الشعراء اتجاهات مختلفة في هذا، فشوقي عنى بمظاهر النهضة، والإشادة بها والحث عليها فيقول في الجامعة قصيدته الثانية١ في سنة ١٩٢٦ والتي مطلعها.تاج البلاد تحية وسلام ... ردنك مصر وصحت الأحلام٢ويقول في الصحافة قصيدته التي مطلعها:لكل زمان مضى آية ... وآية هذه الزمان الصحف٣ويقول في العلم والتعليم قصيدته التي مطلعها:قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولاوكان شوقي حريصا كل الحرص على أن تتبوأ مصر مكانة مرموقة في العالم، ولن يتأتى لها هذا إلا بالعلم والمال والقوة، ولذلك نراه يحث الشباب في غير ما قصيدة على العمل يوازن بينهم وبين نظائرهم من شباب أوربا، ويتساءل: هل نساير ركب الحضارة والمدينة والثقافة أو أننا لا نزال نعيش عالة على غيرنا في هذه الميادين؟هل شايع النشء ركب المعلم واكتنفوا ... للعبقرية أحمالا وأظعاناوساير المواكب المرموق متشحا ... عز الحضارة أعلاما وركباناولم يك شوقي يائسا بل كان يتطلع دائما إلى مستقبل زاهر لمصر بفضل شبابها المتواثب، ولذلك قال:تعلم ما استطعت لعل جيلا ... سيأتي يحدث العجب العجاباوقد صدقت فراسته، وتحققت نبوءته، وجاء الجيل الذي يحاول أن

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١١٥

(٢) فوائد أبي بكر الأبهري الأَبْهَرِي ص/٣٢

يغير مجرى الحياة في مصر ويحيلها إلى دولة عظمى معتمدة على علمائها، واقتصادها، ومصانعها، وجيشها ويا ليت شوقي كان اليوم بيننا حين قال:_____________١ وتلك غير قصيدته الأولى التي قالها يوم أن وضع عباس الحجر الأساسي للجامعة، انظر الشوقيات ج١ ص ٢.١٥٨ الشوقيات ج٤ ص٣.٢ الشوقيات ج ص ١٦٥.." (١)

"إلى حفرة فوقعا فيها، كانا إذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة؛ غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير: إذ كانت له عينان يبصر بهما، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف.وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره، ويكون كالعين التي يشرب منها الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة، وكدودة القز التي تحكم صنعته ولا تنتفع به. فينبغي لمن يطلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه، ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه؛ فإن خلالا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقبسها: منها **العلم والمال**. ومنها اتخاذ المعروف. وليس للعالم أن يعيب أمرا بشيء فيه مثله، ويكون كالأعمى الذي يعير الأعمى بعماه. وينبغي لم طلب أمرا أن يكون له فيه غاية ونهاية، ويعمل بها، ويقف عندها؛ ولا يتمادى في الطلب؛ فإنه يقال: من سار إلى غير غاية." (٢)

"إذا أقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات «١» .ما أعطى الاقبال أحدا شيئا إلا سلبه من حسن الاستعداد أكثر منه «٢» وقال: لا تحقرن صغيرا يحتمل الزيادة.الأشرار يتتبعون مساوي الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه.وقال: إذا قوي «٣» الوالي في عمله حركه ما ملكه على حسب ما في طبعه من الخير والشر.ليس تكمل حرية الرجل حتى يكون صديقا لمتعاديين. «٤»من شقوة الحدث أن تتم له فضيلة في رذيلة.التام الحرية من احتمل جنايات المعروف. «٥»لا يحملك الحرص في أمورك على التمقت إلى الناس والإخافة لهم فتعطي من نفسك أكثر ما تأخذ لها، وكل إجابة عن غير رضى فهي مذمومة العاقبة.إذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرت، ونفقت الرذائل ونفعت، وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر.اطلب في الحياة **العلم والمال** تحز «٦» الرئاسة على الناس، لأنهم بين خاص وعام: فالخاصة تفضلك بما تحسن، والعامة تفضلك بما تملك.." (٣)

"وقيل: أبت الدنيا أن تعطي أحدا ما يستحقه، إما محطوط عن درجته أو مرفوع فوق قدره. وقيل لأفلاطون: لم لا يجتمع **العلم والمال**، فقال لعزة الكمال، قال:ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمقوقيل: من أعطاه الله عقلا احتسب عليه من الرزق، وقيل لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال، فلما جعله في أيدي الجهال استقلهم العقلاء واستنزلوهم عنه بلطفهم. وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا.علة ميل الدنيا إلى الأنذالقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال. وقال حكيم: إذا أردت أن تزهد في الدنيا فانظر عند من هي. وقال النظام: مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام فالشيء يصير إلى شكله ومن هنا أخذ المتنبي قوله:وشبه الشيء منجذب إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطغام «١»وقال حسان:المال يغشى رجالا لا طباع لهم ... كالسيل يغشى أصول

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٠٥

(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٦٣

(٣) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٤٤٨

الدندن البالي «٢»وقال أبو تمام:لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العاليوقال ابن الرومي:رأيت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذي رتب شريفه «٣»كمثل البحر يرسب فيه حي ... ولا ينفك تطفو فيه جيفه «٤»وكالميزان يخفض كل واف ... ويرفع كل ذي زنة خفيفهمعاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضلوقال جحظة البرمكي:غلط الدهر بما أعطاكم ... وفعال الدهر جهل وغلطوقال الموسوي:ومما يحلل ذم الزما ... ن إقصاؤه الأفضلين الخيارا." (١)

"زاد القاضي في "العدة١": وليس بصريح في القذف. وقد اختلفوا في الحد، ويسوغ فيه الاجتهاد، ولا ترد الشهادة بما يسوغ فيه الاجتهاد٢. وكذا زاد ابن عقيل.قال الشيرازي في "اللمع": "وأبو بكرة٣ ومن شهد معه تقبل روايتهم؛ لأنهم أخرجوا ألفاظهم مخرج الإخبار، لا مخرج القذف. وجلدهم عمر باجتهاده٤".__________١ في ز ش: العمدة. وهو تصحيف.٢ لا ترد الرواية بما يسوغ فيه الاجتهاد، كاللعب بالشطرنج وشرب النبيذ ونحوه لقول بعض المجتهدين به."انظر: الإحكام للآمدي ٢/ ٩٠، فواتح الرحموت ٢/ ١٤٨، تيسير التحرير ٣/ ٤٣، ٤٦، ٥٥، جمع الجوامع وشرح المحلي عليه ٢/ ١٥١، ١٦٥، المسودة ص ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٦".٣ هو الصحابي نفيع بن الحارث بن كلدة، ويقال: نفيع بن مسروح، الثقفي، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من عبيد الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي فاستلحقه، وهو مشهور بكنيته. وكان من فضلاء الصحابة، سكن البصرة، وأنجب أولادا لهم شهرة في العلم والمال والولايات. وكان تدلى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكرة، وكان ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل. وكان ممن شهد على المغيرة بن شعبة بالزنا، فلم تتم الشهادة، فجلده عمر، ثم سأله الانصراف والرجوع عن ذلك فلم يفعل وأبى، فلم يقبل له شهادة، ولم يزل على كثرة العبادة حتى توفي سنة ٥١ هـ بالبصرة.انظر ترجمته في "الإصابة ٣/ ٥٧٢، الاستيعاب ٣/ ٥٦٧، تهذيب الأسماء ٢/ ١٩٨، الخلاصة ص ٤٠٤".٤ اللمع ص ٤٣.وانظر شرح تنقيح الفصول ص ٣٦٠، كشف الأسرار ٢/ ٤٠٤، المسودة ص ٢٥٨.." (٢)

"فيلسوفي يوناني طبي عالم بالهندسة وطبائع الأعداد ومعنى اسمه العميم الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فبلغه أن بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس فسار إليهم حتى أخذ عنهم وبلغ من العمر إحدى وثمانين سنة وكان حسن الأخلاق كريم الأفعال كثير الإحسان إلى كل أحد غريبا وقريبا مبتدأ حكميا صبورا ومن كلامه ومواعظه العادة على كل شيء سلطان وقال من لم يواس الأخوان عند دولته خذلوه عند فاقته وقيل له لم لا تجتمع الحكمة والملك فقال لعز الكمال وقال إذا أردت أن تدوم لك اللذة فلا تستوفي الملتذ أبدا بل دع فيه فضله تدوم لك اللذة وقال غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسه وقال ما ألمت نفسي إلا من ثلاث من غني افتقر وعزيز ذل وحكيم تلاعبت به الجهال وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإن الناس ليس يسألون في كم فرغ من هذا العمل وإنما يسألون عن جودة صنعته وقال اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرياسة على الناس لأنهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٥٩٤

(٢) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ابن النجار، تقي الدين ٢/٣٨٦

تملك وقال عين المحب عمياء عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب إلا إلى من قدر على السطوة والزهد لا ينسب إلا إلى من ترك بعد المقدرة وقال الحسن الخلق من صبر على السيء الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الفضائل لا من يشرف بالفضائل وذلك أن من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه وقال الحياء إذا توسط وقف الإنسان عما عابه وإذا أفرطه وقفه عما يحتاج إليه وإذا قصر خلع عنه ثوب التجمل في كثير من أحواله وقال لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرا وأنت لا تدري ةوقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمة هي بلاؤه ورب محسود على حال هي دواؤه وقال الأمل خداع النفوس لا تستكثرن من عشرة حملة عيوب الناس فإنهم يلتقطون ما غفلت عنه وينقله إلى غيرك كما ينقلون عنهم إليك وقال الإفراط في النصيحة يوهم بصاحبها كثيرا من المظنة وقال ليس ينبغي للرجل أن يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه وسئل عند موته عن الدنيا فقال خرجت إليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها أنني لا أعلم.أرسطاطاليس: وتفسيره تام الفضيلة قال سليمان بن حسان المعروف بابن حلجل في كتابه عن ارسطاطاليس أنه كان فيلسوف اليونان وعالمها ونحريرها وخطيبها وطبيبها وكان أوحدا في الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودي وكان أفلاطون يجلس فيستدعي من الكلام فيقول حتى يحضر الناس وربما قال حتى يحضر العقل فإذا حضر قال تكلموا فقد حضر العقل ومن كلامه وحكمه رغبتك فيمن زهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب الحيلة ونظر إلى حديث يتهاون بالعلم فقال له إنك لم تصبر على تعب العلم وصبرت على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأدبا وبالأيام عظة وقال خير الأشياء أجدها إلا المودات وقال كلام العجلة موكل بالزلل وأعاد على تلميذ له مسألة فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور.جالينوس: وكان مولده من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على أرخه اسحاق بن حنين وأما قول من زعم أنه كان معاصره وأنه توجه ليراه ويؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله أنه كان من بعد المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها ومن ألفاظ جالينوس وحكمه ونوادره ما ذكر حنين بن اسحاق في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء قال الهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان والهم بما يكون وفي مواضع أخر الغم بما فات والهم بما هو آت.." (١)

"والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر الكسب كسب الربا، وشر المأكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقى في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أذرع، والأمر إلى آخره، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسق وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يصم يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله، اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي – ثلاث مرات – أستغفر الله لي ولكم. روى عنه صلى

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٩٣

الله عليه وسلم أنه قال: " زوجوا أبناءكم وبناتكم ". قالوا: يا رسول الله؛ هؤلاء أبناؤنا نزوج، فكيف بناتنا؟ فقال: " حلوهن بالذهب والفضة، وأجيدوا لهن الكسوة، وأحسنوا إليهن النحلة يرغب فيهن ". وقال عليه السلام: " أربع من قواصم الظهر؛ إمام تطيعه فيضلك، وزوجة تأمنها فتخونك، وجار إن رأى حسنة سترها وإن رأى قبيحة أذاعها، وفقر يترك المرء متلددا ". قال: " ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا افتقر من اقتصد ". وقال عليه السلام: " اغد عالما أو متعلما أو مجيبا أو سائلا، ولا تكن الخامس فتهلك ". وقال: " يا عجبا للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ". ورووا أنه صلى الله عليه وسلم أوصى عليا أن يقضي دينه، ولم يكن عليه دين، إنما أمر أن يقضي عدته. وقال عليه السلام: " العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير فيهم ". وقال: " لا خير فيمن كان في أمتي ليس بعالم ولا متعلم ". وقال: " خير سليمان بين الملك **والمال والعلم** فاختار العلم، فأعطى **العلم والمال** والملك باختياره العلم ".." (١)

"وحج ودخل العراق، وسمع من أبي بكر الأبهري والدارقطني وجماعة، وعاد إلى الأندلس، وشهر **بالعلم والمال**، وولي الأحباس بقرطبة، حدث عنه أبو عمر ابن عبد البر وغيره، ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة، رحمه الله تعالى.

٣٥ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح (١) ، المعافري، أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح، المعافري، المعروف بالأعشى، القرطبي، رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيي بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة، وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار، وكان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب إلى مذهب أهل العراق (٢) ، وتوفي سنة ٢٢١، ذكره ابن يونس وغيره.

٣٦ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي (٣) ، الإلبيري، الزاهد، قال الحميدي في حقه: هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال، وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما، وروى بالأندلس عن جماعة منهم بقي ابن مخلد وابن وضاح، وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ، قال ابن الفرضي: كان شيخا نبيلا، ضابطا لكتبه، ثقة في روايته، صدوقا في حديثه، وكانت الرحلة إليه بإلبيرة، وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة، رحمه الله تعالى.

٣٧ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار، القرطبي (٤) أبو عبد الله من موالي بني أمية، سمع من أبيه ومن بقي بن مخلد وغيره، ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي، ومن أحمد بن حماد زغبة، وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والإسكندرية والقيروان

---

(١) ترجمة ابن نجيح في الجذوة: ٦٩ (وبغية الملتمس رقم: ٢١٢) وابن الفرضي ٢: ٧.

(٢) ابن الفرضي: وكان يذهب في الأشربة مذهب أهل العراق، إذ كان علمه عراقيا.

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٢٦/١

(٣) ترجمته في الجذوة: ٧٨ (وبغية الملتمس رقم: ٢٥٢) وابن الفرضي ٢: ٤٢.

(٤) ترجمته في الجذوة: ٨٠ (وبغية الملتمس رقم: ٢٦٠) وابن الفرضي ٢: ٤٨.." [(١)]

"المؤمن العابد بسبعين درجة (١) وقال صلى الله عليه وسلم إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (٢) وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٣) وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أي العلم تريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٤) وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٥) نسأل الله حسن الخاتمةوأما الآثار فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس **المال والعلم** حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاقوقال علي أيضا رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضي الله عنه نظماما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءوقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياءوقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين **العلم والمال** والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلموقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلموقال عليه الصلاة والسلام من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموتولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا_____________(١) حديث فضل المؤمن العالم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/٦٢

على المؤمن العابد بسبعين درجة أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف(٢) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الحديث أخرجه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف(٣) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة(٤) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف(٥) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث رواه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف." (١)

"الإسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والإفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتليء قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين **العلم والمال** أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٧/١

ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فإذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الدنيا في الجنة محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برءاء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود." (١)

"الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمالوهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفية فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمهوأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فإنه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواحأما الأجساد فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ما شاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فإن ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وبذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فإن الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرةالقسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تتسخر الحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فإن كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذن معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبيةفإذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزولولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فإذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٩٥/٣

هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالىبيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة لهقد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه متلبس بالكمال الوهمي وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجهأحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فإنه محيط." (١)

"الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة الضرب الثاني المقيد وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الإصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فإنه لا يتهم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق فإنه ضار للمال نافع للنفس في نجاتهاوالنافع قسمان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وإلى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامهقسمة خامسة اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهي أشرفها أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبدا والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيرا في مواضع وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق إذ الشوق تبع الذوق وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب إتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٨٢

السمان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن تدل على أنه ألذ الأشياء فالقاصرون عزدرك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحي باطنه كالطفل وإما من مات بعد الحياة بإتباع الشهوات وإما من مرض بسبب إتباع الشهوات وقوله تعالى ﴿في قلوبهم مرض﴾ إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل ﴿لينذر من كان حيا﴾ إشارة إلى من لم يحى حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان الثانية لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهو." (١)

"بالعلم.وهذا أبلغ في فضله؛ لأن فضله لا يعلم إلا به. فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطرف المشتهاة، أولى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها. وقد قال ابن المعتز في منثور الحكم: العالم يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالما. وهذا صحيح، ولأجله انصرفوا عن العلم، وأهله انصراف الزاهدين، وانحرفوا عنه وعنهم انحراف المعاندين؛ لأن من جهل شيئا عاداه.وأنشدني ابن لنكك لأبي بكر بن دريد:جهلت فعاديت العلوم وأهلها ... كذاك يعادي العلم من هو جاهلهومن كان يهوى أن يرى متصدرا ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتلهوقيل لبزرجمهر: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم. قيل: فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء؟ فقال: ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الأغنياء لفضل العلم. وقيل لبعض الحكماء: لم لا يجتمع **العلم والمال؟** فقال: لعز الكمال. فأنشدت لبعض أهل هذا العصر:وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبوروإن امرأ لم يحي بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشوروقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى: تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا، ولا يسقم نفسا. فأخرج له طعاما ونفقة. فقال: فاقتي إلى كلامكم، أشد من فاقتي إلى طعامكم، إني طالب هدى لا سائل ندى.فأذن له العالم، وأفاده من كل ما سأل عنه فخرج جذلا فرحا، وهو يقول: علم أوضح لبسا، خير من مال أغنى نفسا. واعلم أن كل العلوم شريفة، ولكل علم منها فضيلة، والإحاطة بجميعها محال.قيل لبعض الحكماء: من يعرف كل العلوم؟ فقال: كل الناس. وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: من ظن أن." (٢)

"كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته، واجتباه لنبوته. وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى مع ما خصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه، فقراء لا يجدون بلغة ولا يقدرون على شيء حتى صاروا في الفقر مثلا، فقال البحتري:فقر كفقر الأنبياء وغربة ... وصبابة ليس البلاء بواحدولعدم الفضيلة في المال منحه الله الكافر وحرمه المؤمن.قال الشاعر:كم كافر بالله أمواله ... تزداد أضعافا على كفرهومؤمن ليس له درهم يزداد ... إيمانا على فقرهيا لائم الدهر وأفعاله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٠١/٤

(٢) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٣٧

... مشتغلا يزري على دهرهالدهر مأمور له آمر ... ينصرف الدهر على أمرهوقد بين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فضل ما بين **العلم والمال** فقال: العلم خير من المال. العلم يحرسك، وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. مات خزان الأموال وبقي خزان العلم أعيانهم مفقودة، وأشخاصهم في القلوب موجودة. وسئل بعض العلماء: أيما أفضل المال أم العلم؟ فقال: الجواب عن هذا أيما أفضل المال أم العقل. وقال صالح بن عبد القدوس:لا خير فيمن كان خير ثنائه ... في الناس قولهم غني واجدوربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسوما به وآثره على العلم أن يصير مبتدئا به.وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى. والابتداء بالفضيلة فضيلة. ولأن يكون شيخا متعلما أولى من أن يكون شيخا جاهلا.حكي أن بعض الحكماء رأى شيخا كبيرا يحب النظر في العلم ويستحي فقال له: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله، وذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه." (١)

"٥٧٣٨– أبو بكرة الثقفيب: أبو بكرة واسمه: نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غير بن عوف بن ثقيف الثقفي، واسم ثقيف: قسي.وقيل: هو ابن مسروح، مولى الحارث بن كلدة، وقد ذكرنا في نفيع ما فيه كفاية، وأمه: سمية، جارية الحرث بن كلدة أيضا، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه.وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف في بكرة، فأسلم، وكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم معدود في مواليه، وكان أبو بكرة يقول: أنا من إخوانكم في الدين، وأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أبى الناس إلا أن ينسبوني، فأنا نفيع بن مسروح.وكان أبو بكرة من فضلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحيهم، وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبة فبت الشهادة، وجلده عمر بن الخطاب حد القذف، وأبطل شهادته، ثم قال له: تب لتقبل شهادتك، فقال: إنما أتوب لتقبل شهادتي.قال: نعم.قال: لا جرم، لا أشهد بين اثنين أبدا.وإنما جلده لأنه شهد هو واثنان معه فبتوا الشهادة، وكان الرابع زيادا فقال: رأيت استا تنبو، ونفسا يعلو، وساقين كأنهما أذن حمار، ولا أعلم ما وراء ذلك، فجلد عمر الثلاثة، وتاب منهم اثنان فقبل شهادتهما.وكان أبو بكرة كثير العبادة حتى مات، وكان أولاده أشرافا في البصرة، بكثرة **المال والعلم** والولايات.(١٧٧٣) أخبرنا الخطيب عبد الله بن أحمد بن محمد، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد، أخبرنا الحسن بن شاذان، أخبرنا عثمان بن أحمد السماك، أخبرنا حنبل بن إسحاق، أخبرنا الخليل بن عمر بن إبراهيم العبدي، حدثنا أبي، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا التقى المسلمان، فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار "، قلت: يا أبة، هذا القاتل فكيف المقتول؟ فقال: سألت قتادة عما سألتني، فقال: كل واحد منهما يريد قتل صاحبه.كذا روى هذا الحديث عمر بن إبراهيم، فقال: عن الحسن، عن أبي بكرة، ولم يسمعه الحسن منه، إنما سمعه من الأحنف، عن أبي بكرة وتوفي أبو بكرة بالبصرة سنة إحدى، وقيل: اثنتين

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٤٢

وخمسين، وأوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي قال الحسن: لم ينزل البصرة من الصحابة، ممن سكنها، أفضل من عمران بن حصين، وأبي بكرة.أخرجه أبو عمر.." (١)

"٥٧٣١- أبو بكر الثقفي(ب) أبو بكرة، واسمه: نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزي بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، واسم ثقيف: قسي. وقيل: هو ابن مسروح، مولى الحارث بن كلدة. وقد ذكرنا في نفيع ما فيه كفاية. وأمه: سمية، جارية الحارث بن كلدة أيضا، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه.وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف في «بكرة [١] » فأسلم، وكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معدود في مواليه، وكان أبو بكرة يقول. أنا من إخوانكم في الدين، وأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن أبي الناس إلا أن ينسبوني، فأنا نفيع بن مسروح.وكان أبو بكرة من فضلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحيهم، وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبة فبت [٢] الشهادة، وجلده عمر حد القذف، وأبطل شهادته. ثم قال له: تب لتقبل شهادتك. فقال: إنما أتوب لتقبل شهادتي؟! قال: نعم. قال: لا جرم، لا أشهد بين اثنين أبدا. وإنما جلده لأنه شهد هو واثنان معه فبتوا الشهادة، وكان الرابع زيادا فقال: رأيت استا تنبو، ونفسا يعلو، وساقين كأنهما أذنا حمار، ولا أعلم ما وراء ذلك. فجلد عمر الثلاثة، وتاب منهم اثنان فقبل شهادتهما.وكان أبو بكرة كثير العبادة حتى مات، وكان أولاده أشرافا في البصرة، بكثرة **المال والعلم** والولايات.أخبرنا الخطيب عبد الله بن أحمد بن محمد، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد، أخبرنا الحسن بن شاذان، أخبرنا عثمان بن أحمد السماك، أخبرنا حنبل بن إسحاق، أخبرنا الخليل ابن عمر بن إبراهيم العبدي، حدثنا أبي، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان، فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار» .قلت: يا أبة، هذا القاتل فكيف المقتول؟ فقال: سألت قتادة عما سألتني فقال: كل واحد منهما يريد قتل صاحبه.____________[١] البكر- بفتح فسكون-: الفتى من الإبل، والأنثى، بكرة.[٢] أي: قطع وجزم بحدوث الزنا.." (٢)

"(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم: ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسئولية أمام الله تعالى، وقد عبر على رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسئولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة، وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم (١). إن أمير المؤمنين على- رضي الله عنه - يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين: في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين على رضي الله عنه بقوله: وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم.تحدث أمير المؤمنين عن

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٣٥/٦

(٢) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٣٨/٥

صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا الصنف الإمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.٢ – المقارنة بين **العلم والمال**: وجاء في وصية أمير المؤمنين على رضي الله عنه لكميل بن زياد .. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو مع العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة____________(١) التاريخ الإسلامي للحميدى (١١، ١٢/ ٤٣٨).." (١)

"وأمثالهم في القلوب موجودة (١) ، عقد أمير المؤمنين على رضي الله عنه مقارنة بين **العلم والمال**، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه: فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقى صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامة الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردا وسلاما على أصحاب اليقين، لأنهم لا يلقون لها بالا، ولا يعيرونها اهتماما، بينما تتحول هذه المآسى والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تملك أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك (٢). والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح آفاقا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل: لأن العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك يزيده عمقا في الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبن عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموا كما جاء في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «ما نقص مال عبد من صدقة» (٣).____________(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢).(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٢).." (٢)

"برهان أعظم من الملازمة، وما جاء الخفاء إلا من شدة الوضوح؛ فهل بقي من شك بعد هذه الأبحاث التي سبقت في جمعيتنا، ولا سيما ما بينه المحقق المدني، في أن الدين الموجود الآن بالنظر إلى ما ندين به لا بالنظر إلى ما نقرره، وباعتبار ما نفعله لا باعتبار ما نقوله، ليس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مئين من السنين على العالمين، كلا بل طرأت على الدين

---

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي محمد الصلابي ٢٦٩/١

(٢) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي محمد الصلابي ٢٧٠/١

طوارئ تغيير غيرت نظامه. " وذلك أن الإخلاف تركوا أشياء من أحكامه: كإعداد القوة **بالعلم والمال**، والجهاد في الدين، والأمر بالمعروف، وإزالة المنكر، وإقامة الحدود، وإيتاء الزكاة؛ وغير ذلك مما أوضحه الإخوان الكرام، وزاد فيه المتأخرون بدعا وتقليدات وخرافات ليست منه، كشيوع عبادة القبور، والتسليم لمدعي علم الغيب والتصرف في المقدور. وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق بأصول الدين، وبعضها بأصل الأصول أعني التوحيد، وكفى بأن يكون سببا للفتور، وقد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ . (مرحى) .ولقائل أن يقول: إذا سلمنا أن الدين تغير عما كان عليه، فما." (١)

"﴿شركآئكم﴾ ﴿سبحانه﴾ ﴿تعالى﴾(٤٠) - الله تعالى هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا، يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا، ثم يرزقه السمع والبصر، والقوة واللباس، **والعلم والمال**، وما تقوم به الحياة، ثم بعد هذه الحياة يميتكم، ثم يعود فيحييكم يوم القيامة، ليحاسبكم على أعمالكم كلها. ثم يسأل الله تعالى المشركين مستنكرا ومقرعا: هل أحد من الآلهة التي يعبدونها من دون الله من أصنام وأوثان وغيرها. . . من يستطيع أن يفعل ذلك؟وبما أن هذه الأصنام والأوثان والآلهة المزغومة لا تستطيع لأحد ولا لنفسها نفعا ولا ضرا، وكفار قريش يعرفون ذلك ويعترفون به، لذلك قال تعالى: تنزه الله وتعاظم عن أن يكون له شريك أو نظير أو ولد.." (٢)

"وقال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحد ذهبا، ولا أنتفع به بقيراط. قيل فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. وقيل للأحنف بن قيس: ما أحلمك؟ قال: لست بحليم ولكني أتحالم، والله إني لأسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا، ما يمنعني من الجواب عنها إلا خوفي من أن أسمع شرا منها. وقال: لأفعى تحكك في الجوانب بيتي، أحب إلي من أيم قد رددت عنها كفوا. وقال: أكرموا سفهاءكم؛ فإنهم يقونكم العار والنار. وقال: ما خان شريف، ولا احتجب كريم، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن. وسأله معاوية عن ابنه يزيد. فقال: أخافك إن صدقت، وأخاف الله إن كذبت. وقال آخر النفس غير فارغة أبدا، فإن شغلتها بما يصلحها، وإلا شغلتك بما يفسدك. وقال آخر: أحسن ما الأنفة، الترفع عن معايب الناس، وترك الخضوع لما زاد عن الكفاية. وقال محمد بن عبد الملك الزيات احذروا الصديق الجاهل، أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن. وقال آخر: ينبغي أن يكون حفظ الرجل للمرأة من حيث لا تعلم. فإن من شأن النفس التطلع إلى ما منعته. وقال النعمان بن المنذر من سأل فوق قدره استحق الحرمان، ومن ألحف في المسألة استحق الرد، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير الطاعة ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة. وقيل لأعرابي لم قطعت أخاك وهو من أبيك وأمك؟ فقال إني لأقطع العضو الفاسد وهو أقرب إلي منه، إذا رأيت في ذلك الصلاح. وقيل لأعرابي آخر: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوك وعدو عدوك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: لا يوجد العجول محمودا، ولا الحسود مسرورا، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحريص حرا، ولا الشره غنيا. وقال: سمعت أعرابيا يقول: أقبح أعمال المقتدرين الانتقام، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. وقال العتبي

---

(١) أم القرى الكَوَاكِبِي ص/٦٩

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/٣٣٣٠

سمعت أعرابيا يقول لآخر إن فلانا وإن خف عليك، فإن عقاربه تسري إليك، فإن لم تجعله عدوا في علانيتك، فلا تجعله صديقا في سريرتك.وقيل لامرئ القيس: ما السرور؟ فقال: بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة، بالشحم مكروبة.وقيل للأعشى: ما السرور؟ فقال: صهباء صافية، تمزجها غانية، من صوب غادية.وقيل لطرفة: ما السرور؟ فقال: مطعم شهي، ومشرب روي، وملبس دفي، ومركب وطي.وقيل لبعض الأعراب: ما السرور؟ فقال: الكفاية في الأوطان، والجلوس مع الإخوان.وقال الحجاج لخزيم الناعم: ما السرور؟ فقال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له؟ قال: الغنى، فإني رأيت الفقير لا عيش له. قال زدني: قال الصحة، فإني رأيت المريض لا عيش له. قال زدني. قال: لا أجد مزيدا.وقيل للحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال اللواء المنشور: والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.وقيل للحسن بن سهل: ما السرور؟ فقال: توقيع جائز، وأمر نافذ.وقيل لعبد الله بن الأهتم: ما السرور؟ فقال: رفع الأولياء، ووضع الأعداء؛ وطول البقاء، مع الصحة والنماء.وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: إقبال الزمان، وعز السلطان، وكثرة الإخوان.وقيل لضرار بن عمرو: ما السرور؟ فقال: إقام الحجة واتضاح الشبهة.وقال إعرابي لآخر اسحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.وقال بعض الحكماء: لا يكون الرجل عاقلا، حتى يكون عنده تعنيف الناصح ألطف موقعا من ملق الكاشح.وقال آخر: اطلب في الدنيا **العلم والمال،** تحز الرياسة على الناس، لأنهم بين خاص وعام، فالخاصة تفضلك بما تعلم، والعامة تفضلك بما تملك.وقال هارون الرشيد لإسماعيل بن صبيح إياك والدالة فإنها تفسد الحرمة، وتنقص الذمة، ومنها أتى البرامكة.وقال: ما في الدنيا ابن يستوي عليه ثوب أبيه إلا تمنى موته.وقال المنتصر بالله: والله ما ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه؛ ولا عز ذو باطل ولو طلع القمر في جبينه.وقال آخر حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة، لأن المقبل كالصاعد مرقاة، والمدبر كالمقذوف به من موضع عال.وقال آخر: أحق الأشياء بالصبر عليه ما ليس إلى دفعه سبيل، ولا على تغييره قدرة.." (١)

"و " تذكرة العنوان " في النحو والمنطق والعروض، و " شرح تشريح الأفلاك للبهائي " و " تفسير " وتاريخ "كبير، و " ديوان شعر – خ " في النجف، ورسالة في " الحساب " (١) .الفرجي = محمد بن يعقوب ٢٧٠ابن فرج (القرطبي) = محمد بن أحمد ٦٧١.ابن فرح = أحمد بن فرح ٦٩٩فرح أنطون(١٢٩١ – ١٣٤٠ هـ = ١٨٧٤ – ١٩٢٢ م)فرح بن أنطون بن الياس أنطون: كاتب باحث، صحفي، روائي. ولد وتعلم في طرابلس الشام.وانتقل إلى الإسكندرية سنة ١٨٩٧ م، فأصدر مجلة " الجامعة " وتولى تحرير " صدى الأهرام " ستة أشهر، وأنشأ لشقيقته روز أنطوان حداد مجلة " السيدات " وكان يكتب فيها بتواقيع مستعارة.ورحل إلى أميركا سنة ١٩٠٧ م، فأصدر مجلة وجريدة باسم " الجامعة " ثم حجبهما.وعاد إلى مصر، فشارك في تحرير بضع جرائد، وكتب عدة روايات تمثيلية، وعاود إصدار مجلته، فاستمر الى أن توفي في القاهرة. من آثاره: " مجلة الجامعة – ط " ستة مجلدات، و " ابن رشد وفلسفته – ط " و " تاريخ المسيح – ط " ترجمه عن الفرنسية، ونحو خمس وعشرين رواية، منها " الدين **والعلم والمال** – ط " و " الكوخ الهندي – ط " و " الوحش – ط " و " بولس وفرجيني – ط " و " أورشليم الجديدة – ط ". وكان عزيز النفس، لين الطبع، جلدا على العمل، راضيا بالكفاف. قاوم

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٥

النزعات الاستعمارية، وكانت له في خدمة النهضة____________(١) روضات الجنات ٥١١ والذريعة ٢: ٤٨٧ ثم ٤: ٤١ ومكتبة الحكيم ١٢٣ - ١٢٧.." (١)

"للقتال﴾ [آل عمران: ١٢١] قيل: كان الرجل يأتي الصف، فيقول: تفسحوا، فيأبوا، لحرصهم. والأول أنسب بذكر النجوى أولا وثانيا. فإن امتثلتم وتفسحتم ﴿يفسح الله لكم﴾ في كل ما تريدون التفسح فيه، من الرزق، والدار، والصدر، والقبر، والجنة، والعلم، والمعرفة. ﴿وإذا قيل انشزوا﴾ أي: ارتفعوا من مجلسه، وانهضوا للصلاة، أو الجهاد، أو غيرهما من أعمال البر، أو: انشزوا للتوسعة في المجلس على المقبلين، ﴿فانشزوا﴾ أي: فانهضوا ولا تبطئوا، وقيل: كانوا يطيلون الجلوس معه صلى الله عليه وسلم وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، فأمروا بالقيام وعدم التثقيل. وفي مضارع " نشز " لغتان الضم والكسر، والأمر تابع له.﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بامتثال أوامره وأمر رسوله، بالنصر وحسن الذكر في الدنيا، والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة. ﴿و﴾ يرفع ﴿الذين أوتوا العلم﴾ خصوصا ﴿درجات﴾ عالية، بما جمعوا من أثري العلم والعمل، فإن العلم مع علو رتبته يزيد مع العمل رفعة لا يدرك شأوها، بخلاف العلم العاري عن العمل، وإن كان له شرف في الجملة، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله فقط. وفي هذه الدرجات قولان، أحدهما: في الدنيا، في الرتبة والشرف والتعظيم، والآخر: في الآخرة، وهو أرجح. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: " يرفع العالم فوق المؤمن سبعمائة درجة، بين كل درجة كما بين السماء والأرض "، ومثل هذا لا يقال بالرأي. وتقدير الآية: يرفع الله الذي آمنوا منكم درجة، والذين أوتوا العلم درجات، وقيل: " درجات " يرجع لهما معا، وتفضيل أهل العلم يؤخذ من خارج.وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان إذا قرأها قال: " يا أيها الناي افهموا هذه الآية، ولترغبكم في العلم ". وعن النبي صلى الله عليه وسلم: " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدرعلى سائر الكواكب "، وعنه صلى الله عليه وسلم: " عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة " يعني الجاهل، وعنه صلى الله عليه وسلم: " يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء "، فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشمل الحديث العلماء بالله وبأحكام الله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان عليه السلام بين **العلم والمال** والملك، فاخترا العلم، فأعطى المال والملك معه. وقال صلى الله عليه وسلم: " أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم، أحب كل عليم." (٢)

"وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة.وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا في مكانهم.وقال عيسى عليه السلام: من تعلم وعلم وعمل فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء.وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان بن داود عليه السلام بين **العلم والمال** والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٤١/٥

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٣/٧

معه.وقال بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم؟ وأي شيء فات من أدرك العلم.ولا يخفى فضل العلم ببديهة العقل، لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق وسبب الخلود في النعيم الدائم، ولا يعرف التقرب إلى المعبود إلا به، فهو سبب لمصالح الدارين.قال الحسن: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم. وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلي من قيام ليلة.وكيف لا يقول هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " يوزن مداد العلماء مع دم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء ".ومن آداب العالم: أن يترك فضول الدنيا ليتبعه الناس، فإن الاستدلال بالفعل أقوى من الاستدلال بالقول، فإن الطبيب إذا أمر الحمية ثم خلط لم يلتفت إلى قوله.أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي همام الكلاعي عن الحسن أنه مر." (١)

"والفاء تفريع على جملة قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة [فصلت: ١٤] المقتضية أنهم رفضوا دعوة رسوليهم ولم يقبلوا إرشادهما واستدلالهما.وأما حرف شرط وتفصيل، وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم في سورة البقرة [٢٦] . والمعنى: فأما عاد فمنعهم من قبول الهدى استكبارهم.والاستكبار: المبالغة في الكبر، أي التعاظم واحتقار الناس، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل: استجاب، والتعريف في الأرض للعهد، أي أرضهم المعهودة. وإنما ذكر من مساويهم الاستكبار لأن تكبرهم هو الذين صرفهم عن اتباع رسولهم وعن توقع عقاب الله.وقوله: بغير الحق زيادة تشنيع لاستكبارهم، فإن الاستكبار لا يكون بحق إذ لا مبرر للكبر بوجه من الوجوه لأن جميع الأمور المغريات بالكبر من العلم والمال والسلطان والقوة وغير ذلك لا تبلغ الإنسان مبلغ الخلو عن النقص وليس للضعيف الناقص حق فيالكبر ولذلك كان الكبر من خصائص الله تعالى. وهم قد اغتروا بقوة أجسامهم وعزة أمتهم وادعوا أنهم لا يغلبهم أحد، وهو معنى قولهم: من أشد منا قوة فقولهم ذلك هو سبب استكبارهم لأنه أورثهم الاستخفاف بمن عداهم، فلما جاءهم هود بإنكار ما هم عليه من الشرك والطغيان عظم عليهم ذلك لأنهم اعتادوا العجب بأنفسهم وأحوالهم فكذبوا رسولهم.فلما كان اغترارهم بقوتهم هو باعثهم على الكفر وكان قولهم: من أشد منا قوة دليلا عليه خص بالذكر. وإنما عطف بالواو مع أنه كالبيان لقوله: فاستكبروا في الأرض بغير الحق إشارة إلى استقلاله بكونه موجب الإنكار عليهم، لأن قولهم ذلك هو بمفرده منكر من القول فذكر بالعطف على فعل «استكبروا» لأن شأن العطف أن يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ويعلم أنه باعثهم على الاستكبار بالسياق.." (٢)

"بالملك منه﴾ لأنا من سبط الملوك ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملوك ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ اختصه بالملك ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (١).قال ابن عباس: كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه (٢).والبسطة: الزيادة في كل شيء، ويسمى طول القامة: بسطة. والزيادة في المال والعلم وفي كل شيء: بسطة (٣).وقال الكلبي: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ بالحرب (٤) ﴿والجسم﴾ يعني: بالطول.وكان يفوق الناس برأسه ومنكبه (٥)، وإنما سمي طالوت لطوله (٦). قال الزجاج: أعلم الله عز وجل أن الذي يجب أن يقع به الاختيار

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١٩٣/٢

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٦/٢٤

العلم، ليس أن الله عز وجل لا يملك إلا ذا مال، وأعلمهم أن الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ (٧) يريد: أن الملك ليس______________(١) "تفسير الطبري" ٢/ ٦٠١، "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٣٤٧.(٢) ينظر: "تفسير ابن أبي حاتم" ٢/ ٤٦٦.(٣) ينظر في بسطة: "تهذيب اللغة" ١/ ٣٣٤، "المفردات" ص٥٦ - ٥٧، "اللسان" ١/ ٢٨٣.(٤) "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٣٤٨، "تفسير البغوي" ١/ ٢٩٨، وقال القرطبي: وهذا تخصيص للعموم بغير دليل.(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٦٦ عن ابن عباس، وينظر: "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٣٤٨.(٦) "تفسيرالثعلبي" ٢/ ١٣٤٨.(٧) كذا في "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٣٢٨ - ٣٢٩.." (١)

"من مبررات هذه الدرجة على ما تلهم آية سورة النساء هذه: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (٣٤) ويعزى هذا القول إلى ابن عباس أيضا. ولعل كون الرجل هو الذي يملك حق الطلاق ويملك حق التزوج بأكثر من زوجة من مظاهر هذه الدرجة. ومما قاله رشيد رضا في سياق تفسيره للآية: «إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين لا بد من أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه في الخلاف لئلا يعمل كل فرد ضد الأمر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل نظامهم، والرجل أحق بالرئاسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله فجعل الله له هذه الدرجة» . وفي هذا السداد وفيه توضيح لمعنى جملة: بما فضل الله بعضهم على بعض في آية النساء [٣٤] .ولقد كان النساء وما زلن ولسوف يظللن يشعرن في قرارة أنفسهن على الأقل في صلاحية الرجل لهذه الدرجة في هذا المعنى مهما بلغن من درجات في العقل **والعلم والمال** والقوة حيث يبدو في ذلك إعجاز التقرير القرآني. هذا مع التنبيه على أنه ليس في أسلوب الآية فضلا عن فحواها ما يمكن أن يفيد أن هذه الدرجة التي جعلت للرجل على المرأة يصح أن تكون استعلاء وتحكما وقهرا.٦- ونستطرد فنقول: إن المتبادر أن جملة ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أوسع شمولا من حق الزوجة في عدم الموافقة على المراجعة إذا اعتقدت أن مطلقها لا يريد بذلك إصلاحا. وأنه مما ينطوي فيها تقرير حقها في أن يكون لها على الرجل كل ما عليها له من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاملة ومودة واحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة وقضاء ما لا يستطيع قضاءه من مصالح وحاجات. واعتباره إياها شريكة حياته في مختلف نواحيها." (٢)

"فاغربي عني، فوالله لا ألين لك فتخدعيني، ولا أنقاد لك فتذليني. أتغريني بأن أنام على القباطي من اليمن، وأتمرغ في مفروش من منقوش الأرمن، وأغذو نفسا حلوها ومزها لتسمن، إذن أكون كإبل ترعى وتبعر. والله لأروضن، نفسي رياضة تهش إلى قوتها إذا عنه نفرت، وتقنع بملحها مأدوما إذا هي أفطرت، لعلها تنال نعيما، وملكا كبيرا جسيما والسلم ".وعن أبي حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٢٢/٤

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤١٦/٦

فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال: " يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها. يا كميل احفظ عني ما أقول: الناس ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، لكل ناعق أتباع يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. يا كميل، العلم خير من المال. العلم يحرسك، وأنت تحرس المال. والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق. يا كميل محبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، ومنفعة المال تزول بزواله. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. ياكميل، مات خزان **المال والعلماء** باقون ما بقي الدهر. أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. ثم قال: ها إن هاهنا علما " وأشار إلى صدره " لو أصبت لها حملة، بلى أصبته لقنا غير مأمون. يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا، ويستظهر بحجج الله على أوليائه، وبنعم الله على معاصيه، أو منقادا لحملة العلم، لا بصيرة له في أنحائه. يقدح الشك في قلبه بأول ناعق من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك. فمن هو منهوم باللذات، سلس القيادة إلى الشهوات، ومغرم بالجمع والادخار. وليس من دعاة الدين أقرب شبها به الأنعام، كذلك يموت العلم بموت حامليه ".ثم قال: " اللهم لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهرا مستورا، وإما خافيا مغمورا، لئلا تبطل حجج الله وميثاقه. وكم وأين أولئك الأقلون عددا." (١)

"اعتقاده في حجر أنه هو صانعه وأنه يستحق عبادته.وقد قال في موضع آخر إشارة إلى ما يعم في هذا المعنى وغيره: (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢)وقد قال بعض الحكماء: مثل الإنسان وشغفه بهذا الحجر، بل سائرالأعراض الدنيوية كمثل قوم كانوا في سفينة يقصدون أفضل بلد وأطيبه، فانتهت بهم السفينة إلى جزيرة أرادوا الخروج إليها والتفسح فيها للطهارة، والجزيرة ذات أسود وأساود، فأمروا بالخروج وأن يكونوا على حذر، فلما خرجوا إليها رأوا فيها حجارة مزخرفة وأزهارا مستحسنة مختلفة، فأعجبهم ذلك وشغفوا به وأمعنوا في الجزيرة وتباعدوا عن المركب ونسوا أنفسهم ومقصدهم وبقوا لاهين بما رأوا من ذلك، حتى سارت السفينة فثارت عليهم الأسود والأساود تفترسهم وتنهشهم فلن يغن عنهم ما خدعهم وألهاهم من تلك الأحجار والأزهار، فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذهحاله: (ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) .ذكر المال والأدب في اقتنائه والوجوه التي منها يحصلقد تقدم أن المال من الخيرات المتوسطة، لأنه كما قد يكون سببا للخير فقد يكون سببا للشر، لكن لما كان في أكثر الأحوال موجبا كرامة أصحابه وتعظم أربابه حتى صدق قول الشاعر فيما قال:الناس أعداء لكل مدقع ... صفر اليدين وإخوة للمكثرقيل: رأيت ذا المال مهيبا مكرما، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " نعم المال الصالح للرجل الصالح "، واستصوب قول طلحة - رضي الله عنه - في دعائه: اللهم ارزقني مجدا ومالا فإنه لا يصلح المجد إلا بالمال، ولا يصلح المال إلا بمراعاة المجد، ونظر المتنبى هذا النظر حيث قال:فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجدهوقال بعض الحكماء: اطلب **العلم والمال** تحوي الرئاسة، فالناس خاص وعام." (٢)

---

(١) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة محمد البري ٢/٢٤٧

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٢٧٥

"يفعل هكذا» .ومنها: ظن قوم أن الرياضة تزيل الغضب بالكلية، وآخرون أنه لا يقبل العلاج أصلا.قال الغزالي: والحق ما سنذكره.وحاصله؛ أن الإنسان ما دام يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغضب، ثم المحبوب إن كان ضروريا كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فلا بد من الغضب لأجل تفويته، وإن كان غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم والمال الكثير أمكن عدم الغضب عليه بالزهد ونحوه، وإن صار محبوبا بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، وأكثر غضب الناس على هذا القسم، أو ضروريا في حق بعض الناس ككتب العلماء وآلات المحترفين، وهذا القسم لا يغضب لفواته إلا المضطر إليه بخلاف غيره.إذا علم ذلك، فالقسم الأول: لا تؤثر الرياضة في زواله بالكلية لأنه قضية الطبع بل في استعماله على حد يستحسنه الشرع والعقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا.وكذلك القسم الثالث، لأن من هو ضروري في حقه بمنزلة المضطر إلى الغضب على فواته، فلا يمكن بالمجاهدة زواله بل ضعفه نظير ما تقرر في الذي قبله.وأما القسم الثاني: فيمكن بالمجاهدة زواله بالكلية لإمكان إخراج حبه من القلب لعدم اضطراره إليه، ولملاحظة أن وطن الإنسان الحقيقي القبر ومستقره الآخرة، وإنما الدنيا محل تزوده بقدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فليزهد فيها ما حيا حبها من قلبه.نعم وصول الرياضة إلى قلع أصل هذا نادر جدا.وتأمل قوله – صلى الله عليه وسلم –: «اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» .«وقال ابن عمرو بن العاص: يا رسول الله أكتب عنك ما قلت في الغضب والرضا؟ فقال – صلى الله عليه وسلم –: اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه ولم يقل إني لا أغضب، ولكن قال: إن الغضب لا يخرجني عن الحق» : أي لا." (١)

"الفقراء.روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» وفي رواية: «من مسح رأس يتيم ولم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يداه حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه» ﴿والجار ذي القربى﴾ أي: القريب منك في النسب أو الجوار ﴿والجار الجنب﴾ أي: البعيد عنك في النسب أو الجوار.روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابا» .وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها» .وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه» . ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي: الرفيق في السفر كما قاله ابن عباس ومجاهد، أو المرأة تكون معه إلى جنبه كما قاله علي والنخعي، أو الذي يصحبك رجاء نفعك في تعلم علم أو حرفة أو نحو ذلك كما قاله ابن جريج وابن زيد ﴿وابن السبيل﴾ أي: المسافر؛ لأنه يلازم السبيل، أو الضيف كما عليه الأكثر.روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» . وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة» ، والضيافة ثلاثة أيام،

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٩٧/١

فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجه ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ أي: من الأرقاء من عبيد وإماء.روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه» ، وفيه رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا﴾ أي: متكبرا على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه وغيرهم ولا يلتفت إليهم ﴿فخورا﴾ أي: يتفاخر عليهم بما آتاه الله.روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» . وفي رواية: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» . وقوله تعالى: ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يبخلون﴾ أي: بما يجب عليهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ بذلك ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من **العلم والمال** وهم اليهود بخلوا ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكتموها وكانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون. وخبر المبتدأ محذوف تقديره لهم وعيد شديد ويصح أن يكون (الذين) بدلا من قوله: من كان، أو منصوبا على الذم أو مرفوعا عليه أي: هم الذين، وقرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الباء والخاء، والباقون بضم الباء وسكون الخاء ﴿وأعتدنا للكافرين﴾ بذلك وبغيره ﴿عذابا مهينا﴾ أي: ذا إهانة وضع الظاهر فيه موضع المضمر إظهارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بالله لكتمانه صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه.وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أنعم الله على عبد نعمة." (١)

"استعلام وإنما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع، وقيل المراد أن الله تعالى إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لأنه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة إلى السؤال، فإن قيل كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ (الحجر: ٩٢ ـ ٩٣)أجيب: بحمل ذلك على وقتين، وقال أبو مسلم: السؤال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب، قال ابن عادل: وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ (النحل، ٨٤) هذا يوم لا ينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون (المرسلات: ٣٥، ٣٦) .﴿فخرج﴾ أي: فتسبب عن تجبره واغتراره بماله أن خرج ﴿على قومه﴾ أي: الذين نصحوه في الاقتصاد في شأنه والإكثار في الجود على إخوانه وقوله تعالى: ﴿في زينته﴾ فيه دليل على أنه خرج بأظهر زينته وأكملها وليس في القرآن إلا هذا القدر.والناس ذكروا وجوها مختلفة: فقال إبراهيم النخعي أنه خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر، وقال ابن زيد: في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل: خرج على بلغة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال ولما كان كأنه قبل ماذا قال قومه له قيل ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ منهم لسفول هممهم وقصور نظرهم على الفاني لكونهم أهل جهل وإن كان قولهم من باب الغبطة لا من باب الحسد الذي هو تمني زوال نعمة المحسود ﴿يا ليت لنا﴾ أي: نتمنى تمنيا عظيما أن نؤتى من أي مؤت كان وعلى أي وصف كان ﴿مثل ما أوتي قارون﴾ أي: من هذه الزينة وما تسبب

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٠٢/١

عنه من العلم حتى لا نزال أصحاب أموال، ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم أن ثم من يريدان ينكر عليهم ﴿إنه لذو حظ﴾ أي: نصيب وبخت من الدنيا ﴿عظيم﴾ بما أوتيه من العلم الذي كان سببا له إلى جمع هذا المال وهؤلاء الراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار وأن يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما أوتي قارون من **المال والعلم** الظاهر الذي أدى إلى اتباعه قوله تعالى:﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم أهل الدين قال ابن عباس: رضي الله تعالى عنهما يعني الأحبار من بني إسرائيل، وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة فقالوا للذين تمنوا ﴿ويلكم﴾ ويل: أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر، وهو منصوب بمحذوف أي: ألزمكم الله ويلكم ﴿ثواب الله﴾ أي: الجليل العظيم ﴿خير﴾ أي: من هذا الحطام الذي أوتيه قارون في الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير حل به الويل، ثم بينوا مستحقه تعظيما له وترغيبا للسامع في حاله بقولهم ﴿لمن آمن وعمل﴾ تصديقا لإيمانه ﴿صالحا﴾ ثم بين تعالى عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله تعالى: ﴿ولا يلقاها﴾ أي: هذه النصيحة التي قالها أهل العلم وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله أو الجنة المثاب بها ﴿إلا الصابرون﴾ أي: على أداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار الذين صار الصبر لهم خلقا، ولما تسبب عن نظره هذا الذي أوصله إلى الكفر بربه أخذه بالعذاب أشار إلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى:﴿فخسفنا﴾ أي: بمالنا من العظمة ﴿به وبداره الأرض﴾ روي أنه كان." (١)

"فتسبب عن ذلك صدهم ﴿عن السبيل﴾ أي: منعهم عن سلوك الطريق الذي لا طريق إلا هو لكونه يوصل إلى النجاة، وغيره يوصل إلى الهلاك، ولما كان ذلك ربما ظن لفرط غباوتهم قال: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي: معدودين بين الناس من البصراء العقلاء، ولما كان فرعون ومن ذكر معه من العتو بمكان لا يخفى لما أوتوا من القوة بالأموال والرجال قال:﴿وقارون﴾ أي: وأهلكنا قارون وقومه لأن وقوعه في أسباب الهلاك أعجب لكونه من بني إسرائيل ولأنه ابتلي **بالمال والعلم** فكان ذلك سبب إعجابه فتكبر على موسى وهارون عليهما السلام فكان ذلك سبب هلاكه ﴿وفرعون وهامان﴾ وزيره الذي أوقد له على الطين فباع سعادته ليكونه ذنبا لغيره ﴿ولقد جاءهم﴾ من قبل ﴿موسى بالبينات﴾ أي: بالحجج الظاهرات التي لم تدع لبسا ﴿فاستكبروا﴾ أي: طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك ﴿في الأرض﴾ بعد مجيء موسى عليه السلام إليهم أكثر مما كانوا قبله ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي: فائتين بل أدركهم أمر الله، من سبق طالبه إذا فاته.﴿فكلا﴾ أي: فتسبب عن تكذيبهم أن كلا ﴿أخذنا﴾ أي: بما لنا من العظمة ﴿بذنبه﴾ أي: أخذ عقوبة ليعلم أنه لا أحد يعجزنا ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ أي: ريحا عاصفا فيها حصباء كقوم لوط وعاد ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ أي: التي تظهر شدتها الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها الأرض كمدين وثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ أي: غيبناه فيها كقارون وجماعته ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ بالغمر في الماء كقوم نوح وفرعون وقومه وعذاب قوم صالح المعد في الإغراق والمعد في الخسف فتارة يهلك بريح تقذف بالحجارة من السماء كقوم لوط أو من الأرض كعاد ﴿وما كان الله﴾ أي: الذي لا شيء من الجلال والكمال إلا له ﴿ليظلمهم﴾ أي: فيعذبهم بغير

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١١٩/٣

ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم﴾ لا غيرها ﴿يظلمون﴾ بارتكاب المعاصي ولم يقبلوا النصح مع هجرهم، ولا خافوا العقوبة على ضعفهم، ولما بين تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالى اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا فقال: ﴿مثل الذين اتخذوا﴾ أي: تكلفوا أن اتخذوا ﴿من دون الله﴾ أي: الذي لا كفء له فرضوا بالدون الذي لا ينفع ولا يضر عوضا عمن لا تكيفه الأوهام والظنون ﴿أولياء﴾ ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها في الضعف والوهن. ﴿كمثل العنكبوت﴾ أي: الدابة المعروفة ذات الأرجل الكثيرة الطوال ﴿اتخذت بيتا﴾ أي: تكلفت أخذه في صنعتها له ليقيها الردى ويحميها البلاء كما تكلف هؤلاء اصطناع أربابهم ليقوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها في أمره وتعبها الشديد في شأنه في غاية الوهن ﴿وإن﴾ أي: والحال إن ﴿أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها ﴿لبيت العنكبوت﴾ لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن، وأيضا أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أي: لو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به ولعلموا أن هذا مثلهم فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثلهم، ولقائل." (١)

"المأمورون بالتفسح السامعون للأوامر المبادرون إليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجلسهم وتوسعهم لإخوانهم ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ يجوز أن يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام فإن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين، ويجوز أن يكون والذين أوتوا العلم من عطف الصفات أي: تكون الصفتان لذات واحدة كأنه قيل: يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان، وقال ابن عباس: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿منكم﴾ وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر أي: ويخص الذين أوتوا العلم درجات أو ويرفع درجات.قال المفسرون: في هذه الآية أن الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم، قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الآية، والمعنى: أن الله تعالى يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا بما أمروا به وقال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩)وقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علما﴾ (طه: ١١٤)وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨)والآيات في ذلك كثيرة معلومةوأما الأحاديث فكثيرة مشهورة منها من «يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» وروي أن عمر رضى الله عنه «كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فسكتوا فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم» .ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» والمراد بالحسد: الغبطة: وهي أن تتمنى مثله ومنها أنه صلى الله عليه وسلم «قال لعلي كرم الله وجهه: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من جاءه أجله وهو يطلب العلم لحيي به الإسلام لم يفضله النبيون إلا بدرجة واحدة» ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بين العالم والعابد

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٤١/٣

مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة» .ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وفي رواية كفضلي على أدناكم» .ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أني عليم أحب كل عليم» .ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلمومنها: «أنه صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون لله عز وجل ويرغبون إليه، وأما هؤلاء فيتعملون الفقه ويعلمونه الجاهل فهؤلاء أفضل، وإنما بعثت معلما ثم جلس فيهم» والأحاديث في ذلك كثيرة جدا.وأما أقوال السلف فلا تحصر، فمنها ما قاله ابن عباس: أن سليمان عليه السلام خير بين **العلم والمال** والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه، وما قاله بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك." (١)

"الايام فلذلك لقبته به ولما صار الى مسجد السنة لم يلتمس لها شيئا إذ كان في غنى عنه وبورك له في **العلم والمال** وكان شديدا في ذات الله قائلا بالحق عاملا به امرأ بالمعروف وناهيا عن المنكر ثم كان بينه وبين الفقيه عمر العقيبي مودة الى ان توفي على الحال المرضي سنة اثنتين وثمانين وستمائة وقبر بمحيطان ودفن الى جنب قبر والده كان له ابنان وابنتان فتوفي الولدان على حياته وتزوج محمد بن احمد العرشاني مقدم الذكر احدى البنتين وعلي بن العسيل الاخرى بحياته اليهما صارت تركته والى ابنته نصيب مما ظهر واستولى على مسجد السنة ابن العسيل الاتي ذكره ثم ابنه من بنت الفقيه على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالىومنهم ابو بكر بن عبد الله بن علي بن كحيل كان ذا مسموعات واجازات شغلته العبادة والعزلة عما سواهما وكان يعتكف بمقصورة في مسجد السنة ولما بلغ خبره وما هو عليه من العزلة والاجتهاد في العبادة الى المنصور بن الرسول زاره الى مسجد السنة وسأله الدعاء وقد اخذ عنه جماعة من جبلة وغيرها وابوه عبد الله كان من اعيان المشايخ وهو جد المشايخ المعروفين بجبله ببني كحيل فيهم جماعة اخيار اهل مرؤة ومن خير عبد الله زوج ابنته بالفقيه ابي القبائل مع الثروة وفقر ابي القبائل نظرا الى الدين والحسب لا الى النسب والغالب على ذريته الى عصرنا الخير وفعلهومنهم ابو محمد الحسن بن محمد بن سباء بن حسين بن ابي السعد مولده سنة اثنتي عشرة وستمائة وتفقه ابتداء بمحمد بن مصباح وبالامام اسماعيل الحضرمي واخذ عن اسحاق الطبري وغلبت عليه العبادة والاشتغال بكتب الحديث والرقائق وله عن علاء الدين ابو بكر في مرثاته التي رثى بها الامام اسماعيل اذ كان هذا حسن اكثر اهل الجبال شهرة لصحبة الفقيه اسماعيل وتوفي هذا على الحال المرضي لنيف وتسعين وستمائةومنهم عباس بن بركات الهمداني كان فقيها فاضلا غلب عليه اللغة والاشتغال بكتبها اخذ عن محمد بن مصباح وغيره وسمعت من يذكره باتقان." (٢)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢٣٠/٤

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ١٧٥/٢

"(ضيعت كتبا بلا حق خسرت بها ... دنيا وأخرى فقد آذيت يا خالي)وقال أيضا:(قولوا لخال قد غدا خاليا ... من عقله **والعلم والمال**)(أخليت دار الحبر من كتبها ... ويحك مذ أدعوك يا خالي)في أشياء اقتضت لخاله التحرك عليه حين بلغه أنه انتقص جده بأمر لا يجوز نسبته إليه وبلغ صاحب الترجمة من بعض المفتين له المهولين في كتابته فتوجه للقاضي علم الدين واعترف عنده بذلك وعمل مصلحته بحيث سد الباب عن تطرق خاله إليه وكذا ذكر والد نفسه بما لا يعجبه لا لمعنى يقتضيه حيث قال وكان في خلقه شدة وزعارة، ونسبه إلى الخسة، وعلى كل حال فهو إنسان ساكن حسن الفهم متعبد بالصوم منجمع عن الناس لكنه من أبناء الترك مستبد برأي نفسه مع نقص رأيه وعقله والأنسب في حقه السكوت والله تعالى يحسن عاقبتنا وإياه، وقد كتبت عنه ونحن بعمريط من الشرقية في سنة إحدى وخمسين ما قال أنه له وهو:(ورب غصن غنج طرفه ... ذي وجنة حمرا وقد قويم)(سألته ما الاسم يا باخلا ... بالوصل قل لي قال عبد الكريم)وقرضهما له الشهاب الحجازي والبقاعي بما أوردته في البقاعي من المعجم وجازف فترجمه بما أورده بنصه فقال ولد بعد سنة خمس وعشرين بالقاهرة وكان أبوه مقربا عند المؤيد فلما مات ساءت حاله ثم توفيت زوجته فربي يوسف هذا عند جده مدللا، وكان متزييا بزي الأجناد متمذهبا لأبي حنيفة، ورمى النشاب فأجاد فلما بلغ آنس رشدا فحج سنة ثمان وأربعين فلما رجع تحول شافعيا وأقبل على الاشتغال بعلم الحديث وكتابة مصنفات جده وسماعها عليه وقراءتها بنفسه وأكب على سماع الأجزاء والكتب فسمع ابن الفرات وكثيرا من أكابر المشايخ)ففتح عليه وبرع في مدة يسيرة مع الاشتغال بغير ذلك من العلم وصيانة النفس واستئلاف الطلبة ثم استأذن السلطان في التزيي بزي الفقهاء فأذن له فزاده ذلك خيرا مع الدين والعفة وترك تعاطي الرياسة في دولة جده أو التفاته إلى شيء من تعلقات القضاء ورغب عما كان سماه جده باسمه من ذلك، وفرغ للاشتغال بالعلم ذهنه وأنصب في طلبه عينه وأذنه ونظم الشعر ثم ساق عنه المقطوع الماضي، وفيها مجازفات كثيرة لأغراض فاسدة، ومما أبرزه قديما مقامة قرضها له البدر ابن المخلطة وكاتبه بما أوردته في ترجمته من المعجم رحمه الله وعفا عنه.١١٩٣ - يوسف بن شرنكار العنتابي الحنفي. / ولد سنة ست وستين وسبعمائة وتعانى القرآت فمهر فيها وانتفعوا به وكان يتكلم على الناس بلسان الوعظ فصيح." (١)

"حجي في علمه وأنه لم يكن محمودا في مباشرته. وقال العيني: كان يتصدق على الفقراء في كل يوم بخمسة وعشرين درهما يصرف بها فلوسا لا يخل بذلك ولم يكن يقطع زكاة ماله مع بعض شح وطمع وتغفيل وأنه أقام بحلب قريبا من ثلاثين سنة فكان يكتب في كل يوم على أكثر من خمسين فتوى بدون مطالعة لقوة استحضاره وأنه حصل بحلب مالا كثيرا فنهب أكثره في اللنكية قال وهو أحد مشايخي قرأت عليه من كتاب البزدوي مجالس متعددة في حلب سنة ثلاث وثمانين، واختصر معاني الآثار للطحاوي سماه المعتصر وصنف غيره، قال وكان ظريفا لطيفا خفيفا جميل الصورة حسن اللحية مربوع القامة وإلى القصر أقرب وكذا قال ابن خطيب الناصرية أنه قرأ عليه السيرة والدرر المذكورين وأنه كان فاضلا كثير الاشتغال)والإشغال مجتهدا في تحصيل **العلم والمال** وله ثروة زائدة حصلها بحيلة العينة، ولما هجم اللنك البلاد عقد مجلس بالقضاة والعلماء لمشاطرة الناس في أموالهم فقال الملطي إن كنتم تفعلون بالشوكة فالأمر لكم، وأما نحن فلا نفتي بهذا ولا

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠/٣١٧

يحل أن نعمل به في الإسلام فانكف الأمراء عن التعرض لذلك ثم عن ارتجاع الأوقاف والإقطاع بزعم الاستعانة بذلك في دفع تمرلنك، وكان ذلك معدودا في حسناته مع كونه لم تحمد سيرته في القضاء وكونه نسب إليه ما تقدم ولكنه قد ثبت أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وقال شيخنا في رفع الأصر وغيره أن المحب بن الشحنة دخل عليه فذاكره يوما بأشياء وأنشده هجوا فيه موهما أنه لبعض الشعراء القدماء في بعض القضاة وهو:(عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى ... وما راقب الرحمن يوما وما اتقى)(يرى جائزا أكل الحشيشة والربا ... ومن سمع الوحي حقا تزندقا)مات في ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وشغر منصب القضاء بعده قليلا إلى أن استقر أمين الدين بن الطرابلسي، وذكره المقريزي في عقوده وغيرها بما قال بعض المؤرخين أن الحامل له عليه العداوة مع كونه لم ينفرد بكثير مما قاله رحمه الله وعفا عنه.ي ١٢٧٢ يوسف بن موسى بن يوسف الجمال المنوفي خطيبها بجامعها العتيق الشافعي والد زين الصالحين محمد والشرف موسى الماضيين. / ممن تميز في الميقات وعمل فيه مقدمة.١٢٧٣ - يوسف بن موسى بن الجيوشي شيخ بني مصعب. / قتل في مقتلة في صفر سنة إحدى وتسعين.١٢٧٤ - يوسف بن يحيى بن عبد الله الجمال بن الشرف بن سعد الدين ابن بنت المالكي الماضي أبوه وأخوه إبرهيم. / ولد في سادس رمضان سنة ست وثلاثين ومات أبوه وهو صغير فاستقر في وظيفته صحابة ديوان الجيش بمشاركة عمهما." (١)

"والعمل غير الإيمان، والإيمان غير العمل؛ بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن، ولا يجوز أن يقال ارتفع عنهالإيمان، فإن الحائض رفع الله عنها الصلاة، ولا يجوز أن يقال: رفع الله عنها الإيمان. وأمرها بترك الإيمان. وقال لها الشرع: دعي الصوم ثم أقضيه. ولا يجوز أن يقال: دعي الإيمان ثم اقضيه. ويجوز أن يقال: ليس على الفقراء زكاة. ولا يجوز أن يقال: ليس على الفقراء إيمان.وتقدر الخير والشر من الله تعالى؛ لأنه لو زعم أحد أن تقدير الخير والشر من غيره لصار كافرا بالله تعالى، وبطل توحيده، والله أعلم.*والثانية، نقر بأن الأعمال ثلاثة؛ فريضة، وفضيلة، ومعصية.فالفريضة بأمر الله تعالى، ومشيئته، ورضائه، وقدره، وتخليقه، وكتابته في اللوح المحفوظ.والفضيلة ليست بأمر الله، ولكن بمشيئته، ومحبته، ورضائه، وقدره، وتخليقه، وكتابته في اللوح المحفوظ.والمعصية ليست بأمر الله، لكن بمشيئته، لا بمحبته، وبقضائه، لا برضائه، وبتقديره، لا بتوفيقه، وبخذلانه، وعلمه، وكتابته في اللوح المحفوظ.*والثالثة، نقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى، أي استولى، من غير أن يكون جارحة واستقرار، وهو حافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره، ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار لكان قبل خلق العرش، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.*والرابعة، نقر بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى غير مخلوق، ووحيه، وتنزيله، لا هو ولا غيره، بل هو صفته على التحقيق، مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسنة، محفوظ في الصدور، غير حال فيها، والحبر والكاغد والكتابة مخلوق، لأنها أفعال العباد، لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن، لحاجة العباد إليها.وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء، فمن قال بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله تعالى معبود لا يزال عما كان، وكلامه مقروء، ومكتوب، ومحفوظ في الصدور منغير مزايلة عنه.والخامسة، نقر بان أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أبو بكر

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٣٣٦/١٠

الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم أجمعين؛ لقوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) .وكل من كان أسبق إلى الخير فهو أفضل عند الله تعالى، ويحبهم كل مؤمن تقي، ويبغضهم كل منافق شقي.*والسادسة، نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقا، فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة.*والسابعة، نقر بأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، ولم يكن لهم طاقة؛ لأنهم ضعفاء عاجزون، فالله تعالى خالقهم ورازقهم؛ لقوله تعالى: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحييكم) .والكسب **بالعلم والمال** من الحلال حلال، ومن الحرام حرام.والناس على ثلاثة أصناف؛ المؤمن المخلص في إيمانه، والكافر الجاحد في كفره، والمنافق المداهن في نفاقه.والله تعالى فرض على المؤمن العمل، وعلى الكافر الإيمان، وعلى المنافق الإخلاص؛ لقوله تعالى: (يا أيها الناس أتقوا ربكم) ، يعني يا أيها المؤمنون أطيعوا الله بالعمل الصالح، ويا أيها الكافرون آمنوا، ويا ايها المنافقون أخلصوا، والله أعلم.*والثامنة، نقر بأن الاستطاعة مع الفعل، لا قبل الفعل، ولا بعد الفعل؛ لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيا عن الله تعالى وقت الحاجة، فهذا خلاف حكم النص؛ لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيا عن الله تعالى وقت الحاجة، فهذا خلاف حكم النص؛ لقوله تعالى: (والله الغني وأنتم الفقراء) ، ولو كان بعد الفعل لكان من المحال، لأنه حصول بغير استطاعة، ولا طاقة.*والتاسعة، نقر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يوما وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها؛ لأن الحديث ورد هكذا، فمن أنكر فإنه يخشى عليه الكفر، لأنه قريب من الخبر المتواتر.." (١)

"ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب، وفتح له الطالب شيئا من أبواب العلم ينبغي له أن يشجع الطالب، وأن يشكره على ذلك؛ خلافا لما يظنه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه، وبين له شيئا كان خفيا عليه، تضايق المعلم، يقول هذا صبي يعلم شيخا فيتضايق، ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه، خوفا من أن يطلعه على أمر قد خفي عليه، وهذا من قصور علمه بل من قصور عقله. لأنه إذا من الله عليك بطلبة يذكرونك ما نسيت ويفتحون عليك ما جهلت، فهذا من نعمة الله عليك، فهذا من فوائد نشر العلم أنه يزيد إذا علمت العلم كما قال القائل مقارنا بين **المال والعلم** يقول في العلم:يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفا شددتإذا شددت به كفا، وأمسكته نقص، أي تنساه، ولكن إذا نشرته يزداد. وينبغي للإنسان عند نشر العلم أن يكون حكيما في التعليم، بحيث يلقي على الطلبة المسائل التي تحتملها عقولهم فلا يأتي إليهم بالمعضلات، بل يربيهم بالعلم شيئا فشيئا. ولهذا قال بعضهم في تعريف العالم الرباني: العالم الرباني هو: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. ونحن نعلم جميعا أن البناء ليس يؤتى به جميعا حتى يوضع على الأرض، فيصبح قصرا مشيدا بل يبنى لبنة لبنة، حتى يكتمل البناء، فينبغي للمعلم أن يراعي أذهان الطلبة بحيث يلقي إليهم ما يمكن لعقولهم أن تدركه،ولهذا يؤمر العلماء أن يحدثوا الناس بما يعرفون. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنك لن تحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة١.كذلك أيضا ينبغي للمعلم أن يعتني بالأصول والقواعد؛ لأن الأصول والقواعد هي التي يبنى عليها العلم. وقد قال العلماء:من حرم الأصول حرم الوصول: أي لا يصل إلى الغاية إذا حرم

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٥٠

الأصول،ــــــــــــــــ١ صحيح موقوف رواه مسلم ٥. وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٨٨٨، ٨٩٢. من عبد الله بن مسعود موقوفا.." (١)

"الصحابة، ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ يرفع الله – تعالى – بها العالم والطالب.قال القرطبي: ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة فكلموه في ذلك، فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير: ﴿إذا جآء نصر الله والفتح﴾ [النصر: ١] فسكتوا فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة» .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» .فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .وعن ابن عباس رضي الله عنه: «خير سليمان – صلوات الله وسلامه عليه – بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك معه» .." (٢)

"البختري حديثه في المال والعلم (١).* عمر بن الحكم السلمي، روى عنه عطاء بن يسار حديثه.* عمر بن عوف النخعي، حديثه: (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار).* عمر بن زيد الكعبي، روى عنه جد هارون بن مسلم حديثه في أسلم وغفار.* عمر الجمعي، روى عنه جبير بن نفير حديثه: (إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله).* عمر بن معاوية الغاضري، غاضرة قيس، روى عنه ابن عائذ حديثه في الخير والشر.* عمر بن عامر السلمي، روى عنه سلمة أبو عبد الحميد حديثه في أوقات الصلوات.* عمر بن سالم الخزاعي، روى عنه ابن عباس: أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأنشده: اللهم إني ناشد محمدا.* عمر بن غزية، روى عنه ابن عباس حديثه في نزول قول الله: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ [سورة هود: ١١٤].* عمر بن لاحق، روى عنه الحسن بن أبي الحسن حديثه: (لا وضوء على من مس فرجه).* عمر بن عمرو الليثي، روى عنه سهل بن علي النميري حديثه: كان عنده يوم الفتح خمس نسوة.ــــــــــــــــ(١) أبو البختري -بفتح الموحدة والمثناة- هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي، ينظر: التقريب ص ٢٤٠.." (٣)

"..استعار الروض ممن ... همت فيه ورد خدهورآه ذا احتياج ... فحباه غصن قدهثم أوفى نرجس الأل ... حاظ مع رمان نهدهفمن الإنصاف مهما ... سمى الروض بعبدهفلهذا يزدهى الرو ... ض علينا فوق حده ...وقوله في أبي عبد الله بن حمدين قاضي قرطبة ... إلى أي وقت أرتجيك وإنما ... يرجى الفتى أيان يسعده السعدوهذا أوان لحت فيه محكما ... يطيعك أهل العلم والمال والجندفمن لي بوعد إن تأخر حاضر ... فقد ينعش النفس المؤملة الوعد ...١٥٢ – القائد أبو الحسن علي بن وداعة السلمي البلكونيذكر الحجاري أنه كان من أعيانها ووليها لبني عامر وكان في المائة الخامسة وكان

---

(١) العلم للعثيمين ابن عثيمين ص/١٧٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٥٤٦

(٣) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٢/٢٥٤

فارسا شجاعا أديبا شاعرا وخاض في فتنة ابن عبد الجبار فقتل فيها ومن شعره قوله ... قفوا ساعة حتى أوفي بالعهد ... وأبدي إليكم من جوى بعض ما عنديأمر على الأطلال لم تجر أدمعي ... ولا مهجتي ذابت عليها من الوجدوأين وفاء كنت أعني بأمره ... لقد غيرت مني الحوادث بالبعدوما حلت لكني جليد على النوى ... أموت وما أخفيه ليس له مبدي ...." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمدأما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه فهذا الكتاب الثالث عشر من الكتب التي يشتمل عليها مملكة تدمير وهو كتاب الأشهر المهلة ف يحلى قرية الحرلة هي حسنة المنظر على نهر مرسية منها٥٤٨ - أبو بكر محمد بن عبد المجيدمن المسهب من علماء مذهب مالك رحمه الله وهو من ذوي التعين ف مرسية **والمال والعلم** والأصل ومن شعره قوله ... أيا حاسداص عبد العزيز وحاكيا ... له منزعا قد سار فيه على أصلفهبك تحاكيه بعبد وبغلة ... فمن لك أن تحكيه في القول والفعلتروم مكان البدر دون تصاعد ... وتهوى ثناء الناس من دون ما فضل ...." (٢)

"يريد مالا فترك الحراثة والتجارة والكسب ويتعطل، وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعني على كنز من كنوز أستغني به عن الكسب، فقد فعل ذلك لبعض عباده، فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما، وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا، فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعى لها، والله وتعالى يقول: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ، ويقول: (إنما تجزون ما كنتم تعملون) ويقول (إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفى جحيم) .فإذا لم تكن تترك السعي في طلب **العلم والمال** اعتمادا على كرمه، فكذلك لا تترك التزود للآخرة، ولا تفتر؛ فإن رب الدنيا واللآخرة واحد، وهو فيهما كريم رحيم، وليس يزيد له كرم بطاعتك وإنما كرمه سبحانه وتعالى في أن ييسر لك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد، بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل، وهذا نهاية الكرم.فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين، واقتد بأولى العزم والنهي من الانبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع، وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفر له.فهذه جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب؛ فإن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب؛ فهو تقوى الباطن، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد بها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد، فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك، وصلاحه يكون بملازمة المراقبة.القول في معاصى القلباعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة، وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة، وسبيل العلاج فيها غامض، وقد اندرس بالكلية علمه وعمله؛ لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا.وقد استقصينا ذلك كله في كتاب (إحياء علوم

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٢٢٣/١

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٢٩٢/٢

الدين) في ربع المهلكات وربع المنجيات، ولكنا نحذرك؛ فإنها مهلكات في أنفسها، وهي أمهات لجملة من الخبائث سواها: وهي الحسد، والرياء، والعجب؛ فاجتهد في تطهير." (١)

"وأما آفاته الدنيوية فالخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها فإذن ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عداه سموم وآفات. انتهى.فقد علمت مما ذكر أن كون المال خيرا من جهة وآفة من جهة والشيء الواحد يتصف بالضدين باعتبارين (وخير الناس من ينفع الناس، وقد سبق أن الكسب لأجل التصدق) في أواخر الفصل الثاني من الباب الثاني (أفضل من التخلي للعبادة) ليلا ونهارا؛ لأن نفعه متعد ونفع ذلك قاصر (وبه) أي بالكسب لذلك (يحصل أفضل المنازل) في الجنة (ت عن أبي كبشة الأنصاري – رضي الله تعالى عنه – أن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال في حديث طويل «عبد رزقه الله مالا، وعلما» نقل الحديث عن رياض الصالحين للنووي، وهو «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله تعالى عزا، ولا فتح عبد مسألة إلا فتح له الله تعالى باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله تعالى» إلخ (فهو) أي ذلك العبد (يتقي فيه ربه) بأن يعمل بعلمه ويؤدي حقوق ماله (ويصل فيه) أي المال (رحمه) وجوبا أو ندبا (ويعمل لله فيه حقا فهذا) يجاز به (بأفضل المنازل) الرفيعة في الجنة لجمعه بين المال والعلم وجوزه لفضلهما في الدنيا والآخرة وآخر الحديث في الجامع الصغير «وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا، ولم يرزقه علما تخبط في ماله بغير علم، ولم يتق فيه ربه، ولا يصل منه رحمه ولا يعمل لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا، ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء» ثم إن قطع الحديث من أوله أو من آخره قد منع بعض مطلقا وجوز بعض مطلقا، وإن لم يكن ارتباط المذكور للمتروك نعم وإلا لا، لعل هو المختار فافهم. وجه الاحتجاج ظاهر إذ لا أفضل من العمل المؤدي إلى المقام الرفيع.(خ م عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «لا حسد إلا في اثنين» يعني لا تكون الغبطة ممدوحة إلا في حق رجلين ليس هذا هو الحسد المحرم بل بمعنى الغبطة، وهو تمني مثل ماله من غير إرادة الزوال عنه قيل لا بأس فيه، وقيل مرضي إذا كان المتمنى ما يتقرب به إلى الله تعالى كطلب المال للإنفاق في الخير والعلم للعمل والإرشاد، وعن رياض الصالحين ينبغي أن لا يغبط إلا على هذين «رجل آتاه الله الحكمة» أي العلم النافع ودوام العمل بموجبه، وقيل أي العلم المصحوب بنفاذ البصيرة ونور السريرة «فهو يقضي به» بمقتضاه «ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته» بفتحات كغلبة بمعنى إهلاكه «في» طريق «الحق» فما يكون محسودا شرعا لا يكون إلا ممدوحا لا سيما إن كان في القرآن والحكمة – ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩]." (٢)

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٥٨

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣٨/٣

"وإن لزم الخصم لكن لا يفيد في مقام التحقيق فتأمل.«وقال) – صلى الله تعالى عليه وسلم – (لكعب أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» من أن تتصدق به كله لمعاشك ولخلاصك من نحو ذل السؤال (حين أراد أن يتصدق بماله كله) لما قبلت توبته حين تخلف عن تبوك شكر الله تعالى فقال، وإن من قبول توبتي أن أنخلع من مالي كله (وكل هذه الأحاديث (في) الأحاديث (الصحاح وقد سمى الله المال خيرا) في مواضع من كتابه (وامتن على حبيبه به حيث قال ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ [الضحى: ٨] أي بمال خديجة على أحد الوجوه) المذكورة في تفسيره يرد على المصنف بما قالوا إنه لا حجة مع الاحتمال (وقال سفيان الثوري: المال في هذا الزمان سلاح) يدفع به شر الأعداء ويعان به الأولياء فإن بالمال ينتصر على العدو وينصر دين الله ويتوصل به إلى إذلال أهل الباطل، وقمع شوكتهم وبه يوقع الهيبة (عرضه) من في قلوب أعدائه.(وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يطلب المال) حتى (يقضي به دينه ويصون) به ذل الفاقة وشماتة الأعداء كما قيل **العلم والمال** يستران كل عيب والفقر والجهل يكشفان كل عيب.وعن الشافعي – رحمه الله –ألم تريا أني مقيم ببلدة ... مراتب أهل الفضل فيها مجاهلفكاملهم من قلة المال ناقص ... وناقصهم من كثرة المال كامل(فإن مات تركه ميراثا لمن بعده.وقال ابن الجوزي) – رحمه الله تعالى – الحافظ الصديق الحنبلي من نقاد المحدثين (متى صح القصد) والنية (فجمع المال أفضل من تركه بلا خلاف عند العلماء) قيل بل هو أفضل بالاتفاق؛ لأن للوسائل حكم المقاصد. أقول لا يخفى أن الكلام مع الغني الشاكر فما لم يصح القصد لا يكون الغني شاكرا، وقد اختلف في الفتاوى هل التقاعد للعبادة والتفرغ لها أفضل أو الاكتساب بنية التصدق (وما ورد في ذم المال والدنيا) المذكور بعضه من الآيات والسنن وكلام السلف فإن قيل إن ما يصلح للاحتجاج هو الآيات والسنن فما وجه الاحتجاج بكلام السلف؟ . قلنا كلام السلف إنما لا يصلح احتجاجا إذا كان استقلالا، وأما إذا كان في تأييد نص فلا على أنه راجع إلى واحد منهما انتهاء لأخذه منهما ابتداء أو عند كون المطلوب ظنيا قد يحتج به غايته أنه من المقدمات الخطابية المقبولة كما مر (راجع إلى صفته الضارة، وهي) أي الصفة الضارة (الإطغاء) أي جعل صاحبه طاغيا قال الله تعالى ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ [العلق: ٦] ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٧] (والإنساء) من النسيان لغلبة الحب (والإلهاء عن ذكر الله تعالى) قال الله تعالى." (١)

"وقال فيه غير الضحاك: ما أسرع ما نسوا، لقد صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد.وفيها: توفي زيد بن سعنة، بالياء [وبالنون] [١] ، وبالنون أشهر، وهو أحد الأحبار [٢] الذين أسلموا. وكان كثير **العلم والمال**. وخبر إسلامه رواه الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله، قال: لما أراد الله هدي زيد بن سعنة، قال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في (١٢١ أ] وجه محمد حين نظرت إليه، إلا شيئين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما.وذكر الحديث بطوله. وهو في الطوالات للطبراني [٣] . وآخره [٤] : فقال زيد:أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وآمن به وتابعه، وشهد معه مشاهد. وتوفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر. والحديث غريب، من الأفراد [٥] .قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: وفيها قتلت فارس ملكهم شهرا برز [٦] بن شيرويه، وملكوا عليهم بوران بنت كسرى [٧] . وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال:«لن يفلح

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٤٠/٣

قوم ولوا أمرهم امرأة» [٨] .____________[١] سقطت من الأصل، والمثبت من: (ع) و (ح) .[٢] في الأصل «الأجناد» ، والتصحيح من (ع) و (ح) ، والاستيعاب ١/ ٥٦٣، والإصابة ١/ ٥٦٦ رقم ٢٩٠٤.[٣] في المعجم الكبير ٥/ ٢٥٣- ٢٥٥ رقم ٤٨٩.[٤] في الأصل «وأخبره» ، والتصحيح من (ع) و (ح) .[٥] في هامش ح: «هو في صحيح ابن حبان» . انظر: صحيح ابن حبان، رقم (٢١٠٥) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ٦٠٤، ٦٠٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث. وقد تعقبه الذهبي بقوله في تلخيص المستدرك ٣/ ٦٠٥. «وما أنكره وأركه لا سيما قوله: مقبلا غير مدبر، فإنه لم يكن في غزوة تبوك قتال» .[٦] هكذا في جميع النسخ. وفي تاريخ خليفة «شهربراز» .[٧] تاريخ خليفة ٩٣.[٨] أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٥/ ١٣٦) باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر. وفي." (١)

"الصلت، عن عبد الله بن أنيس. وهذا متصل عن سهيل، إذ سعيد بن الصلت تابعي كبير لا يمكنه أن يسمع من سهيل، ولو سمع منه لسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم، ولكان صحابيا، لكن المرسل أشهر.وكان سهيل بن بيضاء من السابقين الأولين، شهد بدرا وغيرها، وكذلك أخوه سهل، وقد توفي أيضا في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم.وقال عبد الوهاب بن عطاء، أنبأ حميد، عن أنس، قال: كان أبو عبيدة، وأبي بن كعب، وسهيل بن بيضاء، عند أبي طلحة، وأنا أسقيهم، حتى كاد الشراب أن يأخذ فيهم، ثم ذكر تحريم الخمر بطوله.وقال ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: لما توفي سعد، أدخلوه المسجد حتى أصلي عليه، فأنكر ذلك عليها، فقالت: والله لقد صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ابني بيضاء في المسجد سهيل وسهل١.وقال فيه غير الضحاك: ما أسرع ما نسوا؛ لقد صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد.وفيها: توفي زيد بن سعنة؛ بالياء وبالنون، وبالنون أشهر؛ وهو أحد الأحبار الذين أسلموا.وكان كثير **العلم والمال،** وخبر إسلامه رواه الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله، قال: لما أراد الله هدي زيد بن سعنة، قال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا شيئين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما. وذكر الحديث بطوله. وهو في الطوالات للطبراني، وآخره: فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وآمن به وتابعه، وشهد معه مشاهد، وتوفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر. والحديث غريب، من الأفراد.قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: وفيها قتلت فارس ملكهم شهرا برز بن شيرويه،____________١ "صحيح": صححه الشيخ الألباني في "أحكام الجنائز".." (٢)

"فالوزير واسطة بين الملك والعامة ومعينه بالرأي ونائبه في قيادة الجيش ان لم يركب هو ولا ولي عهده. والحاجب هو صاحب الباب يأذن بالدخول للملك عن أمره. ويلقب بلسان زناتة المزوار.والكاتب يعرض على الملك كل يوم ما ورد من الرسائل ويتلقى أوامره بالجواب عنها وبعقد الولايات وغيرها من شؤون الحكومة.وصاحب الاشغال له النظر المطلق في

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢/٦٦٣

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢/٣٨٢

الدخل والخرج. والعمال نوابه في الجهات يؤدون اليه جبايات أعمالهم ولكن توليتهم من الملك.والقواد رؤساء فرق الجند. وصاحب الشرطة يتولى النظر في التهم على الجرائم ومباشرة تنفيذ الحكم على أهلها.فالحكومة الزيانية تتألف من عناصر السيف والقلم والمال والعلم. فمن مشاهير رجال السيف غير بني زيان هلال القطلوني وموسى بن علي الكردي ويحي بن موسى السنوسي وعبد الله بن مسلم الزردالي وبنو مقن.فاما هلال فعلج اهداه ابن الاحمر الى عثمان الاول. وصار الى ابي حمو. فاعطاه وولده ابا تاشفين، فكان من خواصه ومن كبار المغرين له بابيه. فلما قتله ولاه حجابته، وكان مهببا فظا غليظا استولى على أمر السلطان وزحزح منافسيه عن مناصبهم، ثم أخذ السلطان يخفض من صوت صولته حتى عزله سنة ٢٩ واعتقله الى ان هلك سجينا قبيل فتح ابي الحسن تلمسان.واما موسى فمن بيت نبيه في الاكراد، فروا أمام التتر، ونزلوا على المرتضى بمراكش، فأكرم مثواهم، وبعد دخول مرين مراكش تفرقوا في تلمسان وتونس، وبقي جمع منهم مع مرين، ونشأ موسى هذا بين حرم السلطان يوسف حتى اذا نزل محاصرا لتلمسان أغضبه ذات يوم، فلحق بعثمان الاول. فعرف فضله، وبالغ في اكرامه،." (١)

"وأخو الدراية والنباهة متعب ... والعيش عيش الجاهل المجهولالسابع: إن وافقت الهوى ذهبت بماء وجهك، وإن خالفت العقل أتتك بالوجاهة والنباهة في الدارين:الضب والحوت قد يرجى اجتماعهما ... وليس يرجى اجتماع العلم والمال «١»الثامن: بنفس المقدار الذي تزداد فيه اقترابا منها، تبتعد عن رضا الحق تعالى ونعيم الآخرة، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب«٢»أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا«٣» .[٢٩٢] أيا طالب الأموال أقصر فإنما ... بأخذك منها حظ عقباك يبطلالتاسع: مهما جمعت منها فلن تشبع ولن يكون معك مقدار ذرة منها في سفر الآخرة، تؤخذ عنك الدنيا وتسأل يوم القيامة عنها وتعاقب عليها، قال عليه السلام:«منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا» «٤»والحرص على الدنيا داء لا دواء له:." (٢)

"بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان (١) فلما أصحر جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان الله (٢) به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته وصنيعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة آه إن ها هنا وأشار بيده إلى صدره علما لو أصبت له حملة بل أصبت لقنا (٣) غير مأمونين عليه يستعمل آلة الدين بالدنيا ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على بلاده أو مغري بجميع الأموال والإدخار ليسا من وعاة الدين أقرب شبها بهم الأنعام السائمة وكذلك يموت العلم ويموت حاملوه بلى لم والصواب لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة كيلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم الأقلون عددا والأعظمون عند الله خطرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدها إلى نظائرهم ويزرعونها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٤٥١/٢

(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٥١٥

فاستلانوا ما استوعر منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه آه شوقا إلى رؤيتهم وأستغفر الله تعالى لي ولكم آمين رب العالمين أخبرنا أبو منصور بن خيرون قال قال لنا أبو بكر الخطيب (٤) : الحسين بن أحمد بن سلمة أبو عبد الله الأسدي (٥) القاضي قرأت في كتاب علي بن أحمد (٦) النعيمي بخطه حدثني القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سلمة الأسدي المالكي ببغداد ثم ساق عنه حديثا لم يزد عليه__________(١) يريد هنا مقبرة أهل الكوفة ويسموها الجبانة والجبان: الصحراء (معجم البلدان)(٢) في مختصر ابن منظور ٧ / ٨٩ ومحبة العلم دين يدان به(٣) اللقن: الفطن(٤) تاريخ بغداد ترجمته ٨ / ١١(٥) رسمها غير واضح وقد تقرأ " الامدي " والمثبت عن تاريخ بغداد(٦) تاريخ بغداد: " محمد " وقد مر في بداية الترجمة " أحمد " وهو الصواب وما في تاريخ بغداد تحريف انظر ترجمته في سير الاعلام ١٧ / ٤٤٥ذ." (١)

"أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحر تنفس ثم (١) قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق غاو يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس **المال والعلم** يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة يا كميل محبة العالم دين يدان به في كسبه العلم لذته في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ونفقة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة إن ههنا لعلما وأشار إلى صدره لو أصبت له حملة ثم قال اللهم بل أصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين في الدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمه على كتابه أو منقادا لجملة الحق على أن لا بصيرة له في إحيائه (٢) يقدح الزيغ في قلبه بأول عارض من شبهة اللهم لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد في الشهوات ومغرما بالجمع والادخار وليسا من دعاة (٣) الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة وكذلك يموت العلم بموت حملته ثم قال اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظهر مستور (٤) وإما خائف مغمور لأن لا تبطل حجج الله وبيناته فيكم وأين أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستسهلوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأرواح معلقة بالمحل (٥) الأعلى يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه الدعاة إلى دينه هاه شوقا إلى رؤيتهم أستغفر الله لي ولك اخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أنبأنا أبو عمرو بن مندة أنبأنا أبو محمد بن يوة أنبأنا أبو الحسن اللنباني (٦) حدثنا ابن أبي الدنيا حدثني عبد الرحمن بن صالح حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال:__________(١) موعظة الإمام علي بن أبي طالب لكميل في نهج البلاغة ٤٩٥ وحلية الأولياء ١ / ٧٩ وصفة الصفوة ١ / ١٢٧ وبعضه في عيون الأخبار ٢ / ١٢٠(٢) في نهج البلاغة: أحنائه(٣) في نهج البلاغة: رعاة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨/١٤

وفي الجليس الصالح ٣ / ٣٣٢: رعاة وفي الجليس الصالح ٤ / ١٣٦ دعائم الدين(٤) في الجليس الصالح: مشهور(٥) في الجليس الصالح ٤ / ١٣٧ بالملكوت الأعلى(٦) الأصل وم: اللبناني بتقديم الباء تصحيف." (١)

"﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يبخلون﴾ بما يجب عليهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ به ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من **العلم والمال** وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وأ عتدنا للكافرين﴾ بذلك وبغيره ﴿عذابا مهينا﴾ ذا إهانة٣ _." (٢)

"بمساءلتهم عند الحاجة إلى الله استفتاء منهم، وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله فأمر بمخالطتهم وأما الكبراء فهم العالمون بالله وبأحكام الله فأمر بمجالستهم لأن في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة، ثم قال شقيق البلخي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاث علامات أما العالم بأمر الله فله ثلاث علامات أن يكون ذاكرا باللسان دون القلب، وأن يكون خائفا من الخلق دون الرب، وأن يستحي من الناس في الظاهر ولا يستحي من الله في السر، وأما العالم بالله فإنه يكون ذاكرا خائفا مستحييا. أما الذكر فذكر القلب لا ذكر اللسان، وأما الخوف فخوف الرياء لا خوف المعصية، وأما الحياء فحياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر، وأما العالم بالله وبأمر الله فله ستة أشياء الثلاثة التي ذكرناها للعالم بالله فقط مع ثلاثة أخرى كونه جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه معلما للقسمين الأولين، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الأولان إليه وهو يستغني عنهما، ثم قال: مثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص، ومثل العالم بالله فقد كمثل القمر يكمل تارة وينقص تارة أخرى، ومثل العالم بأمر الله فقط كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره «ز» قال فتح الموصلي: أليس المريض إذا امتنع عنه الطعام والشراب والدواء يموت؟ فكذا القلب إذا امتنع عنه العلم والفكر والحكمة يموت «ح» قال شقيق البلخي: الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة أصناف: كافر محض، ومنافق محض، ومؤمن محض، وذلك لأني أفسر القرآن فأقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض، ومن ضاق قلبه منه فهو منافق محض، ومن ندم على ما صنع/ وعزم على أن لا يذنب كان مؤمنا محضا. وقال أيضا: ثلاثة من النوم يبغضها الله تعالى. وثلاثة من الضحك: النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة. والنوم في الصلاة، والنوم عند مجلس الذكر، والضحك خلف الجنازة، والضحك في المقابر، والضحك في مجلس الذكر «ط» قال بعضهم في قوله تعالى: فاحتمل السيل زبدا رابيا [الرعد: ١٧] السيل هاهنا العلم، شبهه الله تعالى بالماء لخمس خصال: أحدها: كما أن المطر ينزل من السماء كذلك العلم ينزل من السماء. والثاني: كما أن إصلاح الأرض بالمطر فإصلاح الخلق بالعلم، الثالث: كما أن الزرع والنبات لا يخرج بغير المطر كذلك الأعمال والطاعات لا تخرج بغير العلم. والرابع: كما أن المطر فرع الرعد والبرق كذلك العلم فإنه فرغ الوعد والوعيد. الخامس: كما أن المطر نافع وضار، كذلك العلم نافع وضار: نافع لمن عمل به ضار لمن لم يعمل به «ي» كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله، جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد عن الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله «يا» الدنيا بستان زينت بخمسة أشياء:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥٥/٥٠

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/١٠٧

علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة العباد وأمانة التجار ونصيحة المحترفين. فجاء إبليس بخمسة أعلام فأقامها بجنب هذه الخمس جاء بالحسد فركزه في جنب العلم، وجاء بالجور فركزه بجنب العدل، وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة، وجاء بالخيانة فركزها بجنب الأمانة، وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة «يب» فضل الحسن البصري على التابعين بخمسة أشياء: أولها: لم يأمر أحدا بشيء حتى عمله، والثاني: لم ينه أحدا عن شيء حتى انتهى عنه، والثالث: كل من طلب منه شيئا مما رزقه الله تعالى لم يبخل به من **العلم والمال**. والرابع: كان يستغني بعلمه عن الناس، والخامس: كانت سريرته وعلانيته سواء. «يج» إذا أردت أن تعلم أن علمك ينفعك أم لا فاطلب من نفسك خمس خصال: حب الفقر لقلة المؤنة، وحب الطاعة طلبا للثواب، وحب الزهد في الدنيا طلبا للفراغ، وحب الحكمة طلبا لصلاح القلب، وحب الخلوة طلبا لمناجاة الرب «يد» اطلب خمسة في خمسة، الأول: اطلب العز في التواضع لا في المال." (١)

"عليه السلام «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» «١»فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله. وعن ابن عباس: خير سليمان بين **العلم والمال** والملك، فاختار العلم فأعطى المال والملك معه «٢». وقال عليه السلام «أوحى الله إلى إبراهيم.يا إبراهيم، إني عليم أحب كل عليم» «٣»وعن بعض الحكماء: ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم، وأى شيء فات من أدرك العلم. وعن الأحنف: كاد العلماء يكونون أربابا، وكل عز لم يوطد «٤»بعلم فإلى ذل ما يصير. وعن الزبيري «٥»العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال.[سورة المجادلة (٥٨) : الآيات ١٢ الى ١٣]يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢) أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون (١٣)بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان. والمعنى: قبل نجواكم كقول عمر: من أفضل ما أوتيت العرب الشعر، يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به «٦» اللئيم، يريد: قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في دينكم وأطهر لأن الصدقة طهرة.روى أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه «٧» ، فأريد أن يكفوا عن ذلك، فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة. قال على رضى الله عنه: لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقول في دينار؟______________(١) . أخرجه ابن ماجة وأبو يعلى وابن عدى والعقيل والبيهقي في الشعب من حديث عثمان. وفيه عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، وهو متروك.(٢) . ذكره صاحب الفردوس هكذا، وذكره قبله ابن عبد البر في كتاب العلم بلا إسناد.(٣) . أخرجه ابن عبد البر في العلم قال: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم- فذكره بغير إسناد.(٤) . قوله «وكل عز لم يوطد بعلم» في الصحاح: وطدت الشيء، أى: أثبته وثقلته. (ع)(٥) . قوله «وعن الزبيري: العلم ذكر» قوله الزبيري: هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير مولى لبنى أسد، وليس من ولد الزبير بن العوام، كذا في الهداية والإرشاد اه من هامش. (ع)(٦) . لم أجده.(٧) . قوله «حتى أملوه وأبرموه» في الصحاح: أبرمه» أى: أمله وأضجره اه. (ع)." (٢)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٠٢/٢

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٩٣/٤

"﴿٣٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ .هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه. ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق **بالمال والعلم** والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي [بها] ويستجيب الله له الدعاء.ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد، لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل القربات.ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره أحرى وأولى ﴿لعلكم تفلحون﴾ إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته.والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم.." (١)

"إلى الله. والقائل هنا بشر ويتكلم عن بشر، والمرجو هو الله، وقدرة الله أوسع من كل قدرة. هنا ندخل في اتساع دائرة الرجاء فما بالنا إذا كان المتكلم هو الله؟ إذن فهذا إطماع من كريم لا بد أن يتحقق.ونتعرف بذلك على درجات الرجاء: رجاء من بشر لبشر، رجاء بشر من إله لبشر، رجاء إله من إله لبشر، ولأن الرجاء الأخير من المالك الأعلى لذاته فهو الذي يعطي ﴿فيصبحوا على مآ أسروا في أنفسهم نادمين﴾ أي أنهم صاروا إلى الندم. وبذلك صار قولهم: ﴿نخشى أن تصيبنا دآئرة﴾ هو كشف لما في قلوبهم من مرض النفاق، وقد خلعوا على المرض وعبروا عنه بهذا الكلام سترا لما في قلوبهم، فكأن الذي أسروه في نفوسهم هو كراهية هذا الدين وكراهية هذا المنهج وأنهم لا يحبون أن يستعلي هذا المنهج على غيره.إذن فالحق سبحانه وتعالى يدلنا على أن القول الذي نشأ منهم: ﴿نخشى أن تصيبنا دآئرة﴾ لم يكن هو السبب المباشر. ولكن السبب هو المرض في قلوبهم. والمرض: أنهم لا يحبون أن ينتصر منهج الإسلام؛ لأنهم يعيشون على ثروات المخالفين للدين، وساعة تكون السيطرة للإسلام ينتهي ثراؤهم. وكذلك كان أهل الكتاب في المدينة قبل أن يأتي الإسلام كانوا أصحاب **العلم والمال** والجاه، وكانت الأوس والخزرج يأخذون منهم المال بالربا ويشترون منهم السلاح، ويأخذون منهم العلم. ولما جاء الإسلام ضاع من اليهود كل ذلك فتمكن من قلوبهم المرض؛ لأن الإسلام سلبهم السلطة الزمنية، هذه السلطة التي جعلتهم يحرفون كتب الله. فإذا كانوا قد دخلوا مع الله في تحريف كتبه، أفلا يدخلون معكم – أيها المسلمون – في عداوة ويلبسون عليكم بأنهم يعينون وهم يخذلون؟﴿فيصبحوا على مآ أسروا في أنفسهم نادمين﴾ وساعة يسمعون هذا القول الرباني." (٢)

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٢٣٠

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٥/٣٢٠٠

"القوة: أعطاه **المال والعلم** والجيوش، فلم يكتف بذلك كله، بل ﴿فأتبع سببا﴾ [الكهف: ٨٥] يعني: أخذ بالأسباب التي تؤدي إلى الخير.وسبق أن تحدثنا عن تشخيص البطل في قصص القرآن؛ لأن القرآن لا يؤرخ للشخصية، ولا يعطى لها خصوصية، وإنما يريدها عامة لتكون مثلا يحتذى، ويتم بها الاعتبار، وتحدث الأثر المراد من القصة.فما يعنينا في قصة ذي القرنين أنه رجل مكن في الأرض، وكان من صفاته كذا وكذا، وما يعنينا من أهل الكهف أنهم فتية آمنوا بربهم وتمسكوا بدينهم وعقيدتهم وضحوا في سبيلها، لا يهمنا الأشخاص ولا الزمان ولا المكان ولا العدد.لذلك؛ أبهم القرآن كل هذه المسائل، فأي فتية، في أي زمان، وفي أي مكان، وبأي أسماء يمكن أن يقفوا هذا الموقف الإيماني، ولو شخصناهم وعيناهم لقال الناس: إنها حادثة خاصة بهؤلاء، أو أنهم نماذج لا تتكرر؛ لذلك أبهمهم القرآن ليكونوا عبرة وأسوة تسير في الزمان كله. كذلك، لما أراد القرآن أن يضرب مثلا للذين كفروا ذكر امرأة نوح وامرأة لوط ولم يعينهما، وكذلك ضرب مثلا للذين آمنوا بامرأة فرعون ولم يذكر من هي، فالغرض من ضرب هذه الأمثال ليس الأشخاص، إنما لنعلم أن للمرأة حرية العقيدة واستقلالية الرأي، فليست هي تابعة لأحد، بدليل أن نوحا ولوطا لم يتمكن كل منهما من هداية امرأته.." (١)

"هذا البيان الإلهى فى تلك الموقعة التي رأوا نتائجها بأعينهم- برهان ساطع أمام الملأ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان زعيما سياسيا، ومؤسسا لبناء مملكة يريد توطيد دعائمها بفتوحه لأطراف البلاد، لما قال مثل هذا القول فى مواطن الدفاع، وحب النصر على الأعداء. ولا سبيل للنصر على العدو إلا بالاستعداد والحيطة، وحسن التدبير والكياسة الحربية، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا قوة إلا **بالعلم والمال**، ولا مال إلا إذا انتشر العدل فى الأمة وبث بين أفرادها روح التعاون والشورى فى مهام الأمور كما قال: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» .(ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) قال ابن جرير: أي لله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، دونك ودونهم، يحكم فيهم بما شاء، ويقضى فيهم بما أحب، فيتوب على من شاء من خلقه العاصين أمره ونهيه، ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه، فينتقم منه، فهو الغفور يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه، بفضله عليهم بالعفو والصفح، وهو الرحيم بهم فى تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم اه.وفى هذا تأديب من الله لرسوله، وإعلام له بأن الدعاء على المشركين ولعنهم مما لم يكن ينبغى منك، إذ الأمر كله لله، وليس لأحد من أهل السموات والأرض شركة معه ولا رأى ولا تدبير فيهما، وإن كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، إلا من سخره الله للقيام بشيء من ذلك، فيكون خاضعا لذلك التسخير، لا يستطيع الخروج فيه عن السنن العامة التي قام بها نظام الكون ونظام الاجتماع.." (٢)

"وقل أن ذكر القرآن الإيمان إلا إذا قرن به التقوى، كما قل أن ذكر الصلاة إلا قرن بها الزكاة حثا على عمل البر والرأفة بالفقراء والبائسين، وإشارة إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بهما[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٨٠ الى ١٨٤]ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٦٤٦/١٦

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٦٢/٤

السماوات والأرض والله بما تعملون خبير (١٨٠) لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (١٨١) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٨٢) الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين (١٨٣) فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب المنير (١٨٤)تفسير المفرداتما أتاهم أي ما أعطاهم من المال والعلم والجاه، سيطوقون ما بخلوا به أي سيلزمون إثمه فى الآخرة كما يلزم الطوق الرقبة، وقد جاء فى أمثالهم: تقلدها طوق الحمامة، إذا جاء بما يسب به ويذم، ميراث السموات والأرض أي ما يتوارثه أهلهما من مال وغيره سنكتب ما قالوا أي سنعاقب عليه ولا نهمله ونقول ذوقوا عذاب الحريق، أصل الذوق وجود الطعم فى الفم ثم استعمل فى إدراك سائر المحسوسات، والحريق المحرق." (١)

"والغواصات، وقد فاتهم أن الحرب كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين سجالا، وكان المؤمنون ينفرون منه خفافا وثقالا، فهل يكون المهدى أهدى منه أعمالا، وأحسن منه حالا ومآلا.[سورة الأعراف (٧) : آية ١٨٨]قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨)تفسير المفرداتالغيب قسمان: حقيقى لا يعلمه إلا الله تعالى، وإضافى يعلمه بعض الخلق دون بعض، والخير: ما يرغب الناس فيه من المنافع المادية والمعنوية، كالمال والعلم، والسوء ما يرغبون عنه مما يسوءهم ويضرهم، والإنذار: تبليغ مقترن بتخويف من العقاب على الكفر والمعاصي، والتبشير. تبليغ مقترن بترغيب فى الثواب مع الإيمان والطاعة.المعنى الجمليبعد أن أمر الله تعالى خاتم رسله أن يجيب السائلين عن الساعة بأن علمها عند الله تعالى وحده، قفى على ذلك بأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس أن كل الأمور بيده وحده وأن علم الغيب كله عنده.وهذه الآية أس من أسس الدين وقواعد عقائده، إذ بينت حقيقة الرسالة، وفصلت بينها وبين الربوبية، وهدمت قواعد الشرك واجتثت جذور الوثنية.الإيضاح(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله) أي قل يا أيها الرسول للناس فيما تبلغه لهم من أمر دينهم: إنى لا أملك لنفسى ولا لغيرى جلب نفع ولا دفع ضر." (٢)

"وأهم المسائل الإسلامية التي تدور في هذا العهد بين كبار عقلاء المسلمين من جميع الأقطار ويتهامسون بها سرا – مسألة (دار الإسلام) التي يفترض على العالم الإسلامي كله الجهاد بالنفس والمال والعلم والعمل لإعادتها. وأرى أنه يجوز لي أن أفشي الآن من سرها ما يعين على تمحيصها، فأقول: إن لهم فيها أربعة آراء: – (١) الرأي الأول وهو أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء – أن كل ما دخل من البلاد في محيط سلطان الإسلام ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من (دار الإسلام) ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا كانوا كلهم آثمين بتركه، وأن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده، وإن طال الزمان. فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الإسلامية، وإرجاع حكم الإسلام إليها ما استطاعوا إلى

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤٤/٤

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٥/٩

ذلك سبيلا. وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه، وإعداد ما يمكن من النظام والعدة له، وانتظار الفرص للوثوب والعمل.وهذا الرأي يوافق القاعدة التي وضعها أحد وزراء الإنكليز للتنازع بين المسلمين والنصارى في الغلب والسلطان وهي (ما أخذ الصليب من الهلال لا يجوز أن يعود إلى الهلال، وما أخذ الهلال من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب) .وعلى هذا الرأي يجري اليهود الذين يطالبون بإعادة ملك إسرائيل إلى بلاد فلسطين، بل هم لا يكتفون بإعادة الملك (بضم الملك) بل يطلبون جعل الملك (بالكسر) وسيلة له فهم يحاولون سلب رقبة الأرض من أهلها العرب بمساعدة الإنكليز.ونحن معاشر المسلمين ننكر على الإنكليز واليهود ما ذكر، ونعده غلوا وبغيا وأثرة منهم، ومن قلة الإنصاف أن نرضى لأنفسنا ما ننكره على غيرنا. دع ما في الدعوة إلى هذا المطلب الكبير، من الغرور والتغرير.(٢) الرأي الثاني: أن (دار الإسلام) ما كان داخلا في حكم الخلافة الإسلامية الصحيحة، وهي خلافة الراشدين والأمويين والعباسيين جميعا دون غيره مما فتحته دول الأعاجم، ولم ينفذ فيه حكم خليفة قرشي. وهذا الرأي قريب مما قبله في بعده عن المعقول. على نزاع في دليله من المنقول.(٣) الرأي الثالث: أن (دار الإسلام) الحق هي ما فتح فتحا إسلاميا روعي في حربه وسلمه دعوة الإسلام وجزيته وصلحه وتنفيذ حكم الله فيه، وإعلاء كلمته، وإقامة الحق والعدل في الناس كلهم، ولا يمكن الجزم بذلك إلا فيما فتحه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا كان الغالب على من بعدهم طلب الملك والتمتع بالسلطان والنعيم، فالواجب." (١)

"والآراء والأفكار البشرية فهو باطل، ومنه جميع نظريات المتكلمين العقلية، وكشف فلسفة الصوفية والروحية، وأن المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة، وما بينه من سنة الرسول المتبعة، وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل فشو الابتداع والتفرق في الملة، ثم ما أجمع عليه علماء الأمصار من مجتهدي الأمة، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما لا يخرج عن هذه الأصول من المسائل غير القطعية في الدين فلا يجعلوه سببا للتفرق والشقاق، بالتعصب للمذاهب والشيع والأحزاب ؛ لئلا يكونوا ممن قال الله تعالى لرسوله فيهم: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) (٦: ١٥٩) فاستحقوا وعيد قوله: (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) (٦: ٦٥) وقوله: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٣: ١٠٥) .(المسألة الثالثة) أن البدع التي فرقت الأمة في أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل، من حيث تدعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم بتأويل الكتاب والحديث، وأن بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة، فهم أحق بأن يقلدوا ويتبعوا، ولكن الأعلم إنما يعلم بالدليل لا بالتقليد، وإنما تفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بما اصطلحوا عليه من التأويل، ولهذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الأمم الثلاثة وهي: السياسة والسلطان، والعلم العقلي والعرفانوفلسفة التعبد والوجدان، وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف، والكرامات الشاملة لدعوى التصرف في الكون، ونقول في كل منها كلمة:(١) السياسة الدولية وكان مثارها

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٧٧/١٠

الأول ما شجر بين الصحابة – رضي الله عنهم –، ثم كان أشدها إفسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الأمة من أكثر العالم، ومفاسدها لا تزال ماثلة، بما للزعماء المستغلين لها من المنافع الدنيوية الزائلة، وإنها لعصبية قضتها السياسة، وستقضي عليها السياسة، وقد زالت السلطة الدينية من بعض ممالك المسلمين وبقي لها بقية في بعض، وبعضها مذبذبة بين بين، ولا محل لبسط ذلك هنا ولا فائدة في هذا الوقت. إلا التذكير بأن المنتمين إلى مذاهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد أن جعلوها عصبية وراثية، فلم يعملوا أي عمل لتقويتها بعد ضعفها، ولا لإحيائها بعد موتها ولم يضعوا نظاما للاستعداد لذلك عند سنوح الفرصة كما فعل الكاثوليك بنظام الفاتيكان البابوي، وكانت الزيدية من الشيعة المعتدلة أشد حزما واعتصاما منهم بنصب إمام بعد إمام لهم في جبال اليمن يتولونه ويقاتلون معه بيد أنهم قصروا في وضع نظام لتعميم الدعوة، والاستعداد له **بالعلم والمال** والقوة.." (١)

"يستغيثونه ويستفتحون به على الفرنسيس؟ هل كان المسلمون على شيء من هدى هذا الدين عندما كانوا يستنصرون بقراءة البخاري أو يستغيثون بالأولياء في بلاد كثيرة؟ أيزعمون أن تلك النزغات الوثنية تعد من الدعاء المشروع؟ ألم يعتبروا بهذه الآية وما رواه أهل الصحيح في سببها وهو دعاء النبي على رؤساء المشركين حين فعلوا ما فعلوا؟ ألم يتعلموا من ذلك أن الاستعداد بالفعل مقدمعلى الدعاء بالقول؟ ألم يروا أن سلفهم كانوا ينصرون أيام لم يكونوا دائما يقولون: " اللهم نكس أعلامهم، اللهم زلزل أقدامهم، اللهم يتم أطفالهم، اللهم اجعلهم غنيمة للمسلمين " وأنهم بعد اللهج بهذه الكلمات غير منصورين في جهة من الجهات؟ فالعمل العمل، الاستعداد الاستعداد، الأهبة الأهبة وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة [٨: ٦٠] ولا قوة إلا **بالعلم والمال**، ولا مال إلا بالعدل، ولا عدل مع حكم الاستبداد، ثم بعد كمال الاستعداد يكون الذكر والاستمداد يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا [٨: ٤٥، ٤٦] هذا هدى الإسلام وقد تمثل لهم صدقه في النبي وصالحي المؤمنين، أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين [٢٣: ٦٨] ؟ثم أكد – تعالى – هذه الحقيقة وأيدها بقوله: ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم فمن كان له ملك السماوات والأرض كان حقيقا بأن يكون له الأمر كله في السماوات والأرض، ولا يمكن أن يكون لأحد من أهلهما شركة معه ولا رأي ولا وساطة تأثير في تدبيرهما وإن كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا إلا من سخره – تعالى – للقيام بشيء فإنه يكون خاضعا لذلك التسخير لا يستطيع الخروج فيه عن السنن العامة التي قام بها نظام الكون ونظام الاجتماع، وفي ذلك تأديب من الله – تعالى – لرسوله وإعلام بأن ذلك اللعن والدعاء على المشركين مما لم يكن ينبغي له ؛ ولذلك قال ابن جرير في تفسير الآية: " يعني بذلك – تعالى ذكره – ليس لك يا محمد من الأمر شيء ولله جميع ما بين أقطار السماوات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، دونك ودونهم يحكم فيهم بما شاء، ويقضي فيهم ما أحب، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه غفور الغفور: الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح ورحيم بهم في تركه عقوبتهم – عاجلا – على عظيم ما يأتون من المآثم اهـ. ولا تنس أن مشيئته المغفرة أو

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٦٢/١١

التعذيب جارية على سنن حكيمة مطردة كما تقدم غير مرة – راجع ص ٢٢٣ من الجزء الثالث [طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب] .." (١)

"جعل المفسر (الجلال) الآية كلاما مستأنفا في اليهود، فجعل: الذين يبخلون، مبتدأ خبره محذوف تقديره: لهم وعيد شديد، والظاهر أنه بدل من قوله تعالى: من كان مختالا أو صفةعلى القول بوقوع الموصول موصوفا وعليه الزجاج، وقيل: إنه منصوب أو مرفوع على الذم، وأقرب منه، ومن قول الجلال أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، والبخل بضم فسكون، وبه قرأ الجمهور، وبالتحريك: وبه قرأ حمزة والكسائي وقرئ بضمتين وبفتح وسكون وهما لغتان أيضا.الأستاذ الإمام قال المفسر: يبخلون بما آتاهم الله من **العلم والمال** وهم اليهود، وهما قولان: فمن خص البخل بالبخل بالعلم جعل الكلام في اليهود، ومن قال: هو البخل بالمال لم يجعله في اليهود، فالمفسر جمع بين القولين وخص الكلام باليهود، واضطر لأجل ذلك إلى قطع الكلام وجعل الذين مبتدأ خبره محذوف، وإن لم يوجد في الكلام ما يدل عليه، ولمن يحمل الكلام على اليهود مندوحة عن هذا القطع إلى أهون منه، وهو القطع من ابتداء قوله تعالى: إن الله لا يحب إلخ، ومن العجيب أن مثل ابن جرير الطبري حمل الكلام على اليهود كأنه تعالى بعد تلك الأوامر بالإحسان ختم الكلام بقوله: إن الله لا يحب اليهود، وما هذا بأقرب إلى البلاغة من القطع الأول، وأعجب من قول ابن جرير تعليله إياه بأنه لا يوجد في الناس أمة تأمر الناس بالبخل على أنه دين، فتعين أن يكون المراد بالبخل البخل بغير المال، وكأن ابن جرير لم يخبر الناس، فإن من طبيعة البخيل الأمر بالبخل بحاله ومقاله ليسهل على نفسه خلقه الذميم ويجد له فيه أقرانا وأمثالا، وذكر الأستاذ أن من الناس من أمروه بالبخل مرارا، وأن أمرهم كان يؤثر في نفسه أحيانا حتى إنه ربما رد يده بالدراهم إلى جيبه بعد إخراجها إذا كان للبخيل المنفر شبهة قوية كقوله: إن هذا غير مستحق فإعطاؤه إضاعة، وإذا وضع ما يراد إعطاؤه إياه في موضع كذا يكون خيرا وأولى، وأقول: إن هذا وقع لي أيضا حتى في هذا الأسبوع الذي أكتب فيه وأنا في القسطنطينية، وليس لدي الآن تفسير ابن جرير فأراجع عبارته فإني أرى العجب العجاب فيما نقله عنه الأستاذ هو مخالفته للرواية التي نقلتها عنه آنفا عن بعض التفاسير في سبب النزول وهي مروية عنه، وعن ابن إسحاق، وابن المنذر، والذم على الأمر بالبخل لا يتوقف على الأمر به باسم الدين فليراجعه من شاء وليتذكر القارئ ما نبهنا عليه من قبل في سبب النزول وهو أنهم يذكرون فيه الحوادث التي اقترنتبزمن نزول الآية إذا كانت تناسبها، وإن لم تكن الآية نزلت في الحادثة التي ذكروها خاصة بأن تكون نزلت في سياق هي متممة له، وإن الراوي رأى أنها تتناول تلك الحادثة، أو ظن أنها نزلت فيها خاصة، وقد يكون مخطئا في اجتهاده لمنافاة ذلك لأسلوب القرآن البليغ، ولنعد إلى سياق الأستاذ الإمام في الآية قال ما مثاله." (٢)

"الأستاذ الإمام: بعد ما بين الله تعالى لنا من شأن أهل الكتاب ما بينه ـ حتى تفضيلهم المشركين في الهداية على المؤمنين بالله وحده، وبجميع كتبه ورسله ـ أدبنا بهذا الأدب العالي، وأمرنا بالأمانة العامة، وهي الاعتراف بالحق سواء كان الحق حسيا أو معنويا فقال: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فالكلام متصل بما قبله بمناسبة قوية تجعل السياق

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩٩/٤

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٨٠/٥

كعقد من الجوهر متناسب اللآلئ، فسواء صح ما ذكر من حكاية مفتاح الكعبة أو لم يصح، فإن صحته لا تضر بالتئام السياق ولا بعموم الحكم، إذ السبب الخاص لا ينافي عموم الحكم.والأمانة حق عند المكلف يتعلق به حق غيره، ويودعه لأجل أن يوصله إلى ذلك الغير **كالمال والعلم**، سواء كان المودع عنده ذلك الحق قد تعاقد مع المودع على ذلك بعقد قولي خاص صرح فيه بأنه يجب على المودع عنده أن يؤدي كذا إلى فلان مثلا، أم لم يكن كذلك، فإن ما جرى عليه التعامل بين الناس في الأمور العامة هو بمثابة ما يتعاقد عليه الأفراد في الأمور الخاصة، فالذي يتعلم العلم قد أودع أمانة وأخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يؤدي هذه الأمانة ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العلم، وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعا وعرفا بنص قوله: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (٣: ١٨٧) ، ولذلك عد علماء أهل الكتاب خائنين بكتمان صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم إلى الناس، كما يجب على من أودع المال أن يرده إلى صاحبه، ويتوقف أداء أمانة العلم على تعرف الطرق التي توصل إلى ذلك، فيجب أن تعرف هذه الطرق لأجل السير فيها، وإعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدى بها هذه الأمانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أمروا به، وإخفاء الحق بإخفاء وسائله هو عين الإضاعة للحق، فإذا رأينا الجهل بالحق والخير فاشيا بين الناس واستبدلت به الشروع والبدع، ورأينا أن العلماء لم يعلموهم ما يجب في ذلك فيمكننا أن نجزم بأن هؤلاء العلماء لا يؤدون الأمانة، وهي ما استحفظوا عليه من كتاب الله، ولا عذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل إلى ذلك بسهولة وقرب، فهم خونة الناس وليسوا بالأمناء.أقول: يعني رحمه الله تعالى أنه يجب على العلماء أن يعرفوا الطرق التي تؤدي إلبإيصال العلم إلى الناس وقبوله، وهذه الطرق تختلف باختلاف الزمان والمكان كما تختلف الطرق التي تؤدى بها أمانة المال، ففي هذا العصر تؤدى الأموال إلى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور السابقة، منها التحويل على مصلحة البريد، ومنها المصارف ومنها غير ذلك.وكذلك توجد طرق لنشر العلم بين الناس أسهل من الطرق السابقة، فمن أبى سلوكها لا يعذر بعدم تأديته لأمانة العلم النافع، وأكثر العلماء المتأخرين يقولون: إنه لا يجب على العالم أن يتصدى لتعليم الناس، وإنما يجب عليه أن يجيب إذا سئل، وربما قيدوا هذا بما إذا فقد." (١)

"(١٣: ١٦) وقوله: واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا (٢٥: ٣) الآية.فلما كان ملك الضر والنفع بهذا الإطلاق خاصا برب العباد وخالقهم، وكان طلب النفع أو كشف الضر عبادة لا يجوز أن يوجه إلى غيره من عباده مهما يكن فضله تعالى عظيما عليهم – أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يصرح بالبلاغ عنه أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، وقد تكرر هذا الأمر له في القرآن مبالغة في تقريره وتوكيده، فقال تعالى في سورة يونس: قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاءالله (١٠: ٤٩) الآية، وقال في سورة الجن: قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (٧٢: ٢١) وهذه الآية أبلغ وأشمل مما في معناها بما فيها من إيجاز واحتباك بحذف ما يقابل الضر والرشد المذكورين، وهما ضداهما بدلالتهما عليهما، والتقدير: لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، ولا رشدا ولا غواية، وهذه الآيات بمعنى ما هنا تؤيد اختيارنا.ثم أمره تعالى أن ينفي عن نفسه علم الغيب مستدلا عليه بانتفاء أظهر منافعه

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٣٨/٥

القرينة فقال: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء الخير ما يرغب الناس فيه من المنافع المادية والمعنوية كالمال والعلم، والسوء ما يرغبون عنه مما يسوءهم ويضرهم، ويراد بهما هنا الجنس الذي يصدق ببعض أفراده وهو الخير الذي يمكن تداركه وتحصيله، والسوء الذي يمكن الاستعداد لدفعه بعلم ما يأتي به الغد. والجملة استدلال على نفي علم النبي - صلى الله عليه وسلم - الغيب، كأنه يقول: لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب - وأقربه ما يقع في مستقبل أيامي في الدنيا - لاستكثرت من الخير كالمال وأعمال البر التي تتوقف على معرفة ما يقع في المستقبل من عسرة وغلاء مثلا وتغير الأحوال، ولما مسني السوء الذي يمكن الاحتياط لدفعه بعلم الغيب، كشدة الحاجة مثلا، ومن أمثلته في العبادة قوله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت " رواه الشيخان وغيرهما - يعني لو أنه علم - صلى الله عليه وسلم - ما يحصل من انفراده دون أصحابه بسوقه الهدي إلى الحرم من مشقة فسخهم الحج إلى عمرة دونه ؛ إذ لا يباح الفسخ والتحلل بالعمرة لمن معه الهدي، لما ساق الهدي ليوافق الجمهور في تمتعهم بالعمرة إلى الحج. ومن أمثلته في الإدارة وسياسة الحرب ما عاتبه الله تعالى عليه من الإعراض عن الأعمى والتصدي للأغنياء، ومن أخذ الفداء من أسرى بدر، ومن الإذن بتخلف المنافقين في غزوة تبوك سنة العسرة، ولم أر أحدا نبه على هذا النوع من المفسرين.." (١)

"سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحب إلا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فاشرفها أشرفها معلوما." (٢)

"في أنفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر، وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الأعظم، وكذا من جهة انتظام أحوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الأيام والنوم والراحة في الليالي. ومن الغرائب تعاون المتنافيين على أمر واحد هو إصلاح معاش الحيوان، وأن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولا عند النفخة الأولى، ويقظتهم عند طلوع الفجر تضاهي عود الحياة إليهم في النفخة الثانية، وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من أعجب الأشياء كأنه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان. وكل هذه الأمور دلائل على وجود مبدع عظيم الشأن غني عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات الحدوث والإمكان.الرابعة: الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أي متلبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها، أو بنفع الناس. والفلك بالضم والسكون السفينة، واحد وجمع. فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة أسد، وتأنيث صفته هاهنا أن يكون لتضمين معنى السفينة، ويحتمل أن يكون لمعنى الجمعية أي المراكب التي تجري، والتركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه «الفلك جسم كروي يحيط به سطحان متوازيان

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٢٦/٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٥٠/٣

مركزهما واحد» «وفلكة المغزل» «وفلك ثدي الجارية استدار» . والبحر خلاف البر. قيل: سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه «تبحر في **العلم والمال»** ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا.قال صلى الله عليه وسلم في فرس أبي طلحة: إن وجدناه لبحراوقيل: من الشق بحرت أذن الناقة شققتها.ومنه البحيرة. هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الأرض فراشا [البقرة: ٢٢] . أن الماء محيط بأكثر جوانب القدر المعمور من الأرض فذلك هو البحر المحيط. وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي إلى وسط العمارة أربعة خلجان: أولها إذا ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه حدود بربر من أرض الحبشة طوله من الجنوب إلى الشمال مائة وستون فرسخا، وعرضه خمسة وثلاثون فرسخا. وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج، وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة. وثانيها الخليج الأحمر، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة وستون فرسخا، وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا، وبين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلاثة أيام على البر، وعلى ضلعه الغربي بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة، وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوافل مصر والحبشة إلى الحجاز، ثم سواحل اليمن، ثم عدن على الزاوية الشرقية منه.وثالثها خليج فارس، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة وستون فرسخا، وعرضه." (١)

"برأسه إلى سليمان فقال لسليمان: أحطت بما لم تحط به يقول علمت ما لم تعلم به وجئتك بأمر لم تخبرك به الجن ولم تنصحك فيه ولم يعلم به الإنس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وجئتك من أرض سبإ باليمن بنبإ يقين- ٢٢- يقول بحديث يقين لا شك فيه فقال سليمان وما ذلك؟ قال الهدهد: إني وجدت امرأة تملكهم يعني تملك أهل سبأ وأوتيت يعني وأعطيت من كل شيء يكون باليمن يعني **العلم والمال** والجنود والسلطان والزينة وأنواع الخير فهذا كله من كلام الهدهد، وقال الهدهد: ولها عرش عظيم- ٢٣- يعني ضخم ثمانون ذراعا في ثمانين ذراعا، وارتفاع السرير من الأرض أيضا» «١» ثمانون ذراعا في ثمانين ذراعا مكلل بالجوهر والمرأة اسمها بلقيس بنت أبي سرح «٢» ، وهي من الإنس وأمها «٣» من الجن اسمها فازمة بنت الصخر «٤» ، ثم قال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم السيئة يعني سجودهم للشمس فصدهم عن السبيل يعني عن الهدى فهم لا يهتدون- ٢٤- ثم قال الهدهد: ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء يعنى الغيث في السماوات والأرض «ويعلم ما تخفون______________(١) فى أ: وارتفاع السرير من الأرض ثمانون ذراعا.فى ز: وارتفاع السرير من الأرض أيضا، ثمانون ذراعا فى ثمانين ذراعا.فكلمة أيضا، وجملة فى ثمانين ذراعا الأخيرة من ز وحدها.(٢) من أ، وفى ز: بلقيس بنت اليسرح.(٣) فى أ: وأهلها وفى ف، ز: وأمها.(٤) فى ل، أ: الصخر، ز: الطحن.." (٢)

"قال الدارقطنى: ما رأيت أحفظ منه. وقال الدارقطنى أيضا: كنا ببغداد فى مجلس فيه جماعة من الحفاظ يتذاكرون، فجاء رجل من الفقهاء فسألهم: من روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "جعلت لى الأرض مسجدا وجعلت

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٥٦/١

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣٠١/٣

تربتها طهورا"؟ فقالت الجماعة: روى هذا الحديث عنه فلان وفلان، فقال السائل: أريد هذه اللفظة، فلم يكن عند أحد منهم جواب، ثم قالوا: ليس لنا غير أبى بكر النيسابورى، فقاموا كلهم إليه، فسألوه عن هذه اللفظة، فقال: نعم، حدثنا فلان، عن فلان، وساق فى الوقت الحديث من حفظه، واللفظ فيه هذا آخر ما ذكره الشيخ أبو إسحاق، واتفق العلماء على توثيق أبى بكر هذا والثناء عليه، وأكثر الدارقطنى الرواية عنه فى سننه.* * *باب أبى بكرة بالهاء فى آخره٧٤٣ - أبو بكرة الصحابى، رضى الله عنه (١) :تكرر فى هذه الكتب، اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة، بكاف ولام مفتوحتين، ابن عمرو بن علاج بن أبى سلمة، وهو عبد العزى بن غيرة، بكسر الغين المعجمة، ابن عوف بن قسى، بفتح القاف وكسر السين المهملة، وهو ثقيف بن منبه الثقفى البصرى، وأمه سمية أمة للحارث بن كلاه، وهى أيضا أم زياد بن أبيه، وإنما كنى أبا بكرة؛ لأنه تدلى من حصن الطائف إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ببكرة، وكان أسلم وعجز عن الخروج من الطائف إلا هكذا.روى له عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مائة حديث واثنان وثلاثون حديثا، اتفق البخارى ومسلم منها على ثمانية أحاديث، وانفرد البخارى بخمسة، ومسلم بحديث. روى عنه ابناه عبد الرحمن ومسلم، وربعى بن خراش، والحسن البصرى، والأحنف، وكان أبو بكرة من الفضلاء الصالحين، ولم يزل على كثرة العبادة حتى توفى، وكان أولاده أشرافا بالبصرة فى كثرة العلم والمال الولايات.قال الحسن البصرى: لم يكن بالبصرة من الصحابة أفضل من عمران بن الحصين، وأبى بكرة، واعتزل أبو بكرة يوم الجمل، فلم يقاتل مع أحد من الفريقين. توفى بالبصرة سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ثنتين وخمسين.___________(١) انظر: الإصابة (٥٧١/٣) ، وطبقات ابن سعد (١٥/٧، ١٦) ، والتاريخ الكبير (١١٢/٨) ، والجرح والتعديل (٤٨٩/٨) ، والاستيعاب (٢٣/٤) ، وأسد الغابة (١٥١/٥) ، وسير أعلام النبلاء (٥/٣ - ١٠) برقم (١) ، والبداية والنهاية (٥٧/٨) ، وتهذيب التهذيب (٤٦٩/١٠) ، والعقد الثمين (٣٤٧/٧) ..." (١)

"الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي النقشبندي الخالديعالم قد علا قدره، وإمام قد سما ذكره، خطيب قدر في منبر الكمال، بعد أن تحلى بأثواب الجمال، قد نفع الناس بعلومه، وأفادهم من تحرير منطوقه ومفهومه، ثم أخذ الطريقة النقشبندية، عن صاحب الرتبة العلية، مولانا خالد شيخ الحضرة، ثم بعد كماله جعله خليفة، فأرشد وأفاد، وتعدى نفعه إلى البلاد، وخدم الطريق بالصدق والجد والاجتهاد، وكان سلوكه سلوك الصواب والسداد. ولم يزل يسعى في أشرف مسعى إلى أن تم الأجل، وإلى مولاه ارتحل، سنة ألف ومائتين وزائد على الخمسين.الشيخ أحمد الكاملي المغربي المراكي المالكي البصيرأبو العلا زمانه، وابن جلا عصره وأوانه، هو في ميدان البيان أوحد في بيانه، وكأنما حشر عالم الفصاحة بين فكره ولسانه، فلا ريب أنه إنسان طرف الأدب ومقلة مآقيه، وفارع هضبة الأرب وراقي مراقيه، زرت على المعارف أطواقه، وما اهتاجت إلا للعوارف أشواقه، وهو من لطف الطبع أرق من الصهباء في رونق الصبا، ما ذاق إنسان طعم مفاكهته إلا مال إليه وصبا، ذو مذاكرة يتسلى بها المهموم، ومحادثة يجعلها النديم عوض المشروب والمشموم، وشعر يشعر بأنه ابن النظم والنثر، ونثر يزدري بنثر اللآلي والدر، غير أنه مكفوف البصر، دميم الخلقة لا يحسن إليه النظر، أنقر الوجه كثير السمن، قصير القامة تارك للفريضة والسنن. حضر إلى الشام في سنة تسعين، ورؤيته تحكم بأنه لم يتجاوز من العمر الخمسة والثلاثين، فقصده للزيارة الصدور

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ١٩٨/٢

والأعيان، وكان لا يدخل عليه أحد قبل الاستئذان، وكان مظهرا للعظمة والإجلال، والانفراد بالأدب **والعلم والمال**، فكثرت في الناس شهرته، ودارت بين الأهلين سيرته، ونظر إليه العموم بعين الإجلال، واختلفت فيه آراء أولي الكمال، وتمنعت عنهم معرفة حقيقته، لعدم تمكنهم من الاجتماع به إلا بعد إرادته:." (١)

"الأهرام والبرابي:وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى الخنوج وهو إدريس عليه السلام وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى وفيها أنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال أن دار العلم والملك بمصر مدينة منف١ وهي على بريد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعا للعلوم ولجثث الملوك وأنه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع فأخبروه أنه تفتح من الجانب الشمالي وعينوا له الموضع الذي تفتح منه ومبلغ الإنفاق في فتحه فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فإن الهدم أيسر من البقاء فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجدهما سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.____________١ كانت منف مدينة **العلم والمالك** بمصر في عهد الدولة القديمة، ثم خلفتها في هذه المكانة مدن أخرى مثل طيبة "الأقصر حاليا" وبعد هذه المدن بنيت الإسكندرية.." (٢)

"بمعزل عن ذلك قيل قضية اللب الاتعاظ بالآيات ومن لم يتعظ فكأنه لالب له ومثله مثل البهائم وفى المفردات اللب العقل الخالص من الشوائب وسمى بذلك لكونه خالص ما فى الإنسان من قواه كاللباب من الشيء وقيل هو ما زكا من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبا ولذا علق الله تعالى الاحكام التي لا تدركها الا العقول الزكية باولى الألباب نحو قوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب) ونحو ذلك من الآيات انتهى وفى التأويلات النجمية (هل يستوي الذين يعلمون) قدر جوار الله وقربته ويختارونه على الجنة ونعيمها (والذين لا يعلمون) قدره (إنما يتذكر) حقيقة هذا المعنى (أولوا الألباب) وهم الذين انسلخوا من جلد وجودهم بالكلية وقد ماتوا عن انانيتهم وعاشوا بهويته انتهى وفى

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢٤٩

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٩/١

الآية بيان لفضل العلم وتحقير للعلماء الغير العاملين فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء قال الشيخ السهروردي فى عوارف المعارف ارباب الهمة اهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم فى قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) الى قوله (قل هل يستوي) إلخ حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم ازعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرى حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع انتهى وفى الحديث (يشفع يوم القيامة ثلاث الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين **العلم والمال** والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك- وفى الخبر- ان الله تعالى أرسل جبرائيل الى آدم عليهما السلام بالعقل والحياء والايمان فخيره بينهن فاختار العقل فتبعاه وفى بعض الروايات أرسل بالعلم والحياء والعقل فاستقر العلم فى القلب والحياء فى العين والعقل فى الدماغ وفى الحديث (من أحب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فو الذي نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العلم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الأرض تستغفر له ويستغفر له كل من يمشى على الأرض ويمسى ويصبح مغفور الذنب وشهدت الملائكة هؤلاء عتقاء الله من النار) وذكر ان شرف العلم فوق شرف النسب ولذا قيل ان عائشة رضى الله عنها أفضل من فاطمة رضى الله عنها ولعله المراد بقول الأماليوللصديقة الرجحان فاعلم ... على الزهراء فى بعض الخصاللان النبي عليه السلام قال (خذوا ثلثى دينكم من عائشة) واما اكثر الخصال فالرجحان للزهراء على الصديقة كما دل عليه قوله عليه السلام (كمل من الرجال كثيرولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) وفى الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال فى الاحياء اختلف الناس فى العلم الذي هو فرض على كل مسلم فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل العلوم كلها وقال المتصوفة هو علم التصوف إذ به يعرف العبد مقامه من الله تعالى. وحاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده قوله (على كل مسلم)." (١)

"ثالثا – بعد أن بين الله جل وعلا نهاية طغيان الملك والقوة أمام قوة الله تنتقل الآيات لتبين حقيقة أخرى وغرض آخر وهو نهاية طغيان الكفر، ثم نهاية طغيان المال وذلك من خلال قصة قارون مع قومه وكان قارون من قوم موسى قال تعالى: ﴿إن قرون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾ ((١)) فخرج على قومه بهيئة المتبختر وهو يحسب انه أوتي هذا **المال والعلم** عن ذكاء ودهاء فانقسم قومه على فريقين فريق فتن فيه وتمنوا مكانه:... ﴿قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قرون﴾ ((٢)) .... وفريق آخر هم عباد الله الصالحين لم يهتزوا بهذه المظاهر الزائفة ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾ ((٣)) .... وهنا تتدخل قوة الله فتخسف به وبداره الارض فلا يغني عنه ماله وعلمه من الله شيئا. وقصة قارون مرتبطة كل الارتباط بنهاية فرعون وطغيانه، فالقصتان تعبران عن استمرار الانذار الإلهي.رابعا – كذلك تعزز السورةغرضا آخرا، وهو التاكيد على أن الدنيا زائفة فانية، وأن الدار الباقية هي دار القرار (الجنة) جعلها الله للذين لا

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٢/٨

يريدون علوا في الارض ولا فسادا، وأن العاقبة للمتقين.خامسا – في ختام السورة هناك وعد وبشارة للرسول (– صلى الله عليه وسلم –) وصحبه الكرام بنصر الله والرجوع الى مكة فاتحا منتصرا لنشر دعوة الاسلام الى أرجاء المعمورة وإمتلاك زمام الامور في الجزيرة العربية وانتقال مركز القوى من يد الشر الى الخير والى الابد قال تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ ((٤)) .______________(١) سورة القصص: الآية ٧٦.(٢) سورة القصص: الآية ٧٩.(٣) سورة القصص: الآية ٨٠.(٤) سورة القصص: الآية ٨٥.." [١]

"" عرضت السورة في بدايتها قوة السلطات والحكم، وكيف باءت بالبوار مع البغي والظلم والكفران بالله والبعد عن هداه، والآن تجيء قصة قارون لتعرض سلطان **المال والعلم**، وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر والاستكبار على الخلق، وجحود نعمة الخالق " ((١)) .وسنعرض فيما يأتي بعض المعاني والعبر التي يمكن استقصائها من قصة قارون:أولا: دلت آيات على أن قارون كان من قوم موسى (– عليه السلام –) ولم تمنعه قرابته من عذاب الله ومقته بعد أن بغى وبطر، واستكبر وابتعد عن منهج الله، ولم يسمع نصيحة الناصحين. فإن ما يمر به المسلمون اليوم من ضعف وتكالب الأعداء عليهم شبيه بقصة قارون، فكثير من الدول الإسلامية اليوم، وأغنياء المسلمين يملكون من الأموال الكثير، لكن هذه الأموال والموارد الكثيرة لم تستغل بالشكل الصحيح في طاعة الله، ووفق منهج الله وسنته في المال، وبينما يعيش قسم من دول المسلمين في حالة رفاهية مطبقة وترف كبير وبذخ في الملذات وفيما يغضب الله، هناك من المسلمين من يصارع الموت من الجوع والمرض بسبب الفقر، فلم تنفع المسلمين أموالهم في صد كيد الأعداء المتكالبين، فكثير من أثرياء المسلمين اليوم يستثمر أمواله في البنوك الغربية، ولا يستثمرها في البنوك الإسلامية المحتاجة.______________(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣١٢.." [٢]

"ثم ذكر تحريم الخمر بطوله.وقال ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت لما توفي سعد: أدخلوه المسجد حتى أصلي عليه، فأنكر ذلك عليها، فقالت: والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابني بيضاء في المسجد سهيل وسهل.وقال فيه غير الضحاك: ما أسرع ما نسوا؛ لقد صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد.وفيها: توفي زيد بن سعية؛ بالياء، وبالنون أشهر؛ وهو أحد الأحبار الذين أسلموا.وكان كثير **العلم والمال**. وخبر إسلامه رواه الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله، قال: لما أراد الله هدى زيد بن سعنة، قال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا شيئين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما. وذكر الحديث بطوله. وهو في الطوالات للطبراني، وآخره: فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وآمن به وبايعه، وشهد معه مشاهد، وتوفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر.والحديث غريب، من الأفراد.قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: وفيها قتلت فارس ملكهم شهرابرز بن شيرويه، وملكوا عليهم بوران بنت كسرى، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ١٨/١

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ٢٤٢/١

امرأة".وفيها: توفي عبد الله بن سعد بن سفيان الأنصاري، من بني سالم بن عوف، كنيته أبو سعد. شهد أحدا والمشاهد. وتوفي منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، فيقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كفنه في قميصه.وفي هذه المدة: توفي زيد بن مهلهل بن زيد أبو مكنف الطائي، فارس طيئ. وهو أحد المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل، وكتب له بإقطاع. وكان يدعى زيد الخيل.فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير. ثم إنه رجع إلى قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ينج زيد من حمى المدينة". فلما انتهى إلى نجد أصابته الحمى ومات.وفيها: حج بالناس أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على الموسم في أواخر ذي القعدة ليقيم للمسلمين حجهم. فنزلت: ﴿براءة﴾ [التوبة: ١] ، إثر خروجه.وفي أولها نقض ما بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه.." (١)

"لسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكان صحابيا، لكن المرسل أشهر.وكان سهيل بن بيضاء من السابقين الأولين، شهد بدرا وغيرها. وكذلك أخوه سهل، وقد توفي أيضا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.وقال عبد الوهاب بن عطاء: أخبرنا حميد، عن أنس، قال: كان أبو عبيدة، وأبي بن كعب، وسهيل بن بيضاء، عند أبي طلحة، وأنا أسقيهم، حتى كاد الشراب أن يأخذ فيهم.ثم ذكر تحريم الخمر بطوله.وقال ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت لما توفي سعد: أدخلوه المسجد حتى أصلي عليه، فأنكر ذلك عليها، فقالت: والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابني بيضاء في المسجد سهيل وسهل.وقال فيه غير الضحاك: ما أسرع ما نسوا؛ لقد صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد.وفيها: توفي زيد بن سعية؛ بالياء، وبالنون أشهر؛ وهو أحد الأحبار الذين أسلموا.وكان كثير العلم والمال. وخبر إسلامه رواه الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله، قال: لما أراد الله هدى زيد بن سعنة، قال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا شيئين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما. وذكر الحديث بطوله. وهو في الطوالات للطبراني، وآخره: فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وآمن به وبايعه، وشهد معه مشاهد، وتوفي في غزوة." (٢)

"ما أكمل العلم والمال في المؤمن...١٠٩- فصل: ما أكمل العالم والمال في المؤمن٥١٧- ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس؛ فإنها إذا ضم إلى العلم، حيز الكمال.٥١٨- وإن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لا بد منه، وقل الصبر، فدخلوا مداخل شانتهم، وإن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسن لهم! فالزهري١ مع عبد الملك٢، وأبو عبيد٣ مع طاهر بن الحسين٤، وابن أبي__________١ محمد بن مسلم بن شهاب "٥٠-١٢٤هـ" هو الإمام العلم حافظ عصره.٢ عبد الملك بن مروان، فحل بني أمية والخليفة وأبو الخلفاء "٢٦-

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢/١٧٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين سيرة ٢/٢٦٠

٨٦هـ".٣.القاسم بن سلام الهروي "١٥٧-٢٢٤هـ" من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، مصنفاته في غاية الجودة. وقد جاء في الأصل: أبوعبيدة، وهو خطأ.٤ مقدم جيش المأمون والقائم على نصرته "١٧٠-٢١٧هـ".." (١)

"موضوع الصفحة٨٩ فصل: لا تبع عز التقوى بذل المعاصي ٩٠١٥٤ فصل: ثبتت حكمة الله في حكمه وملكه ٩١١٥٦ فصل: أعجب الأشياء مجاهدة النفس ٩٢١٥٦ فصل: البدار البدار قبل الفوات ٩٣١٥٧ فصل: تخليط أرباب الآخرة ٩٤١٥٨ فصل: أنفع المشايخ في صحبته العامل بعلمه ٩٥١٥٨ فصل: إن الله عز وجل يمهل ليبلو صبر الصابر ٩٦١٥٩ فصل: الجمع بين العلم والمعاملة ٩٧١٦٠ فصل: نعوذ بالله من طول الأمل ٩٨١٦١ فصل: أخذ الإشارات من الأشعار ٩٩١٦٢ فصل: الورع الأخذ بالأحوط في اتقاء الشبهات ١٠٠١٦٣ فصل: إن العقوبة بالمرصاد ١٠١١٦٥ فصل: اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم ١٠٢١٦٥ فصل: لو صحت النفوس لذابت من خوف الله أو لغابت في محبته ١٠٣١٦٩ فصل: الواجب الصبر وإن كان الدعاء مشروعا ١٠٤١٧٠ فصل: زاد الصابر ١٠٥١٧٠ فصل: المدعو مالك حكيم ١٠٦١٧١ فصل: رتبة العلماء على الزهاد ١٠٧١٧١ فصل: أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء ١٠٨١٧٢ فصل: الفكر يدل على أشرف المقامات ١٠٩١٧٣ فصل: ما أكمل **العلم والمال** في المؤمن ١١٠١٧٥ فصل: الفقه أفضل العلوم ١١١١٧٧ فصل: على العاقل أن يحذر الهوى ١١٢١٧٧ فصل: آفة الصداقة الحسد ١١٣١٧٩ فصل: من أحسن فيما مضى يحسن فيما بقى ١١٤١٨٠ فصل: الشره في تحصيل الأشياء يفوت مقصودها ١١٥١٨١ فصل: إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة ١١٦١٨٥ فصل: من عرف جريان الأقدار ثبت لها ١١٧١٨٦ فصل: الابتاء لمعرفة الصبر وإظهار الفضل ١١٨١٨٦ فصل: عليكم من العمل بما تطيقون ١١٩١٨٧ فصل: لا خير في لذة من بعدها النار ١٢٠١٨٨ فصل: لذتا الحس والعقل ١٩٠." (٢)

"وكان إماما فاضلا ثقة عارفا بالدين والدنيا رئيسا مشارا إليه متعبدا متزهدا نافذ الكلمة وكان يشبه بالقاضي أبي يوسف في زمانهدبر أمور الملك بحلب واجتمعت الألسن على مدحه والقلوب على حبه لمكارمه وأفضاله ونفعه الطلبة في العلم والدنياوله المصنفات الكثيرة منها كتاب ملجأ الحكام عند التباس الأحكام وكتاب دلائل الأحكام وكتاب الموجز الباهر في الفقه وكتاب سيرة السلطان صلاح الدين وكتاب فضائل الجهاد صنفه للسلطان صلاح الدينوكان من بدء سعادته أنه حج وورد إلى الشام فاستحضره السلطان صلاح الدين وأكرمه وسأله عن جزء حديث ليسمع منه فأخرج له جزءا فقرأه عليه بنفسه ثم جمع كتابه في فضائل الجهاد وقدمه للسلطان ولازمه فولاه قضاء العسكر وقضاء القدس وهو أول قاض ولي القدس بعد فتوح صلاح الدين وكان حاضرا موت صلاح الدين وخدم بعده ولده الملك الظاهر فولاه قضاء مملكته ونظر أوقافها سنة نيف وتسعين وكان القاضي بهاء الدين لا ولد له ولا قرابة وزاد إقبال الملك الظاهر عليه وأقطعه الإقطاعات

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/١٧٥

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٥٥١

الهائلة وكان ينعم عليه بعد ذلك بالأموال الجزيلة فتكاثرت أمواله فعمر بحلب مدرسة ثم دار حديث ثم أنشأ بينهما تربة وصار يكثر الأفضال على طلبة العلم والطلبة تقصده من البلاد لثلاث اجتمعن فيه **العلم والمال** والجاه وهو." (١)

"وقيل له من يسلم من سائر العيوب وقبيح الأفعال فقال من جعل عقله أمينه وحذره وزيره والمواعظ زمامه والصبر قائده والاعتصام بالتوقي ظهيره وخوف الله جليسه وذكر الموت أنيسهوقال الملك هو كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار فإن كان عذبا عذبت وإن كان مالحا ملحتوقال إذا أردت أن تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ أبدا بل دع فيه فضله تدوم لك اللذةوقال إياك في وقت الحرب أن تستعمل النجدة وتدع العقل فإن للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة إلى النجدة ولا ترى للنجدة غنى عن العقلوقال غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسهوقال ما ألمت نفسي إلا من ثلاث من غني افتقر وعزيز ذل وحكيم تلاعبت به الجهالوقال لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهموقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجريده فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل وإنما يسألون عن جودة صنعهوقال إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة وإحسانك إلى الخسيس يحركه على معاودة المسألةوقال الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منهوقال لا تستصغر عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيهوقال ليس تكمل خيرية الرجل حتى يكون صديقا للمتعادييونوقال اطلب في الحياة **العلم والمال** تحز الرآسة على الناس لأنهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملكوقال من جمع إلى شرف أصله شرف نفسه فقد قضى الحق عليهواستدعى التفضيل بالحجة ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق أن لا يقدم بهم على غيرهوقال لا تبتاعن مملوكا قوي الشهوة فإن لك مولى غيرك ولا غضوبا فإنه يقلق في ملكك ولا قوي الرأي فيستعمل الحيلة عليكوقال استعمل مع فرط النصيحة ما تستعمله الخونة من حسن المداراة ولا تدخل عليك العجب لفضلك على أكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به." (٢)

"وسأله أرسطوطاليس بماذا يعرف الحكيم أنه قد صار حكيما فقال إذا لم يكن بما يصيب من الرأي معجبا ولا لما يأتي من الأمر متكلفا ولم يستفزه عند الذم الغضب ولا يدخله عند المرح النخوةوسئل مم ينبغي أن يحترس فقال من العدو القادر والصديق المكدر والمسلط الغاضبوسئل أي شيء أنفع للإنسان فقال إن يعنى بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيرهوقال الشرير العالم يسره الطعن على من تقدمه من العلماء ويسوؤه بقاء من في عصره منهم لأنه يحب أن لا يعرف بالعلم غيره لأن الأغلب عليه شهوة الرئاسة والخير العالم يسوؤه فقد أحد من طبقته في المعرفة لأن رغبته في الازدياد وإحياء علمه بالذاكرة أكثر من رغبته في الرئاسة والغلبةوقال تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو عنه إزراء بالصنيعة وإنما يكون قبل هبة الجرم لهوقال اطلب في حياتك **العلم والمال** والعمل الصالح فإن الخاصة تفضلك بما تحسن والعامة بما تملك والجميع بما تعملوسئل أفلاطون عند موته عن الدنيا فقال خرجت إليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا اخرج منها كارها ولم أعلم فيها إلا أنني لم أعلمكتب أفلاطونولفلاطن من الكتب كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينية كتاب فأذن في النفس كتاب

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣٦١/٨

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٨٢

السياسة المدنية كتاب طيماوس الروحاني في ترتيب العوالم الثلاثة العقلية التي هي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس كتاب طيماوس الطبيعي أربع مقالات في تركيب عالم الطبيعة كتب بهذين الكتابين إلى تلميذ له يسمى طيماوس وغرض فلاطن في كتابه هذا أن يصف جميع العلم الطبيعيأقول وذكر جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه من آراء أبقراط وفلاطن إن كتاب طيماوس قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا في ذلك حتى جاوزوا المقدار الذي ينبغي ما خلا الأقاويل الطبية التي فيه فإنه قل من رام شرحها ومن رام شرحها أيضا لم يحسن فيما كتب فيهاولجالينوس كتاب ينقسم إلى أربع مقالات فسر فيه ما في كتاب طيماوس من علم الطبكتاب الأقوال الأفلاطونية كتاب أونفرن كتاب أقريطن كتاب قراطلس كتاب ثاطيطس كتاب سوفسطس كتاب فوليطيقوس كتاب برمينيدس كتاب فلبس كتاب سمبوسين كتاب." (١)

"(قضى الحياة فلما مات شيعه ... جهل وفقر فقد قضاهما نصبا) البسيطوقال أيضا(كن غنيا إن استطعت وإلا ... كن حكيما فما عدا ذين غفل)(إنما سؤدد الفتى **المال والعلم** ... وما ساد قط فقر وجهل) الخفيفوقال أيضا(أقسم العمر ثلاثا واستمع ... يا بني النصح مني والرشادا)(فاطلب الحكمة في أوله ... واحرز العلم وجب فيه البلادا)(واكسب الأموال في الثاني وكل ... واشرح الراح ولا تبغ الفسادا)(وترقب آخر العمر فإن ... جاءك الموت فقد نلت المرادا)(وإن إعتاقك في إحداهما ... طارق الموت فقد حزت الجهادا)(هذه سيرة مسعود بها ... نال في الدنيا وفي الأخرى السدادا) الرملوقال أيضا(بني تعلم حكمة النفس أنها ... طريق إلى رشد الفتى ودليل)(ولا تطلب الدنيا فإن كثيرها ... قليل وعما رقدة فتزول)(فمن كان في الدنيا حريصا فإنه ... يظل كئيب القلب وهو ذليل)(ومن يترك الدنيا وأصبح راهبا ... فما للأذى يوما إليه سبيل) الطويلوقال أيضا(نفسي تطالبني بما في طبعها ... والعقل يزجرها عن الشهوات)(والنفس تعلم أن ذلك واجب ... والطبع يجذبها إلى العادات)(والطبع يقصر عن مراد كليهما ... فكلاهما وقف على الحسرات)(والنفس من خمر الحياة وسكرها ... ستفيق بين عساكر الأموات) الكاملوقال أيضا(لا تدنين فتى يودك ظاهرا ... حبا وضد وداده في طبعه)(واهجر صديقك أن تنكر وده ... فالعضو يحسم داؤه في قطعه) الكامل." (٢)

"[*] (نموذج لأدعية ليست من الكتاب والسنة ولكنها نافعة وتوافق الكتاب والسنة:(اللهم ارزقنا الإخلاص قولا وعملا سرا وعلانية(اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور(اللهم ارزقنا الثبات على الدين وحسن الخاتمة(اللهم وسع في أرزاقنا من **المال والعلم** ولا تفتنا بهم وفقنا إلى الإحسان لإلى الناس بهم(اللهم افتح علينا رزقا لا تجعل لأحد علينا فيه منة ولا لك علينا في الآخرة تبعة(اللهم إنا ننزل فاقتنا بك ولا ننزلها بأحد سواك فاغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك(اللهم فرج هم المهمومين ونفس كرب لمكروبين واقض الدين عن المدينين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلهم دارا خيرا من دارهم

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٨٥

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٩٣

وأهلا خيرا من أهلهم وزوجا خيرا من زوجهم وأعذهم ن عذاب القبر وعذاب النار، اللهم اغفر لهم في المهديين واخلفهم في عقبهم في الغابرين واغفر لنا ولهم يا رب العالمين، ووسع لهم في قبورهم ونور لهم فيها، اللهم وجازهم بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا حتى يكونوا في بطون الألحاد مطمئنين وعند قيام الأشهاد آمنين، اللهم انقلهم من ضيق اللحود ومراتع الدود إلى جنات الخلود في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، اللهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.(اللهم يا رحيم يا رحمن ارزقنا الغفران والعفو عما سلف وكان من الذنوب والعصيان، وارزقنا خشية الرحمن وامتثال القرآن وجنبنا العصيان واستحواذ الشيطان وارزقنا التوبة الصالحة قبل فوات الأوان(اللهم يا رحيم يا غفار ألزم قلوبنا السكينة والوقار والفكرة والاعتبار والتوبة والاستغفارواجعلنا من عبادك الصادقين الأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.(اللهم يا رحيم يا تواب وفقنا للحق والصواب وموافقة السنة والكتاب وارزقنا التوبة وحسن المآب قبل أن يمر العمر مر السحاب." (١)

"(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا.(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علما.(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العفو و العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو و العافية في ديني و دنياي و أهلي و مالي، اللهم استر عورتي و آمن روعتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي.(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرجا.﴿تنبيه﴾: (يستحب للمسلم أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات فإنه من كنوز الحسنات(حديث عبادة في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن حسنة.[*] (نموذج لأدعية ليست من الكتاب والسنة ولكنها نافعة وتوافق الكتاب والسنة:(اللهم ارزقنا الإخلاص قولا وعملا سرا وعلانية(اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور(اللهم ارزقنا

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٩/٧

الثبات على الدين وحسن الخاتمة(اللهم وسع في أرزاقنا من **المال والعلم** ولا تفتنا بهم وفقنا إلى الإحسان لإلى الناس بهم(اللهم افتح علينا رزقا لا تجعل لأحد علينا فيه منة ولا لك علينا في الآخرة تبعة." (١)

"(فهو يتقي فيه ربه) أي في الإنفاق من **المال والعلم**(ويصل فيه رحمه) أي بالصلة من المال وبالإسعاف بجاه العلم(ويعلم لله فيه حقا) من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس(فهذا) أي العبد الموصوف بما ذكر(بأفضل المنازل) أي بأفضل الدرجات عند الله تعالى(وعبد رزقه الله علما) أي شرعيا نافعا(ولم يرزقه مالا) ينفق منه في وجوه القرب(فهو يقول) فيما بينه وبين الله(بعمل فلان) أي الذي له مال ينفق منه في البر(فهو بنيته) أي يؤجر على حسبها(وهما في الأجر سواء) أي فأجر من عقد عزمه على أنه لو كان له مال أنفق منه في الخير، وأجر من له مال ينفق منه سواء ويكون أجر العلم زيادة له (يخبط في ماله) بكسر الباء جملة حالية أو استئناف بيان أي يصرفه في شهوات نفسه(لا يتقي فيه ربه) أي لعدم علمه في أخذه وصرفه(ولا يصل فيه رحمه) أي لقلة رحمته وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله(ولا يعلم لله فيه حقا) وفي المشكاة: ولا يعمل فيه بحق، قال القاري رحمه الله أي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده(فهو بأسوء المنازل) عند الله تعالى أي أخسها وأحقرها(لعملت فيه بعمل فلان) أي من أهل الشر(فهو بنيته) أي فهو مجزى بنيته. أهـ(وهما في الوزر سواء)[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:أي من رزق مالا فأنفق منه في وجوه القرب ومن علم الله منه أنه لو كان له مال لعمل فيه ذلك العمل فيكونان بمنزلة واحدة في الآخرة لا يفضل أحدهما على صاحبه من هذه الجهة.(سابعا: التعلق بغير الله تعالى:وهذا أعظم مفسدات القلب على الإطلاق.." (٢)

"وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان وفيه أنزل قوله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] .وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: "أنه ينادي فيه مناديا يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر" ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة ولما كان الله عز وجل قد جب نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق وأشرفها كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وذكره مالك في الموطأ بلاغا: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم.وخرج ابن عدي بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا: "ألا أخبركم بالأجود الأجود الله الأجود الأجود وأنا أجود بني آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله" فدلك هذا على أنه صلى الله عليه وسلم أجود بني آدم على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل **العلم والمال** وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافا كثيرة.وفي الصحيحين عن أنس

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦٤٦/٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨٥٢/٨

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس وفي صحيح مسلم عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وفي رواية: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: "يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء ما يخاف الفقر" قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها وفيه أيضا عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وأنه لمن أبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ واديا مملوء إبلا ونعما فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي.." (١)

"«غزونا جيش الخبط وأمر أبو عبيدة فجعنا جوعا شديدا، فألقى البحر حوتا ميتا لم نر مثله يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب تحته، فأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول: قال أبو عبيدة: كلوا، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: كلوا رزقا أخرجه الله، وأطعمونا إن كان معكم "، فأتاه بعضهم بعضو فأكله (١)».١٥ - ومن فضل الله الحكمة؛ قال تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (٢).١٦ - ومن فضل الله ورزقه ونعمته الحرم الآمن، وجبي ثمرات كل شيء إليه؛ قال تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (٣).١٧ - ومن فضل الله **المال والعلم**؛ أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها (٤)».__________(١) انظر فتح الباري ٨/ ٧٨ رقم ٤٣٦٢.(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٩(٣) سورة القصص الآية ٥٧(٤) انظر فتح الباري ١٣/ ١٢٠ رقم ٧١٤١، صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب ٣٧.." (٢)

"الكاتب: محمد رشيد رضا__________الإسلام وأهلهيقظة بعض المسلمين. حال الباقين. تفصيل ما ظهر للمستيقظين. من شقيومن سعد. الاتباع والإبداع. الفرق بين الماضي والحاضر. آيات تحصيل العلوم.إنما أوقع المسلمين في الشقاء رؤساء الدين والدنيا. طريق الخلاص. اتباع سنةالراشدين في الدين وسنة الأمم العزيزة في الدنيا. استعداد المسلمين لهذا الإصلاح.الاجتهاد والتقليد. الحاجة إلى وضع حدود للإصلاح. من تصدى لذلك. استلفاتللعلماء.نحمد الله أن ليل الإسلام قد عسعس، وصبحه قد تنفس، وطفق أهله يهبومن رقادهم، ويمسحون النوم عن أعينهم، ولما يستيقظ إلا نفر قليل. وأما الباقونفمنهم من هو مستغرق في سباته يغط مما ثقل عليه النوم، وما أطال نومه هذا إلاتلك الأوزار والأوقار التي حملها من البدع والتقاليد، والأثقال والأحمال التي ناءتبه من الظلم الشديد، ومنهم من وقع عليه الكابوس فمنعه من القيام.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/١٦٤

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٥٥/٢٣٦

فلا هو فييقظة ولا في منام.ماذا فعل المستيقظون؟ رأوا الناس في طور جديد، ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ (هود: ١٠٥) ، فالسعيد قد غلب وساد، وحكم العباد، واستولى على ثروة البلاد،وأما الشقي فهوالذي رضي وخضع، وذل وخنع، وقلد واتبع.رأوا أن هذا الزمن زمن الاجتهاد والاختراع، والإحكام والإبداع، وتغييرالأوضاع، إلا ما لا يمكن تغييره، ولا يتأتى تحويله من شريعة محكمة توافق كلزمان، وسنة كونية لا يحكم عليها الأوان.رأوا مدنية هذا العصر مخالفة لمدنية العصور الخوالي، رأوا أنه لا يمكنهمأن يكونوا فيه على عادات أجدادهم الأوالي، رأوا أن السيوف الهندية، والرماحالخطية، لا تقابل المدفع والبندقية، والنسافات الديناميتية، رأوا أن العزة والقوة**بالعلم والمال**. وأن العلوم بالأعمال، لا بالقيل والقال، وكثرة الجدال، وإنما آيةالعلوم اللغوية بلاغة القلم واللسان، والقدرة على إيصال المعاني للأذهان، والتأثيربإصابة مواقع الوجدان، وآية العلوم الكونية الثروة الواسعة للأمة، والسلطة النافذةللدولة، فالثروة بالزراعة والتجارة والصناعة، والسلطة بالحكومة الشوروية،والعدل في الرعية، وآية العلوم الدينية تطهير العقول من الاعتقاد الباطل، وتزكيةالنفوس من الرذائل، والوقوف على جادة الاعتدال، في كل عمل من الأعمال.رأوا كل هذا وما يتبعه ويحتف به ، وعلموا بالمشاهدة والعيان أن جميعالمنتسبين للإسلام أمسوا وراء الأمم كلها. وعلموا أن هذا التأخر لم يكن ناشئا عنتقصير الطبقات الدنيا مع الأمة لأن زمامها لم يكن في أيديهم. وإنما الشقاء والبلاءكله من قادة العقول والأفكار، والمتصرفين في النفوس والأرواح، وهم العلماءوالمرشدون. ومن قواد الجيوش والعساكر، والمتصرفين في الدنانير والدراهم،وهم الملوك والحاكمون، وعلموا كما يعلم كل من نظر في هاتين المقدمتينالبديهيتين – تأخر الأمة الإسلامية وكون السبب في ذلك الرؤساء – أن صلاح هذهالأمة وانتياشها من هذا الشقاء لا يمكن إلا بمعرفة الفساد الذي طرأ على أولئكالرؤساء منذ تولدت جراثيم الخلل والضعف في الأمة إلى اليوم ، وتلافي ذلكوالتفصي من عقله والانطلاق من قيوده والسير في طريق جديد يوافق ما عليه سلفالأمة أيام الخلفاء الراشدين من حيث الدين ، وما عليه الأمم العزيزة القوية من حيثالدنيا ، ورمي كل ما عدا هذا وراء الظهر وعدم الالتفات إليه وإن لون بلون الدينوأوهم أنه منه ، وعدم الالتفات إلى قائليه ومروجيه وإن كان لهم من الألقابالضخمة ما يختلب عقول العوام، ويوهم الغافل أن مخالفتهم جناية على الإسلام.هذه النتيجة موضع اتفاق بين الباحثين في إصلاح المسلمين ولكنهم في العلمبها على درجات. وجميع المتعلمين على الطريقة الجديدة والواقفين على أحوالالبشر مستعدون لموافقتهم في رأيهم فكلما صدرت من واحد منهم كلمة؛ تنتشر بينهذا الصنف من الناس بسرعة غريبة حتى كأن القائل ألقاها إليهم بالأسلاكالكهربائية وكأن كل رجل من ناقلها سارية من سواري السلك البرقي. ولا يعبئونبإنكار الغافلين عن أحوال العصر والجاهلين بعلم الاجتماع من أصحاب العمائم إذاأنكروها لأنهم يعتقدون أنهم ما أنكروها إلا لأنها تمس أرزاقهم التي يتناولونها باسمالدين وتخفض شيئا من جاههم العلمي العتيق الذي لا يطابق ما كان عليه الصدرالأول من سلامة اللغة وبساطة الدين وسهولته ولا ما يقتضيه العصر من تعزيزالإسلام وإعلاء كلمته. أرأيت ما قاله أحمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديويةالفخيمة في نصيحته لولي عهد الحكومة المصرية بالأخذ بالدين:وخذه من الكتاب وما يليه ... ولا تأخذه من شفتي فقيهنشر هذا القول في المؤيد أعم الجرائد العربية انتشارا وطبع في ديوان(الشوقيات) وترنم به الناس وقبلوه حتى لم نسمع أن أحدا أنكره لا قولا ولا كتابة معأنه كلام شبيه بالرسمي ، والمخاطب به من أعظم أمراء الإسلام بل سمعنا من قال:إن هذا خير ما قاله شوقي وأنفعه.هذا ما عليه السواد

الأعظم من متعلمي المسلمين وخواصهم في العرب والعجمإما حصولا وإما قبولا ومن عداهم من الخواص كالمتعلمين على الطريقة العتيقةيحتجون عليهم بأن هذا يقتضي فتح باب الاجتهاد وهو مسدود من مئين من السنينونحو هذا الكلام الذي لا يقبله أولئك لأنهم يرونه تقليدا للمقلدين. والمقلد لا يصحتقليده كما أن المجتهد لا يقلد مجتهدا بالإجماع. يقولون: من سد باب الاجتهاد وهلهو مجتهد أم مقلد؟ فإن كان مجتهدا فمن هو؟ وكيف اجتهد هو ومنع غيره منالاجتهاد؟ وإن كان مقلدا فكيف تعدى على مقام الاجتهاد وتحكم في أهله؟ وكيفيصح لنا أن نأخذ بقوله هذا وهو مقلد لا قول له؟ وللآخرين أجوبة سنشرحها فيمقالة أخرى ونبين رأينا فيها ونقول الآن بالإجمال: لا يريد عاقل من الباحثين فيالإصلاح الإسلامي أن يكون الناس في الدين فوضى يذهب كل واحد إلى ما يزينله هواه ولا يريد أحد منهم أيضا أن يبقى المسلمون مقيدين بكتب الخلف من الفقهاءوغيرهم لأن هذا رضى بما عليه المسلمون لا سعي بإصلاح حالهم.لا بد من وضع قواعد وحدود للإصلاح الديني تتبع عملا ، وقد كتبنا شيئا منهذا في السنة الأولى للمنار وسنعيد الكلام فيه. ونقلنا في الجزء الماضي عنحضرة زميلنا محبوب عالم أفندي أن إخواننا مسلمي الهند سبقونا إلى هذا الإصلاحبالعمل ، ولم نزل نحن في طور الفكر وقد كتب بعض الفضلاء منا نبذا متفرقة لميتحرر بها الموضوع تحريرا. وقد نشرت رفيقتنا (ثمرات الفنون) الشهية عشرقواعد لأحد العلماء الأفاضل سدد فيها وقارب ولكنه لم يجل الغيابة ويبصر الغاية ،فانبرى له بعض أهل الجمود والخمود يرد عليه ويحتم على المسلمين أن لا يخرجواأرجلهم من المقاطر التي وضعها العلماء المتأخرون على ما فيها من الخلافوالنزاع والإبهام والإيهام والخرافات والضلالات ، ولقد عجب كل من رأيناه منالفضلاء الذين اطلعوا على الثمرات كيف نشرت هذه الجريدة النافعة هذا الردالمعسلط الذي لا نظام له.ونختم القول باستلفات علمائنا الكرام إلى العناية بالوقوف على أفكار الأمةوأمانيها لا سيما المتعلمين والكتاب ، وأن يجعلوا من أوقات فراغهم الطويلة جزءاللبحث فيما عليه الأمة ونسبتها لسائر الأمم والمذاكرة في ذلك ليبصروا مجرىالأفكار أين يتوجه فيكونوا على بصيرة من محافظتهم على طريقتهم التي هم عليهاأو من السعي في السير على طريقة أخرى تكون أنفع لهم وللأمة وبالله التوفيق.ـــــــــــــ." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضاـــــــــــــــــالأخبار والآراء(الشورى في بلاد فارس)تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميالللإصلاح، وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا، وكان الناس يظنونأن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذينيعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والأمراء، واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاحإنما يكون على يد المهدي المنتظر، ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ فينفوسهم حب الحكومة الدسقراطية، واستطابوا ثمراتها، ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهموأعجبوا بهم، وتبين لأهل البصيرة أن القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هوالنور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة، ولا غرو فلا هداية إلا بالعلمالصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد، فالمجتهد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده،والمقلد أحق بالعمى وإن اتسعت دائرة تقليده، وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصدعن الإصلاح إذا عقل طلابه، يقولون: لأن يجدنا المهدي أقوياء صالحين خير منأن يجدنا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٦٢٦/٣

كتاب الحكمة الشرعية) .رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية، فأمربذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهنأه الملوك بذلك ما عداالسلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد، وكان أشدهمسرورا عقلاء العثمانيين، وإنني أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر منالمقالات الضافية والقصائد البليغة، وهي أن كتاب الله جعل أمر المسلمين شوربينهم، فالحكم الفردي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله،فلا يجوز أن يسمى إسلاميا، فإذا نفذ حكم الشورى في البلاد الفارسية على وجههوبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا أن نقول: إنه لا يوجد فيالأرض حكومة إسلامية حقيقية إلا الحكومة الفارسية، فالواجب علينا تأييدها لئلايمحى حكم القرآن من الأرض، وإنما الواجب إقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسهسنيا أو غير سني وهو مخالف له.***(جامع ومدرسة دينية في ديروط)أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوما بعد يوم من بذلالمال في سبيل العلم والدين، فهو على قلته في نمو وازدياد يدل على أنه أثر لحياةجديدة في الأمة، ولا ارتقاء إلا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء إلا بذلالمال والوقت في سبيل المصلحة العامة، وهي سبيل الله التي دعا إليها بدعايةالفطرة السليمة والشريعة القويمة.هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه،فاختط بجانب داره في بلدة ديروط مسجدا جامعا ومدرسة دينية لتعليم العلومالأزهرية وكتابا تحضيريا لها، وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة معاهد مائةفدان من أجود أطيانه؛ لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلابوعلى المعلمين والمتعلمين، وشرط أن يكون التعليم فيها تابعا للأزهر في نظامه،إلا أنه شرط أن يعلم فيه فقه المالكية والحنفية فقط، ولو أطلق لكان أولى؛ لأنحوادث الزمان كثيرا ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به، وقد سبقالواقف غيره إلى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط، ولو شئنا لجئنابالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله، وإننا نعلم أن السبب فيهذا الشرط هو إحياء المذهب الذي ينتمي إليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيدمصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية.وقد دعا الواقف أكابر علماء الأزهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاءالقاهرة ومديرية أسيوط إلى الاحتفال بوضع الأساس لهذا البناء، فأجاب الدعوةشيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبلنظارة المعارف، وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوانالخديوي مندوبا عن الأمير، وحضره أيضا مدير أسيوط ومحمود باشا سليمانوكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون، وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطارخاص إلى ديروط يوم الخميس لثمان خلون من رجب، وكان الاحتفال في يومالجمعة عاشر رجب.بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم بتلاوة صحيفة الوقف، ثمتكلم بعض من حضروا وخطبوا بما يناسب المقام، فقال أمين بك سامي كلاماوجيزا مفيدا ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاثمديريات، وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلا ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العملناشرا للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكونديروط معهدا لحياة الأرواح وحياة الأرض.وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال: إنه يتكلمبالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائرالعلماء، وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجدالله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة: ١٨) الآية، وشرح الحديثالصحيح (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة) ، ومنذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في

كنس المساجد وتنظيفها، ثمأثنى على قطب بك قرشي الثناء الأوفى، وختم كلامه بالدعاء للسلطانوللخديوي والثناء عليهما بالإطراء المعتاد، وتلاه الشيخ عبد العزيزالبشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلةالعاملين، وبين أنه لا يرجى أن يعود إلى مصر مجدها السابق إلا إذاكثر العاملونوانتقل من ذلك إلى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والأمير بأسلوبه الشعري،والشيخ عبد العزيز هذا ميال إلى الأدبيات وأسمعني لنفسه شعرا حسنا يدل علىمستقبل أحسن منه إن شاء الله تعالى، وخطب محمد أفندي أحمد الصعيدي فتكلمعن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان، ثم انتقل منذلك إلى شرح عمل الواقف وإطرائه ومدح السلطان والخديوي، وكان هناك آخرونقد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها، وقد اقترح على صاحبهذه المجلة أن يخطب فارتجل خطابا وعى كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشرهالمؤيد، وقد تذكرت بقراءته فيه ما كنت ناسيا منه، وبعض ما نسيه المكاتب، فأناأنشر هنا ملخص ذلك وهو: إننا نحتفل اليوم بعمل يعتبر من المصالح العامة، فمن مقتضى المقام أن نقولكلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به. القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الأساس الذي بني عليه مجدالأمم وعزها، وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الأمم العزيزةالحاضرة وبه تسود الأمم في كل زمان ومكان. كثر الكلام في هذه الأيام في ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوبالأرض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف، ومهما اختلف العقلاء فيطرق العلاج فهم لا يختلفون على أن ارتقاء الأمة متوقف على وجود العاملينللمصلحة العامة، الذين يبذلون في سبيل الأمة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم. إنناعلى ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيمالحياة ما يكفي لإنعاشنا وإقالة عثارنا إذا وجد فينا الباذلون والعاملون للأمة، قالبعض علماء الأجانب لعظيم من عقلائنا: إنني قلما ذاكرت الوطنيين في مسألة إلاورأيت فهمهم فيها كفهمنا، فالظاهر أنه لا فرق بيننا وبينكم إلا في شيء واحد وهوكثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم. إن من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة علىأعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم، وإن ما درس من تلك الأوقاف وذهبتمعالمه وما عاد ملكا للجهل بأصله هو أكثر مما بقي. كيف لا يسبق المسلمون إلى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للأمةوحافظ لشرف الملة والإسلام، وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الإيمانبل جعله هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك منالقرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الأعمال وأشرفها، والباذلونهم سادة الأمة وعظماؤها؛ لأن الأمة لا ترتقي إلا بهم لا سيما في هذا الزمان الذيلا يقوم فيه عمل عظيم إلا بالمال، فالبذل فيه يعد بمثابة الفتوح والباذلون فيمصاف الفاتحين. لم يدع الإسلام فضيلة من الفضائل المحببة للأمم إلا حث عليها، وهذا حديثرسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو إلىالنهوض بالأعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله: (من سن سنة حسنة فلهأجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) ، فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعمنفعها، فإذاكان الشارع قد وضع الذين يقومون بالأعمال النافعة للأمم موضع الأئمة،أفلا يجب أن نعرف لهم قدرهم وأن نقتدي بمثل فعلهم، ولنا أن نقول: إن محييالسنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة؛ لأن محيي الشيء بعدالموت كموجده من العدم، فالسابقون إلى حبس الأوقاف على إحياء العلم والدينوغير ذلك من أعمال البر

التي ترقي الأمة في هذا الزمان يعدون من واضعي السننالذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم إلى يوم القيامة.أكتفي بهذا القول الوجيز في المشروع من حيث هو مصلحة عامة، أما كونهمسجدا ومدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يربصاحبه أنه كان ينبغي أن يكون مدرسة ابتدائية أهلية، فإن المساجد كثيرة والتعليمالديني قليل الجدوى، وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدونالشر، لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الأحمر بالقاهرة حيث المساجدتزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الأزهر لكان هذا الانتقاد صوابا، ولكنهأسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين. في الوجه البحريعدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للأزهر: كالجامعالأحمدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) ، وليس في الوجهالقبلي معهد لذلك، على أن الوجه القبلي أحوج؛ لأن أهله أفقر والرحلة أشق عليهموأعسر، فلم يبق إلا أن المنتقد يرى أن التعليم الديني لا حاجة إليه بالمرة، ولاأحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه.ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليمالديني؟ إننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم إلا خبالاوبلادهم إلا خرابا؛ لأنهم لا هم لهم إلا اللذات الحيوانية والحظوظ الشخصية،ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد.التعليم الديني إذا أدي على حقيقته تترقى النفوس، وتقل الجرائم والفواحش،ويندر سلب الأموال ونهش الأعراض، ويكثر الصدق والأمانة والمودة في الناس،قد يقال: إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة، نعم إن التعليمالديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا أن نسعى في تكميل الخير الناقص لا فيإزالته من الوجود بالمرة، ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا، إن كل شيءعندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا أن نكمل في غيره؛لأن الكمال يمد بعضه بعضا.لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي أنه لا حاجة إليه، كيف وهو وسيلةللرقي إلى تعليم أعلى منه لا ترتقي البلاد بدونه، وإنما أعني أن فائدته دون فائدةالتعليم الديني ومفسدته إن لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليمالديني كما هو مشاهد، نحن في أشد الحاجة إلى تعميم التعليم الابتدائي والسعي فيتكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه، وفى الوجه القبلي مدارسابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها، وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشاسليمان، فغرضي مما قلت أن أبين أن عمل قطب بك في محله، فإن التعليمالدنيوي متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو أنفع منه بل هو الذي لابد منه.أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون:إنه لا حاجة إليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروعالديني، وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى أن تأثير هذاالاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطبوالمواعظ والشعر، فإن احتفالا يجيب الدعوة إليه العلماء الأعلام ومندوب الأميروالحكومة ووجهاء الأمة ينظر إليه الناس بعين الرضا، ويعد حضور هؤلاء شهادةفعلية بنفعه وشكرا لمن قام به، لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال، وإذا كانالمحتفل ينوي باحتفاله الترغيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرءعلى العمل الصالح الخفي، وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أنحب الثناء في الحق لا ينافي الإخلاص في العمل.ثم ختمنا القول بحث الأغنياء على الأعمال النافعة للأمة والدعاء بإصلاحالراعي والرعية وتوفيق الجميع إلى القيام بما فيه سعادة الأمة.***(أخبار نجد)ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به وبقومه،وبعد أن قتل

صار ولده متعب أميرا مكانه، وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أناستولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف إليه حتى نزل على ماء يقال لهالعدوة يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات، فاستعد متعب للحصاروضاقت عليه الدنيا؛ لأن بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من العراقفتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بأن يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلحبينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه إلى الكويت على ما كان بينه وبينابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وفادته، وقبل شفاعته، وكتبإلى ابن سعود يرغب إليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتذاكرمعه فيما ينبغي، فأجاب ابن سعود رغبيته، ولا ندري على أي شيء تم ذلكالصلح، ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به إلاشيئا قليلاكما علم مما تقدم.أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من إزالة سوء التفاهمبين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفا لنجد فأقام في المدينة المنورة،ثم ذهب إلى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع العساكر المنظمة التي هناك(والشيحة قرية من قرى القصيم) ، وكان متعب بن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبلوصوله إلى القصيم في قرية سميرة التابعة لحايل، وقدم له الهدايا، وكان له صلةبأعوانه في المدينة، والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود، ويقال: إنهمهون عليه شأنه، ثم طلب المتصرف من ابن سعود أن يلاقيه فالتقيا في البكيرة منقرى القصيم، وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بنالرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف، وقدطلب المتصرف من ابن سعود أن يترك له القصيم وينزل هو والعسكر في قصربريده وقصر عنيزة، ويكون هو الحاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم، وكانشيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك،وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال: لا، قال ابن سعود: إنناخاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة،وأنت تعلم أن بلادنا فقيرة لا غناء فيها لأهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا ممانحن عليه، فإذا لم يكن معك أمر من السلطان بشيء فلا نقبل لك قولا، وإذا كانعندك أمر من السلطان فإننا نطلع عليه، فإذا كان سهلا علينا قبلناه وإذا كان شاقافإننا نرفع أمرنا إلى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا، ولا نشك في أنهيرحمنا، ولا يكلفنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا، ووافقه الشيوخ على ذلك،وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد، ووصفه بالإخلاص للدولة، ففهم ابنسعود أنه يعرض به فاستاء وافترقا مغضبين.ومن أخبار تلك البلاد أن أهل البادية أكثروا الاعتداء على العساكر بالاعتداءوالنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكرمن البدو، وكان ابن سعود لا يزال مغضبا مما قابله به المتصرف من العظمةوالغطرسة ومن مدح خصمه في وجهه، فأجابه: إنك أنت والعسكر ما جئتم إلالحمايتنا فكيف تطلبون منا أن نحميكم؟ فلما رأى المتصرف أن جميع بلاد نجدخاضعة لابن سعود، وأنه لا يقدر على الإقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه ألانله القول وأرسل إليه الفرس الذي أهداه إليه متعب بن الرشيد هدية وكتب إليه بأنه إذالم يقبل الفرس فإنه يقتله ولا يبقيه عنده، فقبله وأمر الأعراب بالكفعن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال، وكان ذلك قبل الصلح مع متعب.__________." (١)

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٥٣/٩

"الكاتب: محمد رشيد رضا_____________تقريظ المطبوعات الجديدة(أساس التقديس)رسالة في علم الكلام للشيخ فخر الدين (محمد بن عمر) الرازي الشهير،كتبها وأهداها للسلطان أبي بكر بن أيوب. وقد بسط الكلام فيها على تأويلالمتشابهات من الآيات والأحاديث الواردة في صفات الباري تعالى، وأسلوبه فيمذهب الأشعري معروف مشهور يمتاز بالسهولة وكثرة الدلائل التي لم يسبق إليها،ويتكلم في أواخرها على مذهب السلف.(الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء في وجود الله تعالى وصفاته ونظام العالم)هذه الرسالة للشيخ ملا عبد الرحمن الجامي يذكر فيها مذهب المتكلمين فيالمسألة ثم مذهب الحكماء ثم مذهب الصوفية، ويرجحه على المذهبين.ولعمري إن الجميع فلاسفة، ولكل وجهة وطريقة في البحث. والحق ما كانعليه سلف الأمة الصالحون من أهل الصدر الأول.طبع هاتين الرسالتين في كتاب واحد الشيخ محيي الدين صبري الكرديوشريكاه من قومه الشيخ عبد القادر معروف والشيخ حسين نعيمي. فنثني علىهمتهم ونحث أهل العلم على قراءة الرسالتين، وتباعان في مكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بمصر.(الواجبات)كتاب جديد وضعه وطبعه ونشره سامي أفندي بواكيم الراسي من فضلاءالسوريين في (سان باولو - البرازيل) وقدمه هدية معنوية إلى والده يواكيم أفنديمسعود الراسي، قسم المصنف الواجبات إلى واجبات عامة وواجبات إفرادية، فمنالأولى ما يجب للأهل والأقربين والأزواج والأصدقاء بعضهم على بعض وكذا مايجب للأعداء وللجنس البشري وللبهائم. ومن الثاني ما يجب على المعلمينوالصحافيين والأطباء والمحامين والجنود والتجار والزراع والصناع. وذكر أنهكتب ما يشعر به، أي كتب كتابة المستقل الذي يستملي من فكره ووجدانه، لا منتخيله ومحفوظه، وقد قرأنا جملا من الكتاب تدل على صدق المؤلف في دعواه،ونرى أن كتابه من الكتب النافعة.(لغة العرب)مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية أصدرتها في بغداد (رهبنة الآباء الكرمليين)وجعلت صاحب امتيازها (الأب أنستاس الكرملي) ومديرها المسئول كاظم أفنديالدجيلي. صدر الجزء الأول منها في أول هذا الشهر وصفحاته أربعون من قطعةرسالة التوحيد، واعتذرت المجلة عن ذلك بأنها لم تجد في بغداد ورقا كبيرا كورقالمجلات العربية في الشام ومصر كما أنها لم تجد فيها حروفا كحروفها في حجمهاواستكمال نقطها وحركات شكلها ليتسنى لها ضبط ما تحتاج إلى ضبطه منهابالحركات.ومن مزايا هذه المجلة أنها ستبين لنا من أحوال العراق وما اتصل به منجزيرة العرب ما نحن في حاجة شديدة إليه. وقيمة اشتراكها فيما عدا ولاية بغدادمن البلاد العربية تسعة فرنكات في السنة. والمرجو أن تنجح لقدرة أصحابها علىالخدمة التي انتدبوا لها **بالعلم والمال**.(رواية البائسين)هي القصة الشهيرة التي صنفها باللغة الفرنسية شاعر فرنسة العظيم فيكتورهيكو. وهي كمصنفها أشهر من نار على علم عند جميع الشعوب الأوربية، وكانشاعر مصر الشهير محمد حافظ إبراهيم ترجم من بعض سنين جزءا منها بالعربيةترجمة تصرف فيها بالمعاني وأبدع في صناعة التعبير ثم لم يتم الترجمة، فانبرىلترجمتها كلها ترجمة حرفية صديقنا جرجي أفندي وصموئيل أفندي يني صاحبامجلة المباحث، التي تصدر في طرابلس الشام، وقد صدر الجزء الأول منترجمتهما في ٢٠٠ صفحة، والمرجو من نشاطهما أن يتما ترجمة الكتاب في وقتقريب؛ ليستفيد منه قراء العربية ما فيه من الحكمة العالية والآداب السامية، التينال بها فيكتور هيكو من العظمة والشهرة ما لم ينله أحد من الشعراء والعلماء، ولامن الملوك والأمراء.(شفاء العائلات. من أدران الموبقات)قصة صنفتها الكاتبة الإنكليزية (ألن وود) وأودعتها تاريخ أسرة كبيرة منقومها اسمها أسرة (دانسبري) كانت في أوج العلياء ثم هبطت إلى الحضيضبفشو السكر

فيها وما يتبع السكر من الشرور والمفاسد. وقد ترجمها بالعربيةإسكندر أفندي إبراهيم يوسف وطبعت في مطبعة المعارف وتطلب من مكتبتها.(مصرع الظالمين)قصة تمثيلية جديدة من تصنيف توفيق أفندي سعيد الرافعي قال في وصفها:(تمثل الظلم في أبشع مظاهره والانتقام من الظالمين، ثم تمثل الأمانة والطهارة فيالحب، والخيانة والغش في الدولة، وضعف المرأة وقوة الرجل، والانكباب علىالملاذ والشهوات، وما ينتج عن كل ذلك من النتائج السيئة والحسنة، في عبارة لاتلطف على العامة، ولا تسفل عن الخاصة) .(عدل القضاء)قصة أدبية ألفها محمد أفندي حافظ وطبعها الشيخ أحمد علي المليجي الكتبيالشهير بجوار الأزهر ومنه تطلب) .(الصهيونية)(ملخص تاريخها – غايتها، وامتدادها إلى سنة ١٩٠٥)نشرت جريدة الكرمل التي يصدرها في حيفا نجيب أفندي الخوري مقالات فيجميعة اليهود الصهيونية التي تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لإعادةملك بني إسرائيل في تلك البلاد، وقد كنا حريصين على جمع نسخ الجريدة التينشر فيها تلك المقالات؛ لما فيها من الفوائد السياسية والتاريخية، ولكن صاحبالجريدة كفانا ذلك فجمع ما كتبه في رسالة بلغت ٦٤ صفحة. وقد اعتمد في جل ماكتبه على دائرة المعارف اليهودية فلخص منها بالترجمة العربية جل ما كتبه فنشكرله هذه الخدمة، ونحث جميع قراء العربية، ولا سيما العثمانيين على قراءة رسالتهوالاعتبار بها.______________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا______________المسألة الشرقيةتابع المقالات التي نشرناها في المؤيدبمناسبة حرب إيطالية لطرابلس الغرب(٢)(ما يجب على المسلمين والعثمانيين من مساعدة الدولة)صفة العناصر العثمانية ومكانة السلطة الإسلامية من أهلهاعدوان إيطالية على الدولة العثمانية هو فتح لباب المسألة الشرقية، دفعت إليهأوربة أشد دولها حماقة وغرورا وأقلها بصرا بالعواقب، وإن فرنسة وإنكلترة لايطيب لهما مجاورة إيطالية لتونس ومصر لولا الضرورة، وهما تعلمان أنطرابلس الغرب لا تكون لقمة سائغة لها كما ساغت حماية تونس للأولى واحتلالمصر للثانية، فسمحتا لها بأعسر اللقم ازدرادا وهضما، وأقبحها أحدوثة وذكرا،وأشنعها سبة وعارا. إذا لم يكن مراد أوربة بهذا العدوان فتح باب المسألة الشرقيةبهذا العمل لا يكون أقل من طرق لهذا الباب، وانتظار لما يسمع من الجواب،فبماذا يجيب العثمانيون والمسلمون؟العثمانيون مؤلفون من عناصر وملل شتى، وقد رضيت دولتهم التركيةالعنصر؛ الإسلامية الدين، بأن يكونوا كلهم شركاء لعنصرها فيها، وما قام يحاولهأولئك الأحداث الأغرار من هضم حقوق عناصرهم، واضطهاد لغاتهم، عرضيزول بزوالهم، أو زوال سلطتهم المؤقتة، فلا ينبغي أن تؤاخذ الدولة بذنب تلكالزعنفة التي قذفتنا بها سلانيك وأزمير وأدرنه؛ بل يجب أن يعلم كل عنصر،وأهل كل ملة أنه لا توجد دولة أوربية تعاملهم بمثل ما تعاملهم به الدولة العثمانية،وتعطيهم من الحقوق مثل ما تعطيهم هي، فإن الأوربيين قد تألهوا بالعظمةوالكبرياء، فهم يرون أنفسهم آلهة للشرقيين، وإن شاركوهم في الدين، فعلى من لميعم التعصب الديني قلبه، ولم تفسد الوساوس الأجنبية لبه، أن يفكر بخطرالعبودية، والحرمان من المساواة وحقوق الحاكمية، اللذين يتهددانه بسقوط الدولةالعلية (لا سمح الله تعالى) .ثم لا يثقل على غير المسلمين من إخواننا العثمانيين أن يكونالمسلمون من غير العثمانيين مشاركين لهم في الغيرة على هذه الدولةوالانتصار لها باسم الإسلام، فإنما ذلك مزيد قوة واحترام لدولتهم التييعتزون بعزتها ويذلون بذلتها حماها الله تعالى.الدين الإسلامي دين سلطة وحاكمية، وهذه الصفة من صفاته تكادتكون أرسخ من

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٦٢٦/١٤

عقيدة التوحيد في نفوس أهله، والمسلمون في مشارقالأرض ومغاربها يعتقدون أن الدولة العثمانية هي التي تقوم بها هذه الصفة،وهي سياج عقائد الإسلام وعباداته، وأن ما عرض لها من التقصير فيخدمة الإسلام باستبداد بعض السلاطين وفساد دين بعض الباشوات، أوبضغط أوربة، هو من الأعراض التي لا تلبث أن تزول بزوال أسبابها مادامت الدولة باقية مستقلة، آخذة على نفسها القيام بمنصب الخلافة.هذا الاعتقاد سار في جميع الشعوب الإسلامية سريان الدين فيمداركهم وشعورهم، ولبعض همج أفريقية وجزائر المحيط الجنوبي منالغلو في هذه الدولة وفي سلطانها ما يدخل في باب الخرافات، حتى إن فيالبرابرة المقيمين في القاهرة من يعتقدون أن السلطان هو الحافظ لهم فيبلادهم، وهو الذي منع العرابيين وغير العرابيين من الاعتداء عليهم.هذا الاعتقاد الذي تجهل الدولة كنهه فلم تعرف كيف تستفيد منه قدأفاد دول الاستعمار، ومهد لها سبيل الاستيلاء على الممالك الإسلاميةالكثيرة والتمكن فيها، بضعف المسلمين في مقاومتهم لها، إذ كان منأسباب هذا الضعف في كل قطر اعتقاد أهله أنهم ليسوا هم الذين يقيمونحكم الله؛ وإنما تقيمه دولة الخلافة فهو في أمان واطمئنان، يمكن الالتجاءإليه في كل آن، فإذا وقعت الواقعة، وبدأت أوربة بتقسيم البلاد العثمانية بالعدوانالمحض، وشعر المسلمون في كل مكان بأن أوربة جعلتهم كاليهود لا دولة لهم ولاسلطان، فهنالك يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى.ليس هذا القول بالتهديد ولا بالوعيد، وليس الذي يقوله جاهلا بقوةأوروبة العلمية والصناعية والاجتماعية؛ بل هو يعرفها ويعلم أنها جعلتبها أكثر المسلمين مسخرين لخدمتها كالسوائم، وأن الجاهلين منهم، وهمالسواد الأعظم لا يعلمون ماذا يعملون، وأن المتعلمين قد أفسدت التعاليمالأوروبية نفوس الكثيرين منهم، وحلت الرابطة الإسلامية التي تربط كلقطر من بلادهم منهم بالآخر وهم لا يشعرون، وأحدثت لهم روابط أخربدلا منها تسمى في مصر الوطنية وفي الآستانة الحاكمية للتركية، وفيطهران الجنسية الفارسية، وأن من المصريين من صار يفاخر بفرعونويعد المسلم السوري والحجازي دخيلا في أمته، وأن جميع الطبقاتتأثرت بهذا، وأنه وجد في الآستانة أناس يقولون إن أسباب ضعفناوتأخرنا جاءتنا من الإسلام، وفي طهران من ينشر تاريخ المجوسوعظمة ملوكهم، وينفر من الإسلام الذي دفع العرب إلى سلب ذلك الملكمنهم، وأن منهم من استحوذ عليه شيطان الجبن لشدة ما قاسى منالاضطهاد والظلم، كل هذا أعرفه كما يعرفه الأوربيون الذين زرعوابذوره وتعهدوا غرسه بالسقي حتى بدت لهم ثمراته دانية القطوف،ولكنني أعلم مع هذا كله أن هذه الجنسيات الجديدة لما تتمكن من نفوسجميع الذين ابتدعوها، وأن أكثر الذين تدنسوا بها لم يعرفوا أنها مخالفةلأصول الإسلام وفروعه الذي جعل المسلمين أمة واحدة؛ بل أعضاءلجسد واحد، وأن الشعور بالخطر على الحكومة الإسلامية كاف لمحو كلهذه الوساوس الأوربية من نفوسهم، وزلزال الجبن الذي ألم بقلوبهم،وعودة الرابطة الإسلامية القلبية إلى أشد ما كانت قوة ومتانة، وهذا هوالذي عنيته بقولي: يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى.إن أوربة قد علمت كنه حرص المسلمين على الحكومة الإسلاميةوشدة نفورهم من الحاكم الأجنبي عنهم، فهي لذلك تخادعهم بنصب أشباحمنهم تجعلهم آلات للحكم عليهم والتصرف بهم، حتى إن إيطالية التي هيأشد دولها غرارة وغرورا، وأقلهن علما وتجربة، تبحث عن أمير مسلمتجعله تمثالا تحكم طرابلس الغرب باسمه، ولولا أن أوربة تعلم كنه شعورالمسلمين بالحرص على السلطة الإسلامية، لما أطلقت على ذلك لفظالتعصب الديني وجعلت هذا اللقب مثار البغي والعدوان، والخطر علىنوع الإنسان، تنفر المسلمين منه، وتهددهم بالعقاب عليه، ولكن هليخشى أن يكون من سوء تأثير التعصب الإسلامي المخيف أكثر مما كانمن تساهل أوربة وعدلها ورحمتها في دفعها إيطالية

إلى اغتصاب مملكةإسلامية كاملة والسماح لأسطولها بتدمير ما يستطيع تدميره منها ومنأسطول الدولة العلية؟ كلا إنه لا يوجد عدوان في الأرض أقبح ولا أوضحولا أفظع من هذا العدوان.إنه مهما بالغ كتابنا وكتاب أوربة في إقناع المسلمين بأن أوربة تريدإزالة ملكهم من الأرض لا لأجل دينهم؛ بل لنفعها المجرد، فلن يستطيعواأن يقنعوا بذلك رجلا واحدا من كل مليون رجل، نعم إن ضعفنا هو الذييجرئهم علينا؛ ولكن حكومات البلقان المسيحية أضعف منا فلماذا يعطونهامن أملاكنا، ولا يقتسمون بلادها كما يقتسمون بلادنا؟ يقولون إن إيطاليةحاربت الحبش وأزالت سلطة البابا، ونقول نعم وطالما حارب المسلمونبعضهم بعضا، ولو استولت إيطالية على الحبش لما كان ذلك في نظرأوربة إلا استبدال دولة مسيحية بدولة مسيحية، وأما إزالتها لسلطة البابافقد مكنتها أوروبة منه لاعتقادها أن الدين المسيحي لا يعطي البابوات تلكالسلطة الدنيوية التي انتحلوها لأنفسهم، وإن كان فيهم ملحدون ففينا ملحدون،ومنهم من يريد إزالة سلطة الخلافة ويجعل السلطة دنيوية محضة تقليدالهم، فلماذا يبرؤون من التعصب ونرمى به؟إنني شرحت اعتقاد المسلمين كما هو فما جئتهم بشيء جديد إلاالتذكير بما يجب من إظهار شعورهم وآلامهم من اعتداء أوربة وبغيها علىدولهم الثلاث ومساعدتهم للدولة العلية بكل ما تمكن فيه المساعدة من المالوالحال.لا أقول: إنه يجوز لهم أن يعتدوا على أحد الأوربيين أو المسيحيين؛ لأنإيطالية أوربية مسيحية فإن الله تعالى يقول: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذينيقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة: ١٩٠) وللقتالطرق قانونية لا ينبغي إلا بها، وهي قتال الجيش المنظم ومن يتطوعمعه فقط، وقد أنبأنا البرق بأن كثيرا من فضلاء الإنكليز عرضوا علىسفارة دولتنا في لندره أن يتطوعوا لقتال إيطالية معنا، فالمسلمون أولىبإظهار هذه العاطفة في كل قطر من الأقطار، سواء احتاجت إليهم الدولة أملا، فأدعو المسلمين إلى التطوع.ثم أدعوهم إلى إظهار شعورهم بالقول والكتابة والمظاهرةوالاحتجاج، وقد رأينا الجرائد الأوربية عندنا ولا سيما الفرنسية منها قدأظهرت التحيز إلى إيطالية بمدح عدوانها، وإظهار العداوة والبغضاء للدولةالعلية، وكذلك بعض الجرائد المسيحية العربية المتعصبة للدين، وحاشاالجرائد العثمانية الراقية كالمقطم والأهرام فإنهما قامتا للوطنية العثمانيةبحقها، فلم لا يظهر المسلمون تحيزهم إلى دولتهم وبغضهم ومقتهمللمعتدين عليها.ثم أدعوهم إلى مقاطعة التجارة الإيطالية وترك معاملة الطليان بكلنوع من أنواع المعاملة، وأرى أن كل مسلم في أي بلد يعامل طليانيامعاملة مالية أو زراعية فهو مستحق للعنة الله والملائكة والناس أجمعين.ثم أدعوهم إلى مساعدة الدولة العلية بالمال وجمعه بالاكتتاب المنظم،وليتذكروا أن الله تعالى قدم ذكر الجهاد بالأموال على ذكر الجهاد بالأنفس حيثيمكن الأمران. وأما من عجز عن الجهاد بنفسه فليس له حظ إلا فيالجهاد بماله، فإن تركه فلا عذر له عند الله ولا عند رسوله ولا عند المؤمنين،ولا يوجد دليل على صدق الإيمان أقوى من بذل المال في سبيل الله ولادليل على ضعف الإيمان أو النفاق فيه أقوى من البخل والإمساك عن البذلفي سبيل الله، ومن أهمه أو أهمه حماية الملة وحفظ كيان الأمة والدولة.إن مسلمي مصر والهند أجدر المسلمين بأن يكونوا أرفع المسلمينصوتا وأنداهم كفا في الانتصار للدولة العلية؛ لأنهم يمتازون على سائرالمسلمين بثلاث **العلم والمال** والحرية، وفي هذا المقام نعترف لدولةإنكلترة بالفضل على جميع دول أوربة التي تضطهد المسلمين وتضيقعليهم مسالك الحرية الشخصية، وإن كنا في مقام نشكو فيه من إقرارهالإيطالية على عدوانها الوحشي.للدولة على المصريين حق الأخوة الإسلامية، وحق السيادة السياسية،ولولاية طرابلس عليهم حق ثالث وهو حق الجوار، فيجب أن يكونوا همالسابقين إلى

كل أنواع المساعدات الممكنة، وهم أهل لذلك، فلا يألونجهدا، ولا يدخرون وسعا، وقد رأينا الاضطراب ظاهرا على عوامهموخواصهم، والغيرة شاملة لجميع طبقاتهم، ويليهم مسلمو تونس فالواجبعليهم أن يرفعوا أصواتهم، ويمدوا سواعدهم، ويكذبوا هانوتو في زعمهأن فرنسة قد فصلت ولاية تونس من مكة، أي بترت هذا العضو من جسمالملة الإسلامية، هذه فرصة يجب أن يغتنموها هم وأهل الجزئر ليظهرواللعالم الإسلامي كنه صدق فرنسة في قولها إنها بدأت تغير سياستها فيمعاملة المسلمين، تغيير تساهل وتحسين، وليعلموا أن الجبن والإحجام في هذا الوقتلا يزيدهم عند فرنسة إلا مهانة واحتقارا، وذلة وصغارا، ولا أحتاج إلى تذكيرهمبقيمتهم في نظر العالم الإسلامي؛ بل العالم الإنساني.هذا ما أذكر به إخواني المسلمين في الشرق والغرب وأدعوهم معسائر الكتاب إليه، ولي معهم قول آخر فيما يجب عليهم من العبرة في هذهالحادثة، وما يجب أن يعتقدوه في أوربة كلها ويعاملوها به إذا هي بقيتمصرة على غيها في إقرار إيطالية على عدوانها.وأما أنتم أيها العثمانيون الخلص فإنما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثنىوفرادى وجماعات، ثم تتفكروا فتجزموا بأنكم مهددون بالزوال، وأن هذاالوقت ليس وقت مطالبة بإصلاح، ولا مؤاخذة على إفساد، وإنما هو وقتلا يتسع إلا لشيء واحد، وهو تأييد الدولة ببذل الأموال والأرواح.واعلموا أيها الإخوة الألبانيون أن حكومتنا صائرة بطبعها إلىاللامركزية فلا تعجلوا، ولا تغوينكم دسيسة أوربة باضطرارها الدولة إلىإعطاء تلك المطالب للماليسوريين، واصفحوا عن جهل إخوانكمالمغرورين، الذين رجحوا قتالكم وقتال إخوتكم الآخرين، فهذا وقت العفووالسماح، هذا وقت الاعتصام والاتحاد، فإن الخطر محدق بالجميع،فيجب أن يتحد الجميع على دفعه.هذا وإنني أرجو من إخواننا السوريين الكرام في خارج المملكة أنيظهروا صدق وطنيتهم، ويعرفوا دولتهم بقيمة إخلاصهم، وبأنهم ماكانوا يشكون إلا من سوء المعاملة، وأنهم حريصون على سلامة الدولة،ولا يكرهون منها صبغتها الإسلامية؛ لأن هذه الصبغة لم تمنعها منمشاركتهم فيما يسمونه الحاكمية، ولا من مساواتهم بغيرهم في الحقوقالعمومية، وما كان من التقصير في ذلك فهو من ذنب بعض الأفرادوالإصلاح لا يجيء إلا بالتراخي والتدريج.... ... ... مصر في يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٣٢٩* * *(٣)(ما يجب من العبرة والاستفادة من هذه الشدة)لسان الحال أفصح من لسان المقال وأصدق، والحوادث أشد تأثيرافي نفوس الناس من الأحاديث والأقوال التي تلقى إليهم، وحوادث الشدائدفي البأساء والضراء، أبلغ في التأثير والعبرة من حوادث النعمة والرخاء،فيجب على الخطباء والمرشدين أن يغتنموا فرصة نزول البلاء والشدةلتنبيه شعور الأمة، باستخراج فنون الموعظة والعبرة.كان الأستاذ الإمام يقول: إن علة هذه اليقظة والحركة الفكرية فيالمسلمين هي الحرب الروسية العثمانية الأخيرة، وكانوا قبلها في غفلة لايتألم قطر من أقطارهم لما يصيب قطرا آخر؛ بل لا يكاد يشعر بمصابه،فقد دخل الإنكليز قبلها بلاد الأفغان محاربين فاتحين ولم تبال بذلك الآستانة ولامصر، بل ولا الهند ولا إيران جارتا تلك الإمارة، فتلك الحرب هي التيأيقظت المسلمين هذه اليقظة على ضعفها بانتصار الروسية عليها،وبلوغ الجيش الروسي ضواحي عاصمتها.وأعرف كثيرين من أحرار العثمانيين يعتقدون أن انتصار الدولةعلى اليونان في حربها الأخيرة كان شرا من الانكسار الذي كانوا يتمنونهللقضاء به على استبداد عبد الحميد، فهم يقولون: إن ذلك الانتصار هوالذي كان سبب رسوخ استبداد ذلك المخرب لبناء الدولة، ولولاه لفازطلاب الإصلاح بإعلان الدستور قبل الوقت الذي أعلن فيه بسنين كثيرة.هذا القول معقول وقد بين لنا كتاب الله تعالى ما كان في انكسارالمؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد من الفوائد، وما كانمن تمحيصه لهم وإرشاده إياهم إلى تدارك ما فرطوا فيه بغرور بعضهمفي الانتصار.إن

دول أوربة تعلم من فوائد الشدائد ما لا نعلم، فهي تحاول أن تحول بينناوبين الانتفاع بما ننزله بنا منها، فلا تقطع منا عضوا إلا بعد تخدير أعصابنا،وإبطال شعورنا، بنحو ما يسميه الجراحون عملية التبنيج، فيسمونالبغي والعدوان والفتح والتمليك بغير أسمائها هزؤا بنا، وضحكا وسخريةمنا، حتى إن إيطالية تريد بعد هذا البغي والعدوان المشوه أن تسخرمن الدولة والأمة العثمانية بتسمية امتلاكها لطرابلس احتلالا تحت سيادةتركيا، وأن تدفع للدولة دريهمات تسميها ثمنا أو أجرة أو خراجا لتلكالمملكة الإسلامية العثمانية ليسخط العثمانيون والمسلمون على الدولةوييأسوا منها.إن أخذ إيطالية لطرابلس بالقوة القاهرة لبعدها عن مركز قوتنا أشرفللدولة وأنفع للأمة من أخذها بثمن بخس، وكل ما تباع به الأوطان فهوبخس، وفيه من الخسة والضرر لإيطالية بقدر ما فيه من الشرف والفائدةلنا.لا عار على من يشتري ملك غيره، ولكن العار الكبير على منيختلسه اختلاسا عند غيبة من كان يحميه، ولا يغني الأمة مال قليل أوكثير نأخذه مع الإذلال والإهانة وإضعاف رجائها في الحياة، وإيئاسها منالعزة والشرف، ولكن الأمة تغني وتتسع ثروتها بالمنبهات القوية التيتعرف بكيد أعدائها وغدرهم، وتقوي شعور الشرف والإباء فيها، وتحفزهمتها إلى اتخاذ جميع الوسائط لحفظ الموجود، ورد المفقود على أنالعثمانيين الصادقين، وغيرهم من المسلمين الغيورين، سيبذلون للدولةمن الإعانة لحفظ شرفها أكثر مما تبذله عدوتها لإضاعته.علمت من الثقات في عاصمة دولتنا أعزها الله تعالى أن بعضالمتفرنجين المارقين الذين نفثوا سموم العصبية الجنسية الجاهلية فيها،يميلون إلى بيع أوربة بعض الولايات العربية التي في أطراف المملكةكطرابلس وجنوب بلاد العرب لأجل أن يرقوا بثمنها ولايات الروملليوالأناضول، وما يتصل بها من البلاد الخصبة ويجعلوها مركز قوة الدولة،فتكون لهم دولة صغيرة قوية كدول أوربة في كل شيء، لكن بشرط أنيكون ذلك في غمرة من الحوادث يظهرون للأمة فيها أن الدولة فعلت ذلكمضطرة لا مختارة، وأنها افتدت رأس الدولة وقلبها ببعض أصابع منيديها أو رجليها، أو بما هو دون ذلك عندهم.قد اضطررت إلى بيان هذه المسألة الآن اضطرارا لنفطن لها الأمةفتقطع الطريق على وساوس شياطينها، ولا شك أن السواد الأعظم منالأمة العثمانية يسفه أولئك الزعانف من الأفراد المتفرنجين المارقين،الذين يقال: إن من آثارهم ترك تحصين طرابلس الغرب، فيرجى أن لاتلدغ الأمة من جحرهم مرة أخرى.المسلمون أشجع الناس وأثبتهم في القتال، وقد بشرهم الرسول صلىالله عليه وسلم، بأنه لا يغلبون من قلة، وما خذلت دولتنا وغلبت في الحربالروسية إلا بخيانة من بعض القواد والرؤساء، بعد أن نفث التفرنجفيهم سم الإلحاد، وجعل همهم من حياتهم التمتع باللذات والشهوات، ولعل إيطاليةما جمحت إلى هذا العدوان إلا اتكالا على أفراد من هذا الصنف الممقوتالذي يهون عليه إضاعة هذه المملكة (طرابلس وبرقة) لذلك الغرضالوهمي.مولانا السلطان الأعظم وأعضاء أسرته الكريمة كلهم ينبذون رأيأولئك الزعانف المارقين إن ظهر، وسروات العنصر التركي المباركوجمهور الطبقة المتعلمة، وجميع العامة من هذا العنصر العريق فيالإسلام كلهم يخالفون أولئك الأوشاب الذين لا يعرف لهم الأمة أصل ثابتولا أثر صالح.يظنون أن مثل هذا الرأي الأفين يروج عند بعض طلبة المدارسالرسمية المغالية في التفرنج، ونرجو أن يكون هذا الدرس الذي ألقته عليناإيطالية قد أبطل ظنهم، ونبه نابتة تلك المدارس على بطلان ظن آخر وهوأن تقليد بعض الأوربيين في العادات ونبذ الدين ظهريا يجعلنا مثلهم فيقوتهم وعظمتهم، وكانوا يجاهرون بهذا الظن حتى تجرؤوا على كتابتهفي الجرائد، وكتب بعض ساسة الآستانة: إن قومنا الترك والمجر منأصل واحد؛ فلماذا ارتقوا في المدنية والحضارة ونحن منحطون واستعدادالجميع واحد؟ يجب أن نسلك مسلكهم حتى نكون مثلهم باحترام أوربة لناومساعدتها إيانا ورضاها بأن يكون

عنصرنا عنصرا أوربيا. كان هؤلاء المساكين ومقلدتهم من طلبة المدارس الرسمية يتوهمونأن أوربة يمكن أن ترقيهم وتجعل لهم دولة قوية كدولها، وأنه لا وسيلةإلى ذلك إلا بإرضائها بالتفرنج ونبذ الإسلام. نعم إنه يرضيها منهم التفرنج؛ لأنه هو الذي يجرف ثروتهم إليها، ويرضيهم منهم ترك الإسلام لأنه هو الذي يحل رابطتهم ويفصلهم من مئاتمن الملايين يغارون عليهم ويودون أن يروهم سالكين سبيل الرشاديمدوهم بأموالهم ونفوذهم المعنوي، وكذا بأرواحهم إن وجدوا إلى ذلكسبيلا، ولا يرضيها ذلك منهم لأجل أن يرتقوا ويعتزوا؛ بل يناديهم لسانحالها كل يوم ولسان مقالها في بعض الأوقات بهذا المثل (وجودك ذنب لايقاس به ذنب) وهل يمكن أن يوجد نداء أفصح لهجة وأصرح صيحة منبتر طرابلس الغرب من جسم الدولة. هؤلاء الذين أفسدت تعاليم أوربة علينا قلوبهم وأفكارهم، وجعلتهمعونا لها على إزالة استقلالهم من حيث لا يشعر بذلك أكثرهم، يوجدأشباه لهم وأمثال في الهند ومصر وتونس والجزائر، يظن أكثرهم أنبلاده تكون مستقلة بمساعدة أوربة إذا تركت جنسيتها ومقوماتها ومشخصاتها الأولىواستبدلت بها ما تأخذه عن أوربة من الجنسية الوطنية واللغوية، وقد وطنت نفوسبعضهم على الرضى بالسلطة الأوربية ظاهرا وباطنا لا محاء شعور الدينوالجنس منها وعفاء أثره. كتبت هذه النبذة لتذكير هؤلاء المتفرنجين بما يجب عليهم من العبرةفي الكارثة النازلة بنا، وتذكير سائر الأمة بالاعتبار بهم، لعلها تقدر علىإبعاد من بقي منهم على غيه من مناصب الدولة، ومن النيابة عنها فيمجلس الأمة، ولتذكير الجميع بما يجب أن نأخذه عن أوربة وما يجب أننداعه ونتقيه كما نتقي العقارب والثعابين وجراثيم الأمراض (وميكروبات)الأوبئة أو أشد اتقاء. كارثة طرابلس الغرب حجة قطعية محسوسة يشترك في إدراكهاالسمع والبصر فلا يمكن أن يوجد في الحجج أقوى من دلالتها على حكمأوربة علينا بالإعدام، واتفاقها على قسمة تركتنا قبل الإجهاز علينا، فيجبأن يعرف هذا كل فرد من أفراد رجالنا ونسائنا وأولادنا. وهذه الحجة تدل على بطلان عقيدة نظرية كان يعتقدها بعض ساستناوالمفكرين منا، وهي أن أوربة لا تعتدي على بلد من بلادنا إلا إذا حدثتفيها فتنة اعتدي فيها على بعض الأوربيين من أية أمة منهم، أو علىالنصارى منا، فإذا قدرنا على منع أسباب الفتن والتعدي وتلافي ما تحدثهالدسائس فيها فإننا نتقي بذلك تعدي أوربة علينا، ونجعل لأنفسنا فرصة بذلكنرقي بها أنفسنا. أبطلت كارثة طرابلس الغرب هذه الشبهة وقامت بهاالحجة على أن أوربة تغتصب بلادنا بمحض العدوان وكونها محتاجة إليهاوأحق بها منا، فإرضاؤها عنا متعذر ما دمنا أحياء، وإننا نراها قد استعجلت عليناب‍عد أن أظهر لها بعض المتفرنجين منا فسقهم وإلحادهم، كما صرحت بهبعض الجرائد الفرنسية في المقارنة بين تركيا الفتاة ومصر الفتاة. إن أوربة تجربنا بهذا البدع الجديد من العدوان هل نرضى أن نقتطعجسمنا قطعة بعد قطعة كلما هضمت واحدة منها قطعت أخرى والتهمتهامن غير مقاومة منا ولا معارضة أم لا، فإن رضينا بهذا الخسف فهوالقصد والغرض والأمنية العليا لأن المملكة تكون كلها غنيمة باردة لها لاتخسر عليها نقطة من الدماء الأوربية المقدسة التي تفضل كل نقطة منهاعلى جميع أهل آسية وأفريقية. وإن أبينا الذل والخسف وقاومنا جهد استطاعتنا، وأثبتنا لها أننا بشرنحس ونشعر وأن بيننا اتصالا وتضامنا في الجملة، فهي تكون حينئذ بينأمرين إما أن تحل المسألة الشرقية عاجلا خشية أن يقوى هذا الشعوروالتضامن فتصعب إبادة أهله، وإما أن يكون الاتفاق لم يصل بين دولهاإلى هذه الدرجة فتتركنا نحن وإيطالية إلى أن يتم لهذه الاستيلاء علىطرابلس بقوتها وحدها أو لا يتم، ويتربصون بباقي بلادنا فرصة أخرى. والذي أراه أنه لا يمكن أن نموت ميتة شرا من أن نقطع قطعا قطعاكالشلو ونؤكل بالتدريج فيكون موتنا إماتة لشعور جميع المسلمين وإيئاسالهم من الحياة، فيجب إذا أن تبذل الدولة والأمة كل طاقتها في

صد إيطاليةعن طرابلس وإن عرضت كل ما فيها للخراب وكل من فيها للقتل؛ ولأنتأخذها إيطالية أطلالا دارسة ليس فيها أنيس، لا من البشر ولا من اليعافيروالعيس، خير من أن تأخذها بقلاعها وحصونها ودورها وأهلها.وإذا أرادت أوربة بسبب مقاومتنا لإيطالية أن تقتسم بقية بلادنا فخير لنا أننعرض جميع جيشنا وجميع أفراد أمتنا للقتل كما قلنا في إخواننا أهل طرابلس، وأننعرض جميع بلادنا للخراب، ولا ندعها غنيمة باردة لأوربة الباغية الطاغية، كمانعرض طرابلس لذلك.وإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز أن تموت جباناإن تفعل ذلك أوربة وهو ما لا ترضاه لها شعوبها التي يوجد فيهاالجماهير من المهذبين الذين يكرهون العدوان وسفك الدماء حقيقة لا رياءونفاقا كما يدعي ساستها – يكن ذلك درسا للشرقيين عامة والمسلمينخاصة يقرب أن يعلمهم كيف يعاملون هذه الوحوش المفترسة بمثل ماعاملتنا به، وإنه ليغلب على اعتقادي أن سلب الدولة الإسلامية الكبرىملكها حماه الله بمثل هذه الصورة بعد ذلك العدوان على مملكتي إيرانوالمغرب الأقصى يكون سببا قريبا لحياة المسلمين والصينيين حياة قريبةوأن القوة الآلية القليل عمالها لا يدوم لها القهر للكثرة العديدة تنفق آحادها.أيتها القسطنطينية العظمى، اعلمي أنه يجب أن نحيا، وأنك أنت التيتحكمين اليوم بوجوب حياتنا إذا أبيت أن تبيعي طرابلس ولو بملء الأرض ذهبا،وجعلت الدم مع العزة والشرف، أرخص من الذهب مع الذل والهوان،يجب أن تختاري العز على الذل، وجميع قلوب المسلمين معك اليوم،وسيتبع ذلك أموالهم وأنفسهم.هذا إذا أقدمت أوربة على الخطر الأخير، وإن هي أحجمت عنه فلاتأسفي على طرابلس إذا ذهبت وبقي الشرف، ونمي الشعور بالحياةالاستقلالية، فإنها لا تلبث أن تعود هي وغيرها، والواجب على الأمةالعثمانية في حالة الإحجام، وحفظ كيان الدولة أن تبعد عن كراسيالوزارة والرياسة والقيادة والنيابة في مجلس الأمة جميع المارقينالمفتونون بالتفرنج، وأن لا تقتبس من أوربة إلا الصناعات والفنون التيتمدها بالقوة والثروة، دون الآداب والعادات والأزياء وسائر الأمورالمعنوية، يجب حينئذ أن تؤسسي جامعة عثمانية حقيقية، وأن تحفظيرابطتك الإسلامية أشد الحفظ، وسنبين هذه الواجبات بالتفصيل إن شاء اللهتعالى.* * *(٤)الاعتبار بالمقارنة بينها وبين الجامعة الإسلاميةالمسألة الشرقية عبارة عن إزالة ملك المسلمين كالوثنيين واقتسامأوربة لجميع ممالكهم، وهي من الحقائق الثابتة المقررة لا ينكرها أحد،ومسألة الجامعة الإسلامية عبارة عن اتفاق المسلمين وتعاونهم على حفظسيادتهم والدفاع عن أنفسهم، وهي من الخيالات التي تصورتها أذهانالأوربيين ورسمتها في لوح الإمكان والاحتمال لأجل الصد عنها، واتقاءوقوعها، عملا بقاعدة: اتقاء وقوع المرض خير من معالجته بعد وقوعه.ترى أوربة أنه لا إثم في حل المسألة الشرقية ولا حرج، ولا يعد منالطمع ولا من التعدي على حقوق الأمم؛ بل هي فضيلة وكمال إنساني،وإنما يخشى الإثم والحرج في اختلاف الدول الكبرى في القسمة اختلافايضرم نيران الحرب بينهن.وأما الجامعة الإسلامية فهي في نظر أوربة أكبر الأنام، وأظهر أمثلةالبغي والعدوان، وأشنع صور التعصب الوحشي؛ لأن المسلمين ميالونإلى الحرب والاستيلاء على الممالك وهذه تجارة خاصة بأوربة يجب عليهاالاحتكارها.صوروا الجامعة الإسلامية بتلك الصور الشنيعة المشوهة، وتفننوا ماشاءت بلاغتهم في هجومها وذمها، ووصف مضارها ومفاسدها، حتىنفروا قومهم منها، ومن المسلمين الذين يتهمونهم بها، بل نفروا المسلمينأنفسهم منها بضربين من ضروب التنفير أحدهما: تهديدهم بأن أوربةتسومهم سوء العذاب إذا هي أنست منهم عملا ما لهذه الجامعة، وثانيهما:أنها أحدثت لهم جنسيات جديدة، وأحدثت لهم أماني واعتقادات بأنه يمكنلكل جنس منهم أن يستقل بنفسه، ويكون له دولة عزيزة ممدنة، إذا هوانسلخ من الجنسية الإسلامية، ونهض بجنسية النسب أو اللغة

معا أوأحدهما فقط، فكون الترك دولة تركية فقط، والفرس دولة فارسية فقط،والمصريون دولة مصرية فقط، والسودانيون دولة سودانية فقط بشرط أنتكون هذه الجنسية بمعزل عن الدين لا شية فيها، وحينئذ يجد أهلها منمساعدة أوربة عاشقة الإنسانية وعدوة التعصب الديني ما يبلغهم أمنيتهم منهذا الاستقلال.من عجائب تصرف العلم في الجهل أن وساوس أوربة تروج فيسوق المستمسكين بكل ما يعتقدون أو يظنون أو يتوهمون أنه من الدين،المبغضين الماقتين لكل ما عليه الأوربيون كما تروج في سوق المتفرنجينالذين زلزلت التعاليم الأوربية الناقصة عقائدهم وجميع مقوماتهمومشخصاتهم الملية؛ بل هي في سوق أولئك المتعصبين لعقائدهم وتقاليدهمأشد رواجا وأقبح تأثيرا.تعبث أوربة بجميع الشرقيين وتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة،فهم ألعوبة بين يديها، حتى في حال مقاومتهم لها؛ لأن من المقاومة ما لابد منه فهي تمهد لهم سبيله، كمقاومة أهل المغرب الأقصى لفرنسة في تلكالمدة القصيرة، هي التي حركتهم للثورة، وهي التي دفعتهم إلى المقاومة؛لأن الطريقة التي رسمتها للاستيلاء على بلادهم وأعناقهم لا تتم إلا بذلك،وكم لها من أمثال هذه الوسائل؛ ولكن من تستعملهم فيها لا يدرون كنهعملهم ولا غايته ولا يعرفون من هم الدافعون لهم إليها، ولا أنهم يبخعونأنفسهم بها (ينتحرون) .إن المسألة الشرقية حقيقة لا ريب فيها، ومن عجائب غفلة المسلمينأنهم لا يزالون كالأطفال يدركون الجزئيات عندما تتصل بإحدى حواسهمولا يفطنون للكليات التي تندرج هي تحتها ليدركوا كل ما هو محيط بهممن المصائب والأخطار، حتى إن أوربة تتجادل في قسمة ممالكهم وهميسمعون تحاورها في جدالها، ويكتبون بعض أخبارها في جرائدهم،وتلوكها ألسنتهم في مجالسهم، ولا ينتقلون من كل جزئية منها إلى الأمر الكليالحامل عليها وهو إزالة ما بقي من ملكهم، والاتفاق على قسمة سائر تراثأجدادهم، وهو ما يسمى بالمسألة الشرقية، فهم يعدون مسألة طرابلس الغرب مسألةجزئية سببها طمع إيطالية وغرورها، وإقدامها على نكث قتل المعاهدات ونسخأصول حقوق الدول، وليس الذنب ذنب إيطالية وحدها، وإنما هو عمل أوربة كلهابدليل إقرارها إياها عليه، وعدم إجابة الدول نداء الدولة العلية إذ استصرختهنلحماية القوانين والعهود والمواثيق.لو أن مثل هذا العدوان وقع من الدولة العلية على بعض حكوماتالبلقان لقامت قيامة أوربة كلها، وجهزت أساطيلها، وصاحت جرائدهاعلى اختلاف لغاتها يجب على دول المدنية أن تطهر الأرض من هذهالدولة الإسلامية الباغية العادية المتعصبة المتوحشة حفظا للعهود والقوانينالتي يرعاها البشر، ولا يتعدى حدودها إلا الهمج والمتوحشون.قلت: إن الجامعة الإسلامية مسألة خيالية، وها نحن أولاء نربالذين يتهمون المسلمين بها؛ لأجل تنفيرهم عن التوجه إليها، لا يعدونلهم عملا ما في سبيلها، وإنما يؤاخذوننا كلنا إذا كتب كاتب منا مقالة ذكر فيهاحكومة إسلامية أو بلادا إسلامية بما يدل على أنه يكره لها الشر، ويحبلها الخير، كما كانت الجرائد الأوربية هنا تنكر على بعض الجرائدالإسلامية إلى عهد قريب استنكار نكث فرنسة لمعاهدة الجزيرة بالاعتداءعلى مملكة المغرب الأقصى وإرسال جنودها لاحتلال مدينة (فاس) ثماستنكار عمل ألمانية في حملها فرنسة على امتلاك تلك البلاد امتلاكا تامابشرط أن تعطيها بدلا عما تستحقه فيها بمقتضى قاعدة المسألة الشرقية،وهي أن الدول العظمى هي الوارثة لجميع الممالك الشرقية التي تسقطها.لا يزال يرن في آذاننا صوت تلك الجرائد التي قامت اليوم تتعصبلإيطالية الباغية على الدولة العثمانية التي بغي عليها، كانت تقول: إنه لا حقلمسلم في إظهار الشفقة على مملكة مراكش لأنها ليست وطنه فشفقته إذامن التعصب الإسلامي المذموم ومن دلائل الميل إلى الجامعة الإسلاميةالممقوتة، وأما تعصب الجرائد الفرنسية والإنكليزية التي تصدر في بلادنا،لإيطالية الباغية علينا، فهو محمود مشكور وإن لم تكن وطنها لأن

التعصب فرضعليهم ومحرم علينا.أعجب من هذا أن هذه الجرائد المتعصبة لا تستحي الآن من ذمالمصريين ورميهم بالتعصب لاستنكارهم بغي إيطالية على دولتهم التييخفق علمها فوق رؤوسهم، ويخطب باسم سلطانها على منابرهم،وعطفهم على إخوتهم في الدين والعثمانية واللغة، وجيرانهم المتصلين بهمفي الوطن من أهل طرابلس، فمن المنكر العظيم في مدنية أوربة التي تلقيدروسها علينا هذه الجرائد أن نتألم لتدمير إيطالية لبلادنا، وسفكها لدماءإخواننا، وأن نستنكر همجيتها ووحشيتها ونهتم لتخفيف المصائب عنأولئك الجيران الذين لم يقترفوا ذنبا تحكم به أوربة عليهم بهدم وطنهم علىرءوسهم! ! أما آن لنا أن نفهم ونعقل ونتدبر هذه الدروس؟ !قال حكيمنا: (الناس من خوف الذل في الذل) وقد ذللنا حتى إنهيساء إلينا ونؤمر بالشكر، فإلى متى يقذفون في قلوبنا الرعب والخوف منلفظ التعصب الذي نجد معناه عندهم ولا نجده عندنا، وإنما يخافون أننستفيد منه الاتحاد والتكافل كما استفادوا.إلى متى يقذف في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ (الجامعة الإسلامية)التي نرى مثلها عندهم مشاهدا محسوسا بالاتفاق على حل المسألة الشرقية، ولانرى لذلك المعنى أثرا في شعب من شعوبنا، ولا في قطر من أقطارنا، أنخافمن سطوتهم أن تفتك بنا بأكثر من البغي باغتصاب بلادنا عنوة واقتداراليضربوا علينا الذلة والمسكنة إلى الأبد؟ يذبحوننا ويأكلوننا، ويمنونعلينا بعد ذلك بأنهم يمدنوننا، لا كانت هذه المدنية ولا كان الراغبون فيهاوالناشرون لها.أراد رجل من المغرب الأقصى أن يرسل ولده إلى بيروت ليتعلم فيها،قبل نزول البلاء عليها باحتلال فرنسة لها، فأنذره الفرنسيون سوء عاقبةتعليمه في بيروت وقالوا له: إننا سنملك هذه البلاد فيحرم ولدك من كلشيء فيها إذا لم تعلمه في مدارسنا، فقال: إن مدارسكم لا تعلمه لغته ولادينه وهما أهم ما أريد أن أعلمه إياه، إنه لا يوجد أحد من أهل المغربالأقصى يأمن على ما يرسل إليه من خارجه في البريد الفرنسي؛ لأنه يعلمأنه لا يصل إليه إلا بعد أن يطلع عليه المفتشون ويرون أنه ليس فيه ما لايحبون أن يقف عليه، وسيكون أهل تلك المملكة عن قريب محرومين منكل ما لا تريده فرنسة لهم، وهذا أهون ما في هذه المدنية.أنا لا أدعو بهذا إلا إلى شيء واحد، وهو أن نعرف أنفسنا، ونعرفما حولنا وما يحيق بنا؛ لنكون على بصيرة من أمر هذا البلاء الذي أنذرنابه بغي إيطالية علينا باتفاق أوربة وإقرارها، ونفهم كنه المسألة الشرقيةقبل أن يتم حل عقدتها، وتنفيذ المقصد منها، ونفهم سر تهديدنا بلفظالتعصب ولفظ الجامعة الإسلامية اللذين هما من الألفاظ المهملة التي لامعنى لها عندنا.إن مسلمي المغرب الأقصى كانوا عونا لفرنسة على فتح الجزائر،وهي الآن قد احتلت مملكة المغرب بقوة مسلمي الجزائر، فهل كان هذامن التعصب الإسلامي وفروع الجامعة الإسلامية؟ !احتلت فرنسة تونس واستولت عليها وهي محاطة بالمسلمين من كلجانب فهل عارضها أحد من المسلمين أو قاتلها عليها؟ فأين التعصبالإسلامي والجامعة الإسلامية؟ !أراد إسماعيل باشا أن يجعل بلاد مصر مملكة أوربية؛ فاعتمد علىأوربة وتدهور في الحفرة التي حفرتها، ولم يمنع ذلك خلفه من الثقةبأوربة ودعوتها إلى حفظ أريكته من ثائري رعيته، فهل هذا من التعصب الإسلاميوالعمل بالجامعة الإسلامية؟فصلت إنكلترة مملكة السودان من أختها مملكة مصر ثم فتحتها بجنودالمصريين وأموالهم وهم وادعون ساكنون، لا يكادون يعترضون إلاعلى الاستمرار على أخذ أموال مصر للسودان، مع الاجتهاد بقطع كلعلاقة للسودانيين بمصر وللمصريين بالسودان، ولا يزال الإنكليز يفتحونبالجيش المصري كل ما أرادوا من السودان، وحفظ كل ما أرادوا حفظهمن بلاد السودان، وكل مصري يعرف أنه لا حظ لبلاده من ذلك، وهانحن أولاء نرى وفودهم تغشى دار الوكالة الإنكليزية كل يوم لتهنئة فاتحالسودان بتولي إدارة الأعمال في مصر، يأتون هذا في الوقت الذي أحسوافيه بالخطر على دولتهم صاحبة السيادة الرسمية والشرعية عليهم،

معلمهم بأن إنكلترة قطب الرحى في هذا الخطر ولو شاءت لأزالته، فهليتوسلون بهذا إلى نيل مساعدتها للدولة أم هذا من التعصب الإسلاميوالعمل للجامعة الإسلامية؟ما هي القوة التي تمد فرنسة بها سلطتها في أحشاء أفريقية وتحفظ بهاما تستولي عليه وتحفظ به تجارتها؟ أليست من أهالي البلاد المسلمين ليسمعهم إلا عدد قليل من الضباط البيض؟ ما هي قوة إيطالية المستولية بهاعلى مصوع والتي تطمع بها أن تضم إلى مستعمراتها الأفريقية بلاد اليمنكلها أو بعضها؟ أليس معظمها من المسلمين، يسوسهم ويسيرهم عدد قليلمن الإيطاليين؟ لو كان هناك تعصب إسلامي أو عمل للجامعة الإسلاميةفي الآستانة أو مصر أو الهند أو ما دون هذه البلاد الراقية من بلاد المسلمين، أماكان يكون منه إرسال المحرضين على هؤلاء الأفراد من الأوربيين الذينيستعبدون الملايين من المسلمين؟ ما كان شيء من ذلك ولا نعلم أحدا فكرفي تكوينه، ولم يستطع الأوربيون أن يجدوا شبهة على ذلك يلصقونها بمسلم،فأين التعصب الإسلامي والجامعة الإسلامية؟ولو شئت لرجعت إلى تاريخ الشرق وذكرت اتفاق العثمانيين معأعدائهم الروس على اقتسام البلاد الإيرانية عندما تغلب الأفغانيون علىأصفهان في عهد (شاه سلطان حسين) ومحاربتهم للإيرانيين من طريقبايزيد عندما كان (عباس ميرزا) يدافع الروسية عن بلاده، ثم مكافأةإيران العثمانيين بمساعدة الروسية عليهم في حربها لهم، فهل هذا منالتعصب الإسلامي والجامعة الإسلامية؟كان سلطان ميسور (تيبو سلطان) أرسل سفيرا إلى الدولة العثمانيةيعرض عليها احتلال بلاده لصد إنكلترة عنها فردته خائبا، ولو أجابتهلهان عليها أن تملك بلاد الهند بلا مشقة ولا عناء.وإن شاه إيران (فتح علي) أنذر الأفغانيين بالحرب مساعدة للإنكليز عندماأراد الأفغانيون الزحف على الهند، وإن أمير الأفغان (دوست محمد خان) نكثعهد (رنجت سنك) صاحب بنجاب ومحالفته على صد الإنكليز، ولولا ذلكلما ظفر الإنكليز بجيش (رنجت) وأخذوا تلك المملكة بتلك السهولة، كذلكأمراء البنغالة والكرنانك ولكنهو قد مهدوا للإنكليز السبيل إلى الاستيلاءعلى السلطنة التيمورية في الهند فهل كان كل ذلك من التعصب الإسلامي، ومبادئالعمل للجامعة الإسلامية.وإذا تحولنا عن الهند إلى الممالك الإسلامية التي استولت عليهاالروسية نراها كلها كانت متخاذلة يشمت بعضها ببعض، فقد سر أهلبخارى باستيلاء تلك الدولة على بلاد التركمان وخوقند وقابلها هؤلاءبالمثل عندما استولت عليها هي أيضا، ولم نر أحدا من هؤلاء المسلمينساعد الآخر على صد الأجنبي عن بلاده، فأين تجدون لنا في التاريخالإسلامي جرثومة من جراثيم التعصب النافع لنا أو الضار بكم، وأينتجدون الدليل على ما سميتموه الجامعة الإسلامية؟ هل اتحد ملوكالمسلمين في الماضي على محاربة النصارى كما اتحد ملوك أوربة علىالمسلمين في الحروب الصليبية؟ أو كما اتحدت دولها الآن في المسألة الشرقية؟إلى متى هذا الغش والتغرير، والسخرية من هؤلاء المسلمين المتخاذلينالمتقاطعين؟ ! !هذا نذير من النذر الأولى، وهذا نذير من النذر الآخرة، وإن أمامناخطرا كبيرا فيجب أن ندرك كنهه، وأن نبحث عن مستقبلنا مع الباغينالمعتدين، وإلا ضاع كل شيء وصرنا أذل البشر، وصعب علينا مع هذاالاتحاد العام علينا أن نرتقي عن طبقة العبيد الأذلاء، وأول درس عملييجب أن نقوم به هو بذل المال لمساعدة طرابلس الغرب على نكبتها، وأننستفيد بذلك كيف يكون التكافل والتعاون بيننا.وإذا كنا لم نهتد لكل ما أصابنا فيما مضى إلى العمل للجامعةالإسلامية التي نصون بها أنفسنا ونكون أمة عزيزة فعسى أن تكونالكارثة الحاضرة مبدأ هذه الهداية، وتكون إيطالية المغرورة هي الملجئةإلى وضع الحجر الأول في هذا البناء الشريف الذي يوقف بغي أوربة عندحده ويعيد إلى الشرق أفضل ما سلب من مجده، وقد قال حكماؤنا فيأمثالهم: الشيء إذا جاوز حده، جاوز ضده، وإلى الله المصير.* * *(٥)ما يجب على العثمانيين المختلفين في

اللغة والدينإن وثوب إيطالية على طرابلس كما يثب الذئب الجائع على الشاةوتأييد كل من حليفتيها ومن دول الاتفاق الثلاثي لها على عدوانها على مابين الفريقين من الخلاف والنزاع برهان قاطع على أنهم يريدون بذلك حلالمسألة الشرقية حلا حاسما (إن أمكن) وإنه ليس عند أحد من تلك الدول عاطفةرحمة أو إنسانية أو نزعة عدل أو حق تحملها على كف عادية الظلم،وإطفاء نائرة البغي، فهن في أرقى وأعلى مدنيتهن التي يسمونها مسيحية أشد قسوةوأشوه وحشية من أهل البوادي والقفار، وأين هم من العرب في جاهليتهموأدنى أحوالهم الذين عقدوا حلف الفضول على أن لا يدعوا ظالما إلا كفوه عنظلمه، ولا مظلوما إلا أعانوه على حقه، وهن على هذا البغي والوحشيةوالهمجية لا يخجلن من حمل قوس بلادهم وكتابها وأساتذتها على مفاخرةالإسلام بدينهم ومدنيتهم وآدابهم وفضائلهم، أعاذ الله الشرق منهم ومن شرقوتهم التي يدعون بها كل تلك الدعاوى الكاذبة الخادعة، وأكذبها دعوىالانتساب إلى دين المسيح عليه الصلاة والسلام.إن هؤلاء الوحوش الضواري ليس لهم دين إلا الدينار والنار والبارودوالديناميت التي هي وسائل اللذات والشهوات والكبر والفخر والخيلاء، ألاترى إلى ملك إيطالية كيف ملأ ماضغيه فخرا ببغي دولته وعدوانهاالوحشي، وقال: إنه يريد أن يري أوربة عظمتها وقوتها في حرب طرابلس،لتقر عينها ويسر قلبها ببغي كثرتها على قلة العثمانيين هنالك؟ ولا يخفىعلى أحد قرأ الإنجيل وعرف سيرة المسيحيين الأولين قبل أن تشوه أوربةالديانة المسيحية وتقلب أوضاعها بأن المسيح ما أمر بالبغي والعدوان وسفك دماءالأبرياء، وهو ما تفاخر به أوربة، وإنما أمر بالرحمة والرأفة ومحبة الأعداءالمبغضين، ومباركة السابين اللاعنين، وأنه يجب على المسيحي أن يدير خدهالأيسر لمن ضربه على خده الأيمن.إذا كان أولئك السياسيون السفاكون للدماء، الشديدو الضراوة بتمزيقالأشلاء أعداء للإسلام باعتدائهم على أهله، فهم أشد عداوة للمسيحيةالحقيقية بقلبهم لوضعها، وتغييرهم لطبعها، ونفثهم لسموم التعصبالذميم فيها، فهم الذين أبادوا من أوربة جميع الوثنيين، باسم المسيحالرؤوف الرحيم، وهم الذين أكرهوا بالسيف مسلمي الأندلس علىالنصرانية أو الجلاء من البلاد باسم المسيح أيضا، وهم الذين أنشأوامحكمة التفتيش لتعذيب العلماء والعقلاء الذين يصرحون بما تصل إليهعقولهم من حقائق العلوم باسم المسيح أيضا، وهم الذين أجروا الدماءأنهارا لاختلاف المذهب في الدين الواحد كما أجروها أنهارا من قبلباختلاف الدين، ولا يزالون يضطهدون اليهود والمسلمين في بعض البلاد،ويمنعون الكاثوليك من احتفالاتهم الدينية في إنكلترا.ثم لما صارت الغلبة للماديين منهم لم يتركوا تلويث المسيحية بقسوتهمالتي ورثوها عن أجدادهم الرومانيين فكانوا إلى هذا العصر يغشونالمتدينين من شعوبهم بأنهم يريدون باعتدائهم على الدولة العثمانية إنقاذرعاياها المسيحيين من ظلم المسلمين، والإدالة للصليب من الهلال، حتىإن الإيطاليين سالبي سلطة البابا عميد الدين الأكبر – ولا يقاس بهذاتعديهم على الأحباش المخالفين لهم في المذهب – قد أخذوا من أحدرؤساء الدين (مطران كريمونا) منشورا يدعو فيه الإيطاليين إلى حربالمسلمين في طرابلس الغرب ويثبت لهم مشروعيتها باسم المسيح، وقدجعلت إحدى الجرائد المسيحية بمصر عنوان هذا الخبر كلمة يعزونها إلىالمسيح وهي: ما جئت لألقي سلاما على الأرض، وتتمتها كما في إنجيل متى(١٠: ٣٤) ما جئت لألقي سلاما بل سيفا.وجملة القول أن دول أوربة دول مادية وحشية غلب عليها الكبروالعتو والغطرسة، وما الدين المسيحي عندهم إلا آلة سياسية يغشون بهاالمتدينين من شعوبهم، ويتوسلون بها إلى العدوان على غيرهم، فإذا همغلبوا على بلاد جعلوا أهلها كالعبيد والخدم لهم ولا يرضون أن يساويهم أحد من أهلالأرض في الحقوق ولا في غير الحقوق؛ بل يترفع الإنكليزي منأدنى الطبقات عن الركوب في السكة

الحديدية مع أشرف الهنود محتدا،وأعلاهم أدبا، وأوسعهم ثروة، على أن الإنكليز أقرب من سائر الأوربيينإلى حب الحرية والعدل، وهذا الكبر والعتو لم يعهدا في شعب من شعوبالشرق؛ حتى في طور البداوة والجهل.يصف ملطبرون وغيره من مؤرخي أوربة الترك بالكبر والقسوة،وقد مضى على الترك عدة قرون وهم أقوى دول الأرض بأسا، ولم يفعلوافي زمن جهلهم ما فعلته أوربة من التعصب الفاحش بإكراه الناس على تركأديانهم أو مذاهبهم لاتباع دينها ومذهبها؛ بل ترى هذه الدولة العثمانية مازالت أوسع حرية منهم وأشد تساهلا حتى في هذا العصر الذي بلغوا فيهأوج الحرية والمدنية والدليل على ذلك وجود الملل الكثيرة والنحل المتعددةفي بلادها إلى اليوم، وهي الآن قد جعلت حكومتها مشتركة بين المسلمينوغيرهم من أهل تلك الملل الكثيرة، ولم تكلفهم ما تكلف فرنسة أهلالجزائر وغيرهم من شروط الجنسية الفرنسية؛ وهي أن يخالفوا اعتقادهمالديني ويخونوا ضمائرهم بترك أحكام الإسلام في النكاح والطلاقوالميراث وغير ذلك من الأحكام.إن كثيرا من جهلة المسيحيين الشرقيين مغرورون بمسيحية أوربة،فهم يظنون أن الدول الأوربية إذا استولت على البلاد العثمانية تكون خيرالهم من الدولة العلية فتساويهم بالأوربيين في الحقوق ورتب الشرف بحيثلا يكون بين الفريقين فرق، والدولة العثمانية لما تصل في المساواة بينالمسلم وغير المسلم إلى هذا الحد، ويخالف أولئك الأغرار في ظنهم هذاجميع أهل العلم من نصارى الشرق الذين عاشروا الأوربيين واختبروهم،والذين عملوا معهم حتى في مصر والسودان؛ وهما القطران اللذان قضتحالتهما السياسية والاجتماعية الممتازة وموقعهما الجغرافي أن يكونالإنكليز فيهما خيرا منهم أنفسهم في زنجبار؛ بل وفي الهند، يشهد هؤلاءأن الإنكليزي المرءوس يرى نفسه فوق رئيسه المصري أو السوري(الذي ما كان رئيسا له إلا لأنه أرقى منه علما وخبرا في العمل المشتركبينهما) ، وإن كان هذا الرئيس على دينه ومذهبه، فهو يرى نفسه فوقكل شرقي لأنه إنكليزي، وهكذا شأن جميع الأوربيين مع جميع الشرقيين،والإنكليز أحسن أخلاقا ومعاملة من سائر الأوربيين.ألا فليعلم كل نصراني عثماني أنه إذا وقعت بلاده تحت سلطة دولةأوربية فقد حرم من حقيقة السلطة وشرف الرياسة وعزة الحكم التي يرجىأن يكون له منها النصيب الوافر ببقاء الدولة العثمانية دستورية، ولا يذهببهذا الرجاء من قلوب غير الترك من العثمانيين ما عرفوا من تعصبزعماء جمعية الاتحاد والترقي لجنسهم، ومحاولتهم تمييزه على جميعالأجناس، فإن هذا من الغرور الذي يزول بزوال أولئك الزعماء أو بزوالنفوذهم العارض أو برجوعهم عنه، وقد زعم صاحب جريدة طنين وهولسان حالهم أنهم قد رجعوا عن سياسة تتريك العناصر، فإن كان مخادعا فسيذهبالزمان بخداعه، وستؤول حكومة هذه الدولة إلى ما يسمونه اللامركزيةحتما؛ إذ لا بقاء لها بغير ذلك إذا هي سلمت من بغي أوربة وعدوانها.فعلينا أيها الإخوان في الوطن والعثمانية أن نمحو من أذهاننا وساوسأوربة التي بثتها في بلادنا وفرقت بها كلمتنا، وأن نكون إلبا واحدا علىمن يعاديها، ويدا واحدة في القيام بكل ما يحفظ كيانها ويرقيها، وأن نستفيد من تعلققلوب المسلمين غير العثمانيين بها، ونشكر لهم إخلاصهم لها، علينا أن نظهرلها في هذه الشدة كل ما نستطيعه من المساعدة بأموالنا وأقوالنا وأفعالنا وشعورنا،وأن لا نؤاخذها بما ظهر من سوء سياسة بعض رجالها، فإننا إذا جمعناكلمتنا على مساعدتها في هذه الأزمة نكون أقوياء بعدها على إحباط كل سعي لأولئكالمسيئين أو لغيرهم بقوة وحدتنا وظهور إخلاصنا الذي يقطع ألسنتهم؛ فلايستطيعون أن يتبجحوا باحتكار الوطنية العثمانية ورمي غيرهم بالتعصبللدين أو الجنسية.هذا ما أذكر به أبناء الدولة العلية المخالفين لها في الدين، وأماأبناؤها المخالفون لأسرة السلطنة في اللغة فقط فلا أراهم يحتاجون إلىالتذكير بوجوب الاتحاد والتعاون على نصرها وتأييدها، وموالاة منوالاها، ومعاداة من

عاداها.أين سروات الألبان ورؤساء عشائر الأكراد، وأمراء العرب الأنجاد،هذا وقت النجدة، هذا وقت الوحدة؛ ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكموأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (التوبة: ٤١) .﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلىالأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاقليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا واللهعلى كل شيء قدير﴾ (التوبة: ٣٨-٣٩) .اعلموا أن أوربة لا تبقي على أحد منكم، وإذا ساغت لها لقمةطرابلس الغرب فستكون ألبانيا لقمة للنمسة، وبلاد الأكراد لقمة للروسية،واليمن كالخليج الفارسي لقمة لإنكلترة، أو مشتركة بينها وبين إيطالية،وأما سورية فيقال إن إنكلترة لا ترضى إلا بجعلها فاصلة بين مصر وبينالأناطول الذي هو حصة ألمانيا حبيبة الترك، وذلك بأن تكون مستقلةتحت حماية الدول الكبرى كلها ويكون حاكمها العام أوربيا.هكذا قد اقتسموا البلاد ولا يقيها من تنفيذ القسمة إلا نجدتكم واتحادكمواستعدادكم بالفعل للذود عن بلادكم، فوالله لئن ظفروا ببغيتهم ليجردن بلادكم كلهامن السلاح، وليتحدن على أن لا يبيعوكم بعد ذلك سلاحا، ولا يدعوكمتعملون ولا تتعلمون كيف تعملون، وليسومنكم سوء العذاب، وليحرمنكممن السلطة والثروة، وليسلطن عليكم قسوسهم ومقامريهم وخماريهمومبغاياهم ليفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وصحتكم وآدابكم.أين أنت يا أمير مكة وسيد الشرفاء، أين أنت يا إمام اليمن يا ذاالنجدة والإباء، أين أنتم يا أمراء نجد الأمجاد، أين أنت يا صاحب كويت،أين أنت يا ابن سعود، أين أنت يا ابن الرشيد، ألا يدعو بعضكم بعضا إلىالاجتماع والتعاون على نصرة الدولة، ألا يجب أن تزحفوا على مصوعوالأرتيرة، ألا تبذلون المال والنفس في هذه الشدة؟وأنتم يا علماء النجف وكربلاء وإيران، هذا أوان يجب عليكم من خدمة الإسلامهذا أوان شد أواخي أخوة الإيمان، والتعاون على حفظ ما بقي له منالاستقلال، عليكم بما لكم من النفوذ الروحي أن تستلوا من نفوس المتفرنجين نزغةالجنسية الجاهلية، وأن تجذبوا الأمة الفارسية إلى الأمة العثمانية، كلا إنالأمة واحدة؛ ولكن فرقتها الأهواء، وهذا أوان جمع المتفرق ولم الشتات.وأنت أيتها الآستانة أما آن لك أن تعلمي أن حمل هؤلاء كلهم للسلاحخير لك من جمعه منهم، وأن تعليميهم النظام العسكري خير لك من جهلهمبه؟ ! أصلحي ما أفسده المتفرنجون الملحدون، فبالإسلام تجعلين ملايينمن أولئك الليوث فداء لاستقلالك، كما نصحنا لك إذ كنا في جوارك، وقبلذلك وبعد ذلك.... ... ... في ٢١ شوال سنة ١٣٢٩لها بقية((يتبع بمقال تال))______________________." (١)

"الكاتب: البستاني____________أفضل الوسائل لإنهاض السلطنةفصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانيةللبستانيخطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب، أن نستطلع آراء نخبة من أكابرالعلماء وفحول الكتاب، عن أفضل وسيلة تنهض بالسلطنة بعد كبوتها، وتزيد فيبقظة الأمة بعد غفوتها. فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول إليه قبيل صدور هذاالمؤلف أن يصوغ لنا فكرته الأساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتلبية الطلب، أدامهمالله زهرا نضيرا في بستان العلم والأدب. وإليك آراؤهم مرتبة حسب تواريخورودها.***رأي سياسي شهيركتب إلي عالم كبير لم يشأ أن ينشر اسمه قال: إن الأمر عويص جدا لأن فيالسلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي. ولقد سمعت مرة المرحوم نوبار باشارئيس الوزارة

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٨٣٣/١٤

المصرية الأسبق يقول: إن لورد دربي ألقى عليه سؤال مثل سؤالكوطلب منه أن يرتأي رأيا أو يضع مشروعا نافعا للسلطنة العثمانية، قال نوبار:فأخذت القلم وكتبت (أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع إليهاالشكاوى من المأمورين فتحاكمهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم) .فما أدق هذا الانتقاد، وما أرق هذا التهكم! ...***رأي القانوني الكبير، والعالم الاجتماعي الشهيرسعادة فتحي باشا زغلولأقرئك السلام وبعد، فسؤالك هام ومطلبك أهم.الدولة العلية رعاك الله مجموع يحتاج في سياسته وإنهاضه إلى حكمة عاليةوبصر بالأمور كبير، فإذا غلب الرأي الهوى، وبطل التفاضل بين العناصر،وأقيم وزن العدل وتساوى الناس جميعا في الحقوق وفي الواجبات، وإذا خلصتنيات أهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة، ففضلوا مصالح الأمة على المنافعالفردية، وجد الكل في طلب الإصلاح، فنشروا التعليم وعنوا بالأمور الاقتصادية،فاستبقوا لأنفسهم مرافق البلاد وكنوزها، وذللوا السبل وأمنوا السابلة وقربواالمسافات، ثم ازدرعوا واحترفوا واتجروا فأحرفوا، وإذا احكموا نظام الجندوهذبوه. لا شك أن الدولة ناهضة من سقطتها، وإن الأمة ناشطة من عقالها، وأنهانائلة من الحضارة والمناعة مكانا عليا.***رأي العالم العامل الشهير، والصحافي المحنك الخبيرالدكتور فارس أفندي نمر صاحب المقتطف والمقطم:حضرة الفاضل؛ إن كان المقصود من (السلطنة) في سؤالكم: (الحكومةوالأمة) في حالتهما الحاضرة أي الدستورية فوسائط إنهاضها متعددة منها ماديومنها أدبي، ولكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها، وخصوصا وسائط **العلم والمال**.على أن في الحكومة وفي الأمة رجالا من ذوي العلم وذوي المال فلا يعوزهمإدراك ولا يسار، ولكن الذي ينقصنا هو تربية الحكومة على الأخلاق القويمة،والصفات المنظمة والمرقية لشؤون الهيئة الاجتماعية، حتى نستطيع الاتحادوالتعاون على تدبير أمورنا وإنجاح أعمالنا ونحن جماعات، كما يستطيع كثيرونمنا اليوم تدبير أمورهم وإنجاح أعمالهم وهم أفراد.***رأي شيخ الأدباء، وكبير الشعراءسعادة إسماعيل صبري باشاالتوظيف: إذا أراد التركي أن يستبقي ما بقي له من ملكه فلا يفرقن بينالتركي وسائر الأجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية؛ بل يجب عليه أن يفضلفي التوظيف في كل بلد أهل الكفاءة من بنيها، فلا يوظف التركي في بلد غير بلدهالأصلي إلا إذا كان يتعسر وجود أكفاء مثله من أبناء ذاك البلد، فتتعود جميعالعناصر التي تتألف منها الدولة حب الراية التي تظلهم، والأراضي التي تقلهم،فيقوم عندئذ وطن عثماني حقيقي يحبونه ويذبون عنه في اليوم العصيب.التعليم: التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني مما هو فيه،ولا يراد بالتعليم أن يصبح جميع الأفراد من العلماء؛ بل يكفي أن يكون هناك عددوافر من المتعلمين يسيرون بالدولة إلى مقام الشعوب الراقية، وأن يتعلم باقي أفرادالأمة ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم.العدل: العدل بسيط في معناه؛ صعب في تنفيذه بين الأفراد، وأكبر آفاتهالغرض والرشوة. فإذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلتصرف كل جهدها فيملاشاة هاتين الآفتين، ولنحذر من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيعالعدل بين رعاياها، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لإقامة العدل وسن القوانين.وإلا تعذر عليها أن تجد عدلا وطنيا متفقا مع أخلاق أمتها وعاداتها. وما يقال فيالعدل يقال أيضا في سائر فروع الإدارة. وإذا كانت الحكومة لا تجد مندوحة عنالآستانة بالأجانب الأكفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم؛ بل تكلفهم وضع التقارير بعداختبارهم لحالة البلاد، ثم تأخذ النافع والموافق لعادات الأهالي من تلك التقارير دونأن تجعل أصحابها موظفين رسميين.***رأي العالم الاجتماعي الشهيرالدكتور شبلي الشميلالدولة لا تنهض إلا بثلاثة: رجال ومال

ووقت، والرجال بالعلم والتربية،والمال بالموارد. فهل ذلك متوفر – ولا سيما الوقت – وحالنا في الاجتماع كما هيمن قلة التكافؤ مع ما هو عليه اليوم من شدة التنازع؟والجواب على ذلك يدل على المصير.***رأي الأستاذ الفاضل أبو شادي بكرئيس تحرير جريدة المؤيدرأيي أن الدولة لا تنهض من سقطتها ولا تعود إلى سابق مجدها إلا إذا توفرلديها ما يأتي:أولا: تعميم التعليم في أنحاء البلاد وجعل الأولي منه إجباريا.ثانيا: إزالة التنافر بين العناصر ولا يكون ذلك إلا بمنح كل ولاية الاستقلالإداريا داخليا؛ حتى يعلم كل فرد أن اجتهاده منصرف إلى بلده وإلى نفسه.ثالثا: إيجاد الأكفاء من الموظفين؛ إذ بغير شك إن قوانين الدولة عادلة ولكنتنفيذها معدوم.رابعا: إصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متسلطة على الأعيانلا على الحاصلات وتنظيم أوقات تحصيلها.خامسا: نزع السياسة من أفكار الجيش.سادسا: تعميم اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع أخص،وذلك لأن مظهر الدولة إسلامي والقرآن عربي.***رأي العالم الإسلامي الكبير السيد رشيد رضامنشئ مجلة المنارالدولة كائن حي، يحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الأحياء،وهي سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يعدو عليه من الخارج.فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه؛ فإنما يكون بإقامة الشرع العادلفي القضية، والمساواة في الحقوق بين الرعية، وبناء إدارة المملكة على أساساللامركزية، وجعل السلطة العليا شق الأبلمة بين العنصرين الكبيرين فيها – العربوالترك – بحيث يكونان منها كالعنصرين اللذين يتكون منهما الماء أو الهواء. وأماوقايتها مما يعدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربا الكبرى فهن أصحابالمطامع فيها، ومطامعهن متعارضة. وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على نفسهامن اقتسامهن إياها بالقوة، فيجب أن تتقي استيلاءهن على البلاد بقوة المالوالسياسة، أي بالفتح السلمي، وأن تقوي مزاج الأمة بالمال والعلم وإعدادها للدفاععن نفسها. فإذا هي فرطت في مرافقها وأملاكها فباعتها للأوربيين، وبقيت علىتبذيرها، وتوهمها أنها تستطيع أن تحمي نفسها منهن بقوتي الدولة البرية والبحريةالرسميتين، ولم تجعل كل اعتمادها على الأمة، فالخطر عليها من الفتحالسلمي، أقرب وأقوى من خطر الفتح الحربي.***رأي الكاتب التحرير الشهير داود أفندي بركاترئيس تحرير الأهرامرأيي في إصلاح السلطنة العثمانية أن تقسم مناطق، وأن تكون كل منطقةمؤلفة من العناصر المتفقة في التقاليد، العادات واللغة، فتعطى الاستقلال الإداريتبت من أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة. ويعين لكلمنطقة مندوب سام يعاونه مجلس إدارة يؤلف من الفنيين في الأمور المالية والإداريةوالقضائية والعسكرية، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة، وتلغالضرائب العشرية، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الأملاك، وتوضع قوانينللشركات على اختلاف أنواعها، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجالالدين إلا الأمور الشخصية، فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة أو مناطق متحدة.ذلك رأيي في إنهاض السلطنة بسرعة.***رأي العالم المؤرخ جرجي بك زيدانصاحب مجلة الهلالالعلة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم فقر المملكة واضطراب الحكومة.والحكومة الدستورية في أيدي الأمة، والأمة العثمانية ضعيفة الأخلاق،عريقة في الانقسام، بسبب ما توالى عليها من أعصر الفساد.أما المملكة ونعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس فقرها أصليا فيها،وكل ولاية منها كانت في بعض الأزمان مملكة قائمة بنفسها، فالعراق كانت وحدهامملكة البابليين والآشوريين، وبها اعتز العباسيون في إبان دولتهم، وكانت جبايتهاثلث جباية مملكتهم الواسعة الممتدة من حدود الهند إلى شواطئ الأتلانتيكي.وسوريا كانت مؤلفة من عدة

دول ثم اعتز بها السلوقيون أجيالا، وكذلك آسياالصغرى، وظلت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية.فهذه الولايات إذا أحسنت سياستها وإدارتها صارت غنية. وهذا لا يتم والأمة كما تقدم. فالوسيلة المثلى للنهوض بالدولة العثمانية إنما هي ترقية الشعب، وهو لايقدر أن يرقي نفسه رغم استعداده الطبيعي للرقي. وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل؛إنما يشترط أن يكون مستبدا، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية. فلا بد منالاستعانة بالأجانب وأسلم الطرق أن تتحالف الدولة العثمانية مع دولة تثق بصداقتها،فتستعين برجالها على إصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدولالأخرى، بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار. فإذا وفقت إلى ذلكفي أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها.***(رأي الشاعر الكاتب الطائر الصيت)خليل أفندي مطرانأخي، سألتني عما أرتئيه لإصلاح الدولة العلية. فالذي أرتئيه إنما هوأمر واحد يلخص في كلمة واحدة: التعليم.منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة وأستقرئ ما يجري فيها، فالذي بدا ليمن شأنها في كل حال: أن الحكام كانوا لا يهتمون بإصلاحها اعتمادا منهم علىجهل الأمة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل، وأن المحكومين كانوا فاقدي الحيلةفي التماس ما هو خير لهم وكانوا صابرين على مضض. وربما أومض لهم بارقالإصلاح في إحدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ.فهؤلاء المحكومين ما لم يتعلموا لا يقيمون لأنفسهم وزنا ولا يفرقون بين حقلهم وحق عليهم، كما أن أولئك الحكام أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبد الدهرمتنكرين لأمتهم جانين عليها، إلا حيث تضطرهم إلى الإصلاح اضطرارا، وتأخذمنهم قسرا ما يأبونه عليها اختيارا. وكل ذلك لا يتم شيء منه إلا بالتعليم.***رأي الكاتب الشهيرمحمد أفندي مسعودحياة الدولة في مستقبلها، ومستقبلها في حكومة كفيلة باسترجاع مجدهاالمضيع، وهذه الحكومة لا توجد؛ إلا متى عرف رجالها قدر أنفسهم. فوضعوهافوق عبث الأحزاب.***رأي الصحافي الخبير والكاتب الألمعيسامي أفندي قصيريالمحرر في المقطملما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفردكانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضعف بضعفه وتسعد بسعده وتشقى بشقائه. أما الآنوقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لأحوال الزمان والمكان وتبدلت حكومة الفردبحكومة الأمة، فصلاح الحكومة قائم بصلاح الأمة. لا يكون ذلك في رأيي إلابنشر التعليم الحر بين طبقاتها، والفصل بين دنياها ودينها، والتأليف بينعناصرها وطوائفها، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يحركها من أعلاها إلى أسفلهاعامل واحد، وهو عامل الوطنية، وتجمعها من أقصاها إلى أدناها جامعة واحدةهي الجامعة العثمانية.***رأي الكاتب الشهير فرح أفندي أنطونصاحب مجلة الجامعةإن سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعيأمر لا مفر منه. فما السبيل إلى جعل التطور في السلطنة لا عليها؟ لا أظن أنصديقي المؤلف يكلفني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر. على أن كل مايقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم، فما تنقصنا الأقوال ولكنتنقصنا الأفعال.فقد يقال: العدل والسواء وتوسيع سلطة الولايات وقطع دابر الرشوة بحسناختيار الموظفين وشدة مراقبتهم وإصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وإنشاءالطرق الحديثة واستثمار الأرض ظهرها وبطنها (الزراعة والمعادن) وإحياءالصناعة والتجارة والمستشارون الأجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا ... إلخ.وكلها أشياء جميلة. ولكني أرى أمرا آخر مقدما عليها – وإن وجد المالوقوة الإرادة لإنفاذها – وهو ما أسميه (الانسلاخ) ؛ أعني به انسلاخ الرجلالشرقي القديم – وكلنا ذلك الرجل – من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذه جلداجديدا وروحا جديدة، ومعنى هذا – بكلام مجرد من الزخرف والخيال – تفسيرالسياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيتيفست

(POSITIVISTE) وهناالمشكلة العظمى. فإنه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أنيصدم هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها، أي سوق التطور في طريقهذه السياسة من غير أن يؤدي إلى كسر في أعضائها. ورأس سياسة البوزيتيفستأن يفصل الدين عن السياسة الدنيوية عند جميع العناصر العثمانية. وبعد هذاالفصل يمكن الالتجاء إلى موحدة الأمة وبانية أساس مستقبلها؛ أعني بها المدرسةالابتدائية الإلزامية واحدة لجميع أبناء الأمة، وبمعزل عن المذاهب الدينية لتوحيدأغراض الأمة وأهوائها ما أمكن التوحيد، وجعلها أمة واحدة لا أمما مختلفة كما هيالآن.***رأي الأستاذ القانوني الشهيرعزيز خانكي بكيجب أن تبدأ الدولة بإعطاء ولايتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تجعل الصلةبينها وبين ولاياتها كالصلة بين ممالك ألمانيا والإمبراطورية، أو كالصلة بينالولايات المتحدة الأميركية والجمهورية، ثم تتعاون جميع الولايات على تكوين قوةالدولة البرية والبحرية؛ بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها.هذا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها، أما رقي الولايات فلا أمل فيهإلا بإنشاء المحاكم، ووضع القوانين النظامية على الطريقة العصرية، وإقامةالمدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد أركان الأمن العام، وإجراء الإصلاحاتالعامة اللازمة لكل بلد مثل إنشاء السكك الزراعية، وبناء القناطر للري، وتسهيلالمواصلات البرية والبحرية، وتعميم بعض النظامات الغربية، مثل التلغرافاتوالتلفونات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الأهالي على إنشاء الشركاتللاستثمار بخيرات هذه الأقطار التي يقال إنها كلها كنوز لا تنفد.***رأي الأستاذ الفاضل الشهيرإسكندر بك عمونأصلح نظام للدولة – على ما بين العناصر والولايات العثمانية من التباين فيالحاجات والأخلاق، والعادات والتقاليد، وعلى ما بين أهليها من التفاوت فيالحضارة – أن تجعل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالا تاما حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعا في الشؤون العموميةعلى نحو نظام الولايات المتحدة الأميركانية أو الممالك الجرمانية، فتسمى حينئذالولايات أو الممالك العثمانية المتحدة.ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي: أنه النظام الوحيد الذي يمكنه أنيجمع بين الولايات والإمارات العربية في جزيرة العرب وسائر الولايات الممتازةوغير الممتازة.***رأي الكاتب العالم نجيب بك البستانيأحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانيةأهم ما يجب لإحياء أمر الدولة العثمانية وإعلاء شأنها إنما هو العدل الصحيحفي الرعية، وإصلاح المالية، فهما أساس الملك وبهما قوام الدول. ذلك بأنتشترك جميع عناصر المملكة على نسبة كل منها إلى المجموع فيعهد في الوظائفإلى ذوي الكفاءة، وتؤدى الرواتب في مواقيتها، وتوضع المكوس على ما تطيقالرعية، وتستثمر المعادن، وتقام أعمال الري والطرق الحديدية وغيرها علىالسواء في جميع أقطار البلاد، وتستعمل الدولة في الإصلاح وتعميم التعليم العلماءالراسخين من الشرقيين والغربيين، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل ملة العددالنسبي من الأعيان والثواب دون محاباة أو تفاضل، فمتى حصل ذلك توفرتالأموال واتحدت كلمة الجيش، وساد الأمن واستوثقت الرعية من الوازع،وانتظمت الشورى وحصلت الألفة بين الأمم المختلفة، وانصرف هم القائمين بالأمرإلى استصلاح الزراعة وترقية الصناعة والعناية بأسباب العمران، ونبذوا الشقاقوصدقوا في حب الوطن وتعاونوا على الأمر مخلصين منزهين عن المطامعالشخصية بما يزيد هيبة الحكومة ويؤيد سلطانها.يتم ذلك – بإذن الله – إذا امتنعت الدول عن تعكير الأمر على العثمانيينوجرى هؤلاء – نحو ما تقدم – ربع قرن أو ما يزيد؛ لتنال الناشئة – وعليهاالمعول في الاحتفاظ بعمل الإصلاح – من العلم والمدنية والمران على الأعمال مايضمن للدولة كيانها وعظمتها، وللعثمانيين اتحادهم واستقلالهم.***رأي الكاتب البليغالأستاذ أمين أفندي البستانيسألتني رأيي في

الدولة ومصيرها: جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبرى إذالم تعتبر بها نالها ما هو أشر منها.وللدولة الآن بقية ملك هو أبعد مدى وأمنع حمى وأطيب بقعة من جل الممالكالأوربية، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا الملك وتمنعه حادثات الدهر؟ اللهأعلم. على أن الدولة لا تجهل أشراط الملك على المالك، وما هو مبق له وما هوذاهب به، حتى لقد أصبحت الدلالة على وجوه الإصلاح المنشود من مبتذلاتالكلام، وملوكات الأفواه والأقلام، فهل للدولة أن تعمل بما علمها الدهر؟ علىحين لم يبق لها من ناصر إلا ما تسعى إليه من ترميم هذا الملك العزيز، وإلا فقدقضى الله بما لا دافع له ولا مانع له، وحسبكم الإشارة يا ألباء هذه الدولة. فاعدلوابين ضروب الرعية؛ لأن دولتكم مستمدة من جملتها لا من أبعاضها، وقدموا الكفءعلى غيره مهما كانت نبعته ومنبت أسلته، واستعملوا الأجنبي في تدبير ما أنتمضعاف عن تدبيره، واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا تفريط، وخذوابالجديد الصالح واخلعوا القديم؛ ثم أعدوا للملك عدته من رجال ومال، والله الواقيفي هذا الباقي.***رأي أستاذنا الاجتماعي الكبيرأحمد لطفي بك السيدمدير الجريدة(وصل في آخر ساعة لغياب حضرته عن القاهرة)راجعت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكوينرأي صحيح في الوسائل العلمية لإصلاح الدولة العلية، وإن الذين يستطيعونمعرفة هذه الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بأنفسهم على ماأجهله من المقدمات الضرورية لتكوين رأي صحيح؛ غير أن لرقي الأمم وهبوطهاقوانين قد تكفي لتكوين رأي إجمالي ونظري في الإصلاح.مهما كانت الأسباب التي حملت أوربا على اضطهاد الدولة العلية فلا شك فيأن وقوعها في الضعف والهرم هو أهم تلك الأسباب، وليس يوجد مانع طبيعييمنع الدولة بعد أن مسها الهرم من استعادة شبابها بالأخذ بالتعليم الحديثة من حيثالحكم والتربية والتعليم وتدبير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة.ولست أجد في هذا الحاضر ما يرجح كفة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظارالخير. فإذا قام العنصر الحاكم باحترام أطماع العناصر المحكومة والنهضة بالأمةعن الجمود إلى التسلح بجميع الأسلحة الحديثة؛ إن في التربية وإن في الاقتصاد،أمكن الحكم بهذه الدلائل على الإصلاح المنتظر.نعم، إن للظروف الخارجية دخلا في إصلاح الدولة ولكن العثمانيين همالمسؤولون وحدهم عن إجراء هذا الإصلاح، عليهم عمل ما في قدرتهم، واللهيتولى أمر ما لا يقدرون عليه.(المنار) :هذه آراء أشهر حملة الأقلام وعلماء السياسة والقوانين من المصريينوالسوريين، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا، ولا تكادترى خلافا صريحا بينهم إلا في مسألة استخدام الأجانب أو استعانة الدولة بهم،أجازها أو أشار بها بعضهم تصريحا أو تلويحا وحذر منها بعض وأهملها الأكثرون.وصرح جماعة بمسألة اللامركزية أو الاستقلال الإداري للولايات أو الأقاليم،ولم يحفل هذا الجمهور بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تعدها الدولة بتقاليدهاالموروثة كل شيء، وما انفردنا بإبداء الرأي في مسألة الدفاع، فلتعتبر بهذه الآراءالأمة وإن لم تعتبر بها الدولة.______________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا______________فاتحة السنة الثامنة عشرة للمناربسم الله الرحمن الرحيمسبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، وجل ثناؤك، ولاإله غيرك ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاءوتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ (آل عمران: ٢٦) .سبحانك اللهم وبحمدك،

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٠٣/١٧

ما أعدل حكمك، وما أجل حكمتك! وما أوسع علمكوما أنفذ مشيئتك ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنتتحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون﴾ (الزمر: ٤٦) .سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة، ووهبت العقولوالمشاعر، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية الدين ببعثة محمد خاتم النبيينفصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين.اللهم إن نعمك لا تحصى، وقد كفرها الكافرون، وإن صراطك المستقيم لايخفى، وقد تنكبه الضالون، وإن حكمك لهو الحق وإن عمي عنه المبطلون، وإنعدلك لهو القسطاس وإن جهل الظالمون، ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف: ٣٤) ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهمبالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ (المؤمنون: ٦٤-٦٥) .ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم القوة فبغوا فيأرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن دليلك، ﴿ربنا اطمس علىأموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (يونس: ٨٨) ،﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرضننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾ (الأنبياء: ٤٤) .يا أيها الناس لا خير في الحضارة المدنية، إذا أقيمت على قواعد الأثرةوالقوة المادية، ولا خير في العلم ولا في العمران، إذا كانا وسيلة لاستعباد الإنسانلأخيه الإنسان، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة أن الله الذي خلقهم هو أشدمنهم قوة، وأنه بعباده رؤوف رحيم وإنما يرحم الراحمين، وأنه يأمر بالعدلوالإحسان وخص بمحبته المحسنين، ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانعاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ (غافر: ٨٢) ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانعاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مماعمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (الروم: ٩) [*] ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملكالسموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب * جند ما هنالك مهزوم منالأحزاب﴾ (ص: ٩-١١) ، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسواحدة﴾ (النساء: ١) ، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكمشعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣) لا لتتناكروا وتتخالفوا، ﴿وسخر لكمما في السموات وما في الأرض﴾ (الجاثية: ١٣) لتشكروا لا لتكفروا،ولتصلحوا لا لتفسدوا، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الأشياء،على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الأشياء، وإنما الإصلاح كلالإصلاح أن تستعينوا بما آتاكم الله من العلم والعرفان، وما هداكم إليه من تسخيرالقوى الكامنة في الأجسام، على جعل منافعها شرعا بين جميع الناس، وجعلالغاية منها إيصال الشعوب كلها إلى ما يمكن من الكمال. وإن الإفساد كل الإفسادأن تحتكر الشعوب العالمة منافع العلم، وتجعله ذريعة لبغي بعضها على بعض،واستذلال الشعوب الضعيفة في الأرض، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوانالأعجم، بل هم أشد إهانة لمن كرم الله وأكثر تذليلا، ﴿ولقد كرمنا بني آدموحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقناتفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠) ، ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيهافحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الإسراء: ١٦) .يا أيها الإنسان، اتق الله في أمر أخيك الإنسان، ولا تستعل على من فضلكعليه **بالعلم والمال**، فقد خلت من قبلكم القرون والأجيال،

﴿وسكنتم في مساكن الذينظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ (إبراهيم: ٤٥) ،﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوءبالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ (القصص: ٧٦) ، ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك منالدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحبالمفسدين﴾ (القصص: ٧٧) ، ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أنالله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهمالمجرمون﴾ (القصص: ٧٨) ، ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدونالحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ (القصص: ٧٩) ،﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولايلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه مندون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولونويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بناويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فيالأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * ﴾ (القصص: ٨٠-٨٣) .يا أيها المغرورون بالعلم والقوة، قد عرفتم القوى المادية، فلا تنسوا القوةالمعنوية، يا أيها المغرورون بعرفان السنن الكونية والاجتماعية، لا تنكروا سننالعدالة الإلهية، ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانعاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧) ، ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلهامصلحون﴾ (هود: ١١٧) [١] ، ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (القصص: ٥٩) ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاءأصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ (الأعراف: ١٠٠) .وأما أنتم يا معشر المستضعفين والمظلومين، فما زلتم شرا على أنفسكم منالأقوياء العادين، لا نعم الله شكرتم، ولا دين الفطرة أقمتم، لا سنن لله في الكونعرفتم، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتم، لا بالقوى المادية انتفعتم، ولابالقوى المعنوية اعتصمتم، فما ظلمكم الله ولا الناس؛ لكن أنفسكم ظلمتم. تطالبونربكم بما وعد به المؤمنين، ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه علىالمؤمنين، ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فيالأمر﴾ (آل عمران: ١٥٢) ، حرمكم بمخالفة كتابه وسننه في عباده ذلكالنصر،] وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنالله مع الصابرين [(الأنفال: ٤٦) ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران:١٤٠) ، ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهمالوارثين﴾ (القصص: ٥) .يا قوم! طالما أنذركم المنار – على رءوس السنين والأحوال – سوء عاقبةما أنتم عليه من التفريط والغرور والإهمال، وطالما فصل لكم في أعقاب الشهور،ما تخرجون به من الظلمات إلى النور، مبينا لكم – بآيات القرآن، وأقيسة الميزانوسنن الله في سيرة الإنسان – أن الأمر ليس بالأماني والأحلام، ولا بمجردالانتساب إلى الإسلام، وإنما هو بالأخلاق والأعمال، والعدل والاعتدال، التيبالإيمان تبلغ درجات الكمال، وإنما الخلافة في الأرض بالصلاح والإصلاح،والمؤمن المصلح يرجح المصلح الكافر بالإيمان، ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعدالذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (الأنبياء: ١٠٥) ، ﴿فأوحى إليهمربهم لنهلكن الظالمين﴾ (إبراهيم: ١٣) ، ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴾ (إبراهيم: ١٤) ،] وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فيالأرض كما استخلف الذين من قبلهم [، ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء منعباده والعاقبة للمتقين﴾ (الأعراف: ١٢٨) .نعم طالما حذركم المنار وأنذركم، بل طالما ذكركم بنذر ربكم، وبسننه فيالذين معكم، والذين خلوا من

قبلكم، فتماريتم بالنذر، وتعللتم بالقضاء والقدر،وإنما يعتذر بالقدر من يبرئ نفسه، ويتهم ربه، على أنكم تدعون ربكم أن يبدلفيكم سنته، ويبطل لأجلكم حكمته، وينصركم بالاستبداد الأنف، وقطع أسبابالقدر، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأحد، إذ نزل بخير سلفكم ما نزل، جزاءالعجب والخلاف والفشل، وفيهم خاتم الأنبياء والرسل، أإسلامكم خير من إسلامهمأم لكم براءة في الزبر، ﴿كلا والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر *إنها لإحدى الكبر * نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ (المدثر: ٣٢-٣٧) .نعم إن لله في خلقه آيات، وإن لربكم في أيام دهركم نفحات، وإن له تعالىرحمة خاصة لدنية، تتخلل سننه الاجتماعية، (وإن الله تعالى ليؤيد هذا الدينبالرجل الفاجر) [٢] (وإن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله) [٣] ولكنالله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات من أعرض عن السنن وآيات القرآن، ولا يمدبالنفحات والرحمة الخاصة من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة، ألا وإنتأييد الله الإسلام بغير أهله أكبر حجة على جميع من يعدون من أهله، ولا سيما إذاأصروا على خذل أنفسهم بخذله، أفلا يعلم من لا خير له في نفسه من نفسه أن لا خيريرجى له من غيره؟ ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألاتزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٦-٣٩) .يجب علينا معاشر المسلمين أن ننتصف من أنفسنا، قبل أن ننتصف أونستنصف من الأجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا، قبلأن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتينا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى منغير استحقاق لها، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقها - وأن نعلمأن الله تعالى لا يستجب الدعاء بلسان المقال، إلا إذا كان دعاء بلسان الاستعدادوالحال، ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءافلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾ (الرعد: ١١) .إنني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار، بما طالما فصلت فيه القولفي السنين الخوالي: إننا نحن مسلمي هذا العصر، لا نستحق على الله تعالى نصيبامن الملك، ولا خلافة في شيء من الأرض، لا بحسب سننه في خلقه، ولابمقتضى وعده في كتابه، فإذا أعطى شيئا أو أبقى، فتلك عنايته تعالى وفضله لاممما جعله وعدا عليه حقا، وإن الله تعالى ليبلو عباده بالحسنات، كما يبلوهمبالسيئات، ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فيكون أحسن جزاء وخيرا أملا، ﴿ولقدصرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ (الكهف: ٥٤) ، ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهمالعذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾ (الكهف: ٥٨) .هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء، ولا ييأس من روحالله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه،وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه، فيحدث عند الحسنة شكرا، ويحدثعند السيئة توبة وذكرى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيراطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسرانالمبين﴾ (الحج: ١١) .﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف: ٢٣) ، ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ (يونس: ٨٥) ،﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته علىالذين من قبلنا﴾ (البقرة:٢٨٦) .﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة:٢٠١) ، ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلفالميعاد﴾ (آل عمران: ١٩٤) ، ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خيرالفاتحين﴾ (الأعراف: ٨٩) ، ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله ربالعالمين﴾ (الزمر: ٧٥) .... منشئ المنار ومحرره... ... ... محمد رشيد

رضا_______________(*) لا يحول دون الاعتبار بهاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل ممن قبلهم قوة وكسباوعمرانا وآثارا في الأرض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الأمم المغرورة بقوتها وعمرانها في هذا العصر – فالعبرة واحدة.(١) القرى والمدن: العواصم، والمراد هنا الأمم.(٢) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن وعلم عليه السيوطي في جامعه بالصحة.(٣) حديث رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو بسند ضعيف.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا_______________خطاب عام فيما يجب على المسلمينلبيت الله الحرامبسم الله الرحمن الرحيم﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آياتبينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليهسبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧) ، ﴿جعلالله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ (المائدة: ٩٧) ، ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةللناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة: ١٢٥) ، ﴿إن الذينكفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيهوالباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (الحج: ٢٥) .أخبر الله تعالى عباده في آخر كتاب أنزله وكفل حفظه . وهو القرآن . علىلسان آخر نبي أرسله وأكمل به دينه العام، وهو محمد عليه أفضل الصلاةوالسلام، أن هذا المعبد المعروف بمكة أم القرى من بلاد العرب باسم الكعبة،والبيت الحرام، والمسجد الحرام، هو أول بيت وضعه تعالى للناس كافة، وجعلهقياما، ومثابة، وأمنا، ومسجدا، للناس كافة، سواء العاكف فيه من المقيمين حوله،والبادي ممن يؤمونه من مؤمني سائر الأقطار لعبادة الله وحده، فمن دخله كانآمنا بتأمين الله تعالى على نفسه وماله وعرضه وشرفه، وحريته في قوله وفعله،لا مسيطر عليه غير دين الله وشرعه – وجعل حجه ركنا من أركان الإسلام،وجعل الصد عنه وعن سبيله من شأن الكفار، وجعل إرادة الظلم والإلحاد إليه فيه،كاقتراف الظلم في غيره، وجعل السيئات فيه مضاعفة العقاب، كما جعل الحسناتمضاعفة الثواب، بل حرم سبحانه على لسان إبراهيم خليله ومحمد خاتم رسله(عليهما الصلاة والسلام وعلى آلهما) الاعتداء في ذلك الحرم المحيط ببيته على كلذي حياة حيوانية أو نباتية، فلا يعضد شجره ولا يختلى خلاه [١] ولا يحل فيهالصيد ولا ترويع الحيوان، ولا يقتل فيه إلا الفواسق الضارة التي تقتل في الحل،والحرم كالحيات والعقارب والفيران.وقد صح في الأحاديث النبوية أنه يحرم من المدينة مثل ما يحرم من مكة،وأن الإسلام يأرز بين المسجدين ويأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها،أي: ينكمش وينقبض فيه ويعود إليه، وأنه لا يجوز أن يكون هنالك ولا فيما حولهدينان، كما جاء في آخر ما أوصى به عليه الصلاة والسلام.وقد أجمع المسلمون على أن حج هذا البيت مفروض على كل من استطاعإليه سبيلا، وأن الأمة الإسلامية مطالبة به في جملتها، لا بد أن يؤديه في كل عامبعض المستطيعين من أفرادها، وهو الركن الروحي البدني المالي الاجتماعيالسياسي من أركان دينها، فهي مطالبة بإقامة هذا الركن مع كل ما تتوقف عليهإقامته، وكل ما أوجبه الله تعالى من حرمته وتأمينه، وتحقيق مقاصد الدين من ذلك.ولا نطيل في تفصيل هذا، فهو مما لا يجهله مسلم في جملته، وإنما أتينا بهذهالمقدمة تمهيدا لما نذكر بعدها من الخطر الحديث على هذا الركن الإسلامي ، وعلىحرم الله وحرم رسوله، وعلى كل ما شرع الله تعالى هنالك من عبادة ونسكوإجلال، وتعظيم للشعائر والمشاعر العظام، التي تجدد في قلوب الحجاجوالمعتمرين

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ١/١٨

روح الإسلام.ومن المسلمات التي لا نزاع فيها أن ما أوجبه الله تعالى وشرعه لهذه البلاد ،وما أوجبه فيها مما أجملنا التذكير به ، لا يتم ولا يضمن في هذا الزمان إلا بجعلهذه البلاد المقدسة مصونة من التعدي عليها، ومن جعلها عرضة للغزووالقتال . ومحفوظة من أي تدخل أو نفوذ لغير المسلمين فيها، ولا سيما الدولالاستعمارية القوية، وبإقامة حكومة شرعية لها تكون قادرة على حفظ الأمن والشرع،وعاجزة عن الاستبداد والظلم، بمراقبة العالم الإسلامي لها، ومساعدته إياها بالرجالوالمال على الوجه الذي نقترحه بعد، فسكان الحجاز غير قادرين على ذلك حتما؛لفقرهم وفقدهم المال والعلم اللذين يتوقف عليهما ذلك.أيها المسلمون:إنه لا يخفى على شعب من شعوبكم في مشارق الأرض ومغاربها أن الدولةالعثمانية كانت كافلة للحجاز، وممدة لحكومته وأهله بالرجال والمال، وكانت دولةحربية مرهوبة، وذات حقوق دولية مرعية، ومعترف لها بمنصب الخلافةالإسلامية، وهي مع هذا كله لم تؤد لهذا المكان، كل ما يجب له من الأمنوالعمران، ولم ترق فيه العلم والعرفان، وإنما كان مصونا بها من أن يهاجم بحربأو يمتد إليه نفوذ غير إسلامي، وقد زال بزوالها كل من الأمرين.ذلك بأنها كانت قد نصبت في مكة أميرا اسمه الشريف (حسين بن علي)وأن هذا الأمير خرج عليها وحاربها في الحرب الأخيرة هو ومن أجاب دعوته إلىقتالها، ووالى الدولة البريطانية وأحلافها، وأذاع بالدعاية العامة أنه يريد بذلك إنقاذالبلاد العربية واستقلالها، وكانت دعواه في نفسها معقولة، ثم تبين أنها غيرصحيحة، فقد ظهر أنه استبد بالأمر، واتجر بالأمة وسمى نفسه (ملك البلادالعربية) بغير مبايعة ولا رضا من أهل الحل والعقد في جزيرة العرب وهم الأئمةوالأمراء والعلماء في بلادها المستقلة كاليمن وتهامة ونجد، ولا في غيرها بالأولى،بل جعل هؤلاء أعداء له ، وهم يحيطون بالحجاز من كل جانب كما نبينه لكمبالوثائق الرسمية، ورفض ما دعاه إليه أهل البصيرة من عقد روابط الحلف ، وشدأواخي الإخاء بينهم ، ليكونوا كلهم أعوانا على حفظ الحرمين الشريفين، وسياجهمامن جزيرة العرب أن ينالها عدوان أجنبي، أو يتسرب إليها نفوذ غير إسلامي،عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم قبيل لقاء ربه في الرفيق الأعلى.إن هذا الرجل لم يقدم على ادعاء التملك على الأمة العربية بأسرها ، ويعاديأمراء الجزيرة المقدسة على ما هو عليه من الضعف، ويعقد بانفراده مع الأجانبالمعاهدات السياسية والحربية باسم العرب ، فيعطيهم من الحقوق السياسيةوالعسكرية ما شاء حتى في الحرمين الشريفين، ومن رقبة البلاد بالاحتلال ما شاء؛لم يفعل هذا كله إلا اعتمادا على قوة هؤلاء الأجانب، فقد تواطأ واتفق معهم علىاقتسام السلطان ، والنفوذ بينه وبينهم في مهد الإسلام من غير مشاورة أحد منأصحاب الزعامة والسلطان كالأمراء والأئمة، ولا من أهل العلم والرأي في هذهالأمة.فهو بهذا وذاك قد أدخل النفوذ الأجنبي غير الإسلامي في الحجاز، وجعلهملكا سياسيا حربيا معرضا للغزو والقتال، ولم يقف عند حد هاتين الجنايتينالخارجيتين، بل استبد وظلم، وألحد في الحرم، كما نثبت ذلك بالحجج الآتية،ولا غرض لنا إلا بيان الواقع؛ ليعلم أمراء العرب وزعماؤهم. وعلماء المسلمينوكبراؤهم ، ما يجب عليهم من تغيير المنكر ، ومنع الخطر المنتظر ، ولو بإقناعهذا الرجل بما يجب ، وإقناع الحكومة الإنكليزية بترك معبد المسلمين الأكبر وقبلتهملهم ، وعدم تصديها لها بحيل المعاهدات وغيرها ، ونرى أن هذا خير لنا ولها منضم العداوة الدينية إلى العداوة السياسية ، وهذا ما نريد بيانه من الوثائق وقد سبقنشر بعضها.***وثائق الجناية الأولىوضع الحجاز تحت النفوذ والسلطان الأجنبيالأولى مقررات النهضة:من المعلوم المشهور أن هذا الرجل يسمي خروجه وثورته التي هي افتياتعلى العرب والإسلام (بالنهضة) ، ومن أعياده

الرسمية (عيد النهضة) ومنأوسمته الملكية (وسام النهضة) ، ويسمي المواد التي عرضها على الدولة البريطانيةوالتزمها وقيد نفسه وأمته وبلادها بها بغير حق ولا أهلية (مقررات النهضة)و (أساس النهضة) ، وقدكان يكتم هذه المقررات ويضن بها على كل أحد حتى أولادهقواد جيش ثورته – حتى إذا ما فئثت الحرب ، وجاء وقت اقتسام الغنائم ، ومنهاحصته من السلطان على البلاد العربية كلها في ظل الحماية البريطانية، أنكرتعليه حليفته بريطانية العظمى ما يدعيه لنفسه منها – فحينئذ – سمح بإعطاء ولدهالأمير (فيصل) صورة (مقررات النهضة) ؛ ليناضل له بها، وقد اقتضت الحالنشره إياها باسمه في جريدة المفيد التي كانت تصدر في دمشق على عهد إمارته لها،ونقلتها عنها صحف كثيرة في مصر والهند وغيرها، وهذا نصها:(١) تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانيالاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس، ومنالغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض، وشمالا حدود ولاية حلبوالموصل الشمالية إلى نهر الفرات ، ومجتمعة مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارسما عدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود. وتتعهد هذه الحكومة برعايةالمعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العربفي داخل هذه الحدود ، بأنها تحل في محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلكالاتفاقيات مع أربابها أميرا كان أو من الأفراد.(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتهامن أي مداخلة ، بأي صورة كانت في داخليتها، وسلامة حدودها البرية والبحرية منأي تعد بأي شكل يكون ، حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسدبعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحيناندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة؛ أي:لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية [٢] .(٣) تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومةالجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقوديراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التي هي حكمها قاصرة في حضنبريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الإشغال.(٤) تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربيةمن الأسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب.(٥) تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب منالنقط في تلك المنطقة؛ لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد؛ لعدم استعدادها اهـ.فملخص هذه المقررات: أن الدولة الإنكليزية هي صاحبة البلاد العربية ،وأنها بما لها من حق التصرف فيها تؤسس لواضعها (أمير مكة) حمايتها في داخلهاوخارجها، حتى لو حصل قيام داخلي على ملكها في حرم الله تعالى أو حرم رسولهصلى الله عليه وسلم كان على الإنكليز أن يساعدوه مادة ومعنى على قمعه، ويدخلفي هذا إدخال جيوشها في الحرمين الشريفين؛ لأجل حفظ ملكه فيهما.فما تقولون أيها المسلمون فيمن يعطي هذه الحقوق لدولة غير مسلمة فيالحرمين الشريفين وسياجهما؟ هل هو مشروع موافق لتلك الآيات القرآنية،والأحاديث النبوية، والوصية المحمدية، والأحكام الإسلامية، التي ذكرناكم بها فيمقدمة هذا الخطاب؟ أم هو جناية على الحرمين وسياجهما ومشاعرهما ، وعلىالملة الإسلامية والأمة العربية فيجب عليكم السعي لإزالتها؟إن الدولة البريطانية قد سجلت على هذا الرجل كل ما اعترف لها به منالحقوق على أمته وبلادها في هذه المقررات وغيرها، ولكنها لم تجبه إلى كل ماطلبه لنفسه منها، بل استثنت سورية الشمالية من المملكة العربية لأجل حليفتهافرنسة، وحملته على الاعتراف بحقوق لها في سائر العراق، فلم تقنع بولاية البصرةالتي سمح لها من تلقاء نفسه.***الوثيقة الثانيةكونه موظفا بريطانياإن هذا الرجل هو الذي انفرد بإعطاء الدولة الإنكليزية الحق

بأن تؤسس لهدولة عربية تكون تحت حمايتها، وفي حكم القاصر في حضانتها، وهو الذي اختارلنفسه أن يكون من جملة رؤساء الممالك المنضوية إلى كنف إمبراطوريتها، وكمفي هذه الإمبراطورية من ممالك تسمى مستقلة، وكم فيها من أمراء وملوكوسلاطين ، فلا غرو ولا عجب منه إذا صرح ونشر في جريدته (القبلة) مايصرح بأنه عامل موظف عندها ، وأنه هو وأولاده كالبلاد رهن تصرفها ، ونكتفيبشاهدين على ذلك من جريدته القبلة:(الشاهد الأول) :لما علم هذا الرجل أن الحكومة البريطانية قررت عرض مطالبه على مؤتمرالصلح ، وإعطائه ما يقرره المجلس ، أرسل كتابا منه إلى نائب ملكها بمصربتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٦ نشره بعد ذلك مرارا في جريدة القبلة ، وقد جاء فيه مانصه:(فإن كان ولابد (؟) من التعديل فلا لي (؟) سوى الاعتزال والانسحاب ،ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا إلا أنه أمر (؟) يتعلق بالحياة، لالقصد عرضي، ولا لفكر غرضي، وإنها لا ترتاب في أبي وأولادي أصدقاؤهاالذين لا تغيرهم الطوارئ والأهواء، ثم تعينوا (؟) البلاد التي تستحسن إقامتنافيها بالسفر إليها في أول فرصة) .(وإن رأت ذلك ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله إلى ختامها،فحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا من التهماتونحوه من العموم ، مما لا مقاومة لدينا أمامها إلا حسن النية، فالأمر إليها) .(أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأنه لاعلاقة لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلبا أو إيجابا، ولو قررالمؤتمر المذكور إضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن(؟) من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا) اهـ.نقلنا هذا بحروفه حتى أغلاطه اللفظية عن العدد ٣٩١ من جريدة القبلة الذيصدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ، وهو نص في جعل هذا الرجلإخلاصه في التابعية البريطانية تعبدا ، وأنه يقبل من الدولة الإنكليزية نفيه معأسرته من وطنه ، ولا يقبل من سائر الدول إضعاف مقررات استقلال الحمايةلمصلحة الأمة ، بل يعده كالكفر بالله والطرد من رحمته! ! !(الشاهد الثاني) :إنه قد استقال في هذا الكتاب من منصبه (ملك الحجاز) لدى الدولةالبريطانية استقالة معلقة ، ويظهر أنه قد رفع استقالته إلى الحكومة البريطانية بلندنمباشرة بعد الاستقالة الضمنية بهذا الكتاب كما يفهم من نص البرقية الآتية التيأرسلها إلى مدير جريدة التيمس الإنكليزية يتوسل بها إلى قبول استقالته التيتكررت ، وهذا نصها منقولا من العدد ٥٥٣ من جريدة القبلة:المدير العمومي لصحيفة التيمس(اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم أحدأمرائهم [٣] ولزيادة إقناع حكومة جلالة الملك وإيضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيبالبريطاني أكرر بهذا طلبي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الأمير المذكورأو من تراه ليستلم البلاد فإن غايتي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساساتقيامي وشرائطه يؤيده طلبي هذا المثبت للحقيقة من سائر وجهاتها) .وهذا نص صريح قطعي في اعتراف الملك حسين بأنه تابع للحكومةالإنكليزية وخادم لها ، وبأنها هي صاحبة الحق في عزله وتولية من تشاء علىالحجاز وغيره من بلاد العرب، وبأن هذا من (أساسات قيامه وشرائطه) يعني مايسميه مقررات النهضة، ولو لم يكن له إلا هذه الخزية لما احتيج إلى حجة غيرهاعلى جعل الحرمين الشريفين تحت السيادة البريطانية ، ومن ضمن مستعمراتالتاج البريطاني، وكفى بذلك عداوة وإهانة للإسلام والمسلمين كافة، وإضاعةلاستقلال العرب خاصة، توجب على مجموعهم التعاون على إزالة هذا المنكرالأكبر والخطر الأعظم، فإن لم يفعلوا كانوا كلهم عصاة لله تعالى هادمين لأركاندينه ، ومحقرين لما أوجب عليهم من حفظ شعائره ومشاعره.***الوثيقة الثالثةالمعاهدة الجديدة:خاب أمل هذا الرجل في الإنكليز ، فلم يجعلوه ملكا على جميع البلاد

العربية بقوتهم وسلطانهم كما اقترح عليهم في (مقررات النهضة) والحجاز وحده لا يشبعمطامعه، وليس من مصلحة الإنكليز أن يقاتلوا أمراء جزيرة العرب لأجلإخضاعهم له ، وتحقيق جعله ملكا عليهم ، ولا أن يجعلوه حاكما من قلبهم علىالعراق وفلسطين، لأنه على خضوعه لهم ليس عنده لين ولده فيصل ومرونته،ولا فرق ولده عبد الله واستسلامه، وقد جعلوا الأول ملكا على العراق؛ ليروضلهم صعاب الشيعة الجامحة بشهرة نسبه وخلابة لسانه، ويسلس لهم قيادة رؤساءالجند وزعماء الشعب ، بدماثة نفسه وجود بنانه ، وجعلوا الثاني أميرا على شرقالأردن؛ ليكف عن فلسطين عادية قبائل العرب ، ويمكن لهم السلطان في هذهالمنطقة؛ فيؤسسوا فيها حظيرة الطيارات التي هي العمدة الأخيرة لهم في تذليلجزيرة العرب وأمثالها ، بدون نفقة كبيرة ولا سفك دماء من جندهم . ويمهدوابنفوذه في البدو طرق السيارات والدبابات في قلب البلاد العربية؛ تمهيدا لماسيشرعون به من مد سكة الحديد العسكرية الحربية بين فلسطين والعراق ليتصلالبحر الأحمر بخليج فارس، ولقد صدق عليه وعلى أخيه ظن وزير المستعمراتالبريطانية، فيما ضمنه لحكومته وأمته من تقليل نفقات الاستيلاء على هذه البلادالعربية، ولكن أباهما لا يرضيه إلا أن يكون هو ملك البلاد العربية كلها كما لقبنفسه، فهو ما زال يلح ويلحف في مطالبة الحكومة البريطانية بإنجاز وعدها له علما فيه، وما زالت تعرض عليه ما لا يرضيه، حتى جاءه الدكتور ناجي الأصيلمندوبه لديها في شهر رمضان الماضي (سنة ١٣٤١) بالمعاهدة الجديدة فرضي بها ،وأعلنها بمكة المكرمة في عيد الفطر ، وأمر بأن يكون يوم إعلانها عيدا سياسياللأمة العربية بأسرها، وأمضاها بالتوقيع الابتدائي مع طلب تعديل جزئي غيرجوهري في بعض موادها غير الأساسية.وإننا نذكر هنا أهم مقاصدها السياسية ، المنافية لمصلحة العرب والإسلامالمؤكدة لما تقدم من جعله الحجاز تحت سيادتها وحمايتها بمنتهى الإيجاز معتمدينعلى ترجمة ما نشرته حكومة فلسطين الإنكليزية من الخلاصة الرسمية لها، وهي:أهم غوائل المعاهدة الحجازية البريطانية:(١) (تنص المادة الأولى على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين قاعدةلأعمال موجهة ضد الحكومة الأخرى) هذا نص الخلاصة الرسمي ، وفيه الغنمللإنكليز، والغرم على العرب وغيرهم من المسلمين، فهي تسلب أهل البلادوغيرهم من حجاج الآفاق حرية التعاون والتشاور هنالك في أي مصلحة لهم فيدينهم ودنياهم ، تعدها الدولة البريطانية (ضدها) وإن كانت خاصة بمصالحالمسلمين الدينية؛ كاضطهادها إياهم أو ظلمهم في أمر يتعلق بدينهم كالحج نفسه،وما زال المستعمرون للبلاد الإسلامية يخافون أن يستيقظ المسلمون من رقادهمالاجتماعي والسياسي ، ويتعاونوا على مصالحهم الإسلامية المشتركة في هذا المجمعالعام، عند بيت الله الحرام، فأعطى الملك حسين كبراهن المسلطة على زهاء مائةمليون مسلم مأربها، وليس لأهل الحجاز ولا لغيرهم من العرب أو المسلمين ولاللملك حسين أدنى فائدة في مقابلة هذه الغائلة، فإن الحكومة البريطانية لا تستطيعأن تمنع أهل بلادها مثل هذه الحرية ، الذي يتعهد ملك الحجاز بمنعها منه؛ إذ يرىأنه مالك لرقاب أهله ونواصي كل من لا حامي له من دول الأجانب ممن يحج بيتالله فيه، فإن الحرية في بلاد الإنكليز أقوى من كل معاهدة تعقدها أي حكومة فيها،ولكن ملك الحجاز يظن أن حكومة الإنكليز تستطيع أن تعمل في لندن وليفربول كلما يستطيع هو أن يفعله في أهل مكة وجدة المستضعفين المستعبدين.على أن الإنكليز أبرع خلق الله في التفصي من قيود المعاهدات التي يعقدونهامع الدول الكبرى بالتاويل كما قال أعظم ساسة أوربا في عصره: البرنس (بسمارك)فكيف يبالون بضعيف رضي لنفسه ولقومه سيادتهم عليهم؟ فإذا فرضنا أن بعضالإنكليز في بلادهم ، أو بعض رعاياهم من مسلمي الهند قاموا بعمل ضد حكومةالحجاز ، ولم تمنعهم حكومتهم، فهل يستطيع ملك الحجاز أن

يثبت ذلك ويكرهالحكومة الإنكليزية على منعهم؟ لا، لا، لا.(٢) من قضايا المادة الثانية تعهد ملك الإنكليز بتعضيد استقلال البلادالعربية التي اعترف باستقلالها، بالمعنى الذي لا ينافي الانتداب ، ولا الحماية بدليلكون فلسطين والعراق منها، وهذا التعهد يعطيه حق التدخل في شؤون هذه البلادالداخلية باسم التعضيد ومنها الحجاز واليمن ونجد، كما جعلت حكومته وحكومةفرنسا لأنفسهما حقا في عزل ملك اليونان ، بحجة أنهما وعدتا بتعضيد استقلالها، وأنأعمال ذلك الملك تنافي الاستقلال.(٣) تتضمن هذه المادة إقرار الانتداب على العراق وعلى فلسطين أيضا،وعبر عن هذا فيها بأن ملك الحجاز (يعترف بالمركز الخاص الذي لملك الإنكليزفيهما) وما هو إلا الانتداب ولوازمه، ومنه الاعتراف بعهد بلفور في جعل هذهالبلاد وطنا لليهود، وتتضمن فوق هذا تعهد ملك الحجاز ببذل غاية جهده فيالتعاون مع ملك الإنكليز ، على القيام بتعهداته في البلاد العربية (ومنها عهد بلفوروالاتفاق مع فرنسة على سورية) .(٤) في المادة الخامسة (يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يصد بجميعالوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء ، يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدودالتي تقرر نهائيا) وهذا نص صريح بإعطاء الإنكليز حق حماية الحجاز ، ولهذاصرح الملك حسين بأن هذه المعاهدة مبنية على أساس مقررات النهضة ، وسيأتينص عبارته في هذا.(٥) تنص المادة السادسة على تعيين وكلاء سياسيين ، وقناصل للإنكليزفي الحجاج ، وفي البلاد البريطانية للحجاز . والحجاز في غنى عن هذا التدخلالأجنبي السياسي بما سيجيء بعد.(٦) يعترف ملك الحجاز في المادة السابعة للإنكليز بحق الحجر الصحيعلى حجاج الشرق والجنوب، ويعترف له ملك الإنكليز بالتدابير المتممة لذلك فيثغور الحجاز، وفي كل من الأمرين سيادة لملك الإنكليز على الحجاز ، وتحكم فيالحجاز، فإن القانون الدولي يعطي لكل دولة الحق بأن تحجر على الموبوئين ،الذين يريدون دخول بلادها، وملك الحجاز أعطى حقه هذا للإنكليز ، واستمد منملكهم حق الأعمال المتممة له في بلاده هو؛ أي: الحجاز ، ولم يسمح بمثل الحقللحكومة المصرية الإسلامية، وما ذلك إلا أنه يعد نفسه تابعا للدولة البريطانية كما تقدمفي الوثائق السابقة.(٧) يتعهد ملك الحجاز في المادة الثامنة بأن لا يتدخل في التدابير التييتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحجاج، ويتعهد ملك الحجاز بتعضيد المساعي التييبذلها مسلمو الرعايا البريطانيين؛ لمساعدة الحجاج في الحجاز، فالأول مبني علىالاعتراف بسيادة ملك الإنكليز على الحجاز؛ إذ لا معنى لتعهده بعدم التدخل فيأمر الاعتناء بالحجاج ، إلا أن هذا وأمثاله من حقه وقد أباحه لملك الحجاز،والثاني مما أنكر ملك الحجاز مثله على الحكومة المصرية؛ إذ أرسلت مع ركبالحج المصري بعثة طبية ، فلم يقبلها محتجا بأن قبولها ينافي الاستقلال ، أليس معنىهذا أن استقلاله واقع في ضمن دائرة الإمبراطورية البريطانية التي تضمكثيرا من المستعمرات التي تسمى مستقلة؟(٨) المادة التاسعة (تنص على تعيين مبلغ محدود يفرض على كل حاج)وهي معترضة من ثلاثة أوجه:(أحدها) : أن ضرب إتاوة أو غرامة على كل من يحج بيت الله تعالىمحرم في الشريعة الإسلامية بالإجماع ، يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿ولا تأكلواأموالكم بينكم بالباطل﴾ (البقرة: ١٨٨) وعموم ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلاوإياي فاتقون﴾ (البقرة: ٤١) فقد قال تعالى في شأن بيته: ﴿فيه آيات بينات﴾ (آل عمران: ٩٧) وهو كفرض الضرائب على الصلاة والصيام، ومن يستحلذلك يعد مرتدا عن الإسلام، ويعد أيضا من الصد عن سبيل الله، ويدخل في عمومقوله: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناهللناس﴾ (الحج: ٢٥) ... إلخ.(ثانيها) : أن وضع هذا التعدي على شرع الله ودينه ، وحجاج بيتهالداخلين في أمانه . في معاهدة مع دولة غير إسلامية ، لا يعقل له سبب إلاالاستعانة بها على تنفيذه، والاعتماد

على حمايتها في قهر جميع المسلمين علىالإذعان له.(ثالثها) : أنه قد يكون مثار فتن بين الحكومات الإسلامية وبين ملكالحجاز ، تؤدي إلى تدخل هذه الدولة الحامية في الحجاز؛ لتنفيذ عمل محرم فيالإسلام يعد مستحله والراضي به كافرا خارجا منه. ذلك بأنه إذا امتنع حجاج نجدواليمن وتهامة من جيران الحجاز عن دفع هذه الضريبة ، فلا سبيل إلى تنفيذها إلاأن يجبرهم ملك الحجاز عليها أو يصدهم عن أداء الفريضة بقوة السلاح وهو غيرقادر على ذلك بنفسه ، فإذا قاوموه وحاولوا دخول الحرم بالقوة ، لا يكون له معولفي صدهم إلا على إرسال الجند البريطاني؛ ليحيطوا بالحرم الشريف؛ ويصدواعنه هؤلاء الحجاج ، تنفيذا لهذه المعاهدة ولمقررات النهضة.(٩) المادة الحادية عشرة وما بعدها إلى السادسة عشرة ، في امتيازاتقضائية للدولة البريطانية في الحجاز ، تنافي الاستقلال الصحيح وتنفيذ الشرعالإسلامي فيه، وتؤكد ما تقدم بيانه.هذه بعض غوائل هذه المعاهدة ومفاسدها، وقد انفرد هذا الرجل المستبد فيحرم الله تعالى بالتعاقد مع الإنكليز عليها، كأن حرم الله تعالى وحرم رسوله ملك لهيتصرف فيه كما يشاء ، لا يتقيد بنص شرعي ولا بمشاورة أحد من أمراء المسلمينوعلمائهم. فإن قيل: إن المعاهدة لما تمض وتوضع موضع التنفيذ. قلنا: نعم،ولكن السبب الأول لذلك هو رفض الفلسطينيين لها، ولا تزال المفاوضات بين هذاالرجل وبين الإنكليز دائرة في حل المسألة الفلسطينية لأجل تنفيذها، والراجح أنمجيئه إلى فلسطين يقصد به قبل كل شيء إقناع أهلها بنص خادع فيها؛ إذ لمينخدعوا بالنص الأول.***الوثيقة الثالثةاتخاذ يوم إعلان هذه المعاهدة عيداجاء في العدد ٦٨٨ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٥ شوالسنة ١٣٤٢ بعد بيان الاحتفال الرسمي بعيد الفطر ما نصه:عيد على عيدإعلان استقلال العرب ووحدتهم في جميع الجزيرة العربيةولما استقر بجلالة المنقذ المقام، في بهو الاستقبال العام، مثل بين يديجلالته الأشراف والسادة العلماء ، والأعيان والوجهاء وأماثل الأمة على اختلافطبقاتها حاضرها وباديها، وحينذاك تفضل جلالته ، ففاه بخطاب ملوكي سام، حمدالله فيه وأثنى عليه ، ثم أشار إلى أن هذا العيد المبارك لا شك في تضاعف يمنهحيث صادق قبول المراجع الإجابية [٤] لجميع المطالب العربية، فلا ريب في أنهيوم اجتمع فيه عيدان: عيد الفطر السعيد ، وعيد الاعتراف باستقلال العربووحدتهم ، وعليه فجلالته يعلن ذلك للأمة العربية حاضرها وباديها، وعلى أثر ذلكأمر جلالته صاحب الإقبال رئيس الديوان العالي ، أن يلقي في ذلك المحفل الجليلالخطاب الملوكي الهاشمي الآتي وهذا نصه:بسم الله الرحمن الرحيم(نصرح في هذا العيد المبارك بمآل المعاهدة العربية البريطانية ، المؤسسةعلى مقرراتنا الأساسية والتي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا ، باستقلالالعرب بجزيرتهم وسائر بلادهم، ويتعهد لنا حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية؛لتأسيس الوحدة العامة الشاملة ، لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرقالأردن وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب (ما خلا عدن) فنأمر أن يعتبر هذااليوم المبارك عيد الاعتراف باستقلال الأمة العربية والله ولي التوفيق) انتهى.هذا نص خطاب الملك الرسمي بحروفه، وقد نشرت جريدة القبلة عقبه خطاباألقاه الدكتور ناجي الأصيل ، سمسار هذه الخديعة ، وحسبنا التصريح الرسمي منالملك حسين بأن هذا الاستقلال مبني على أساس نهضته؛ أي: حماية الإنكليز لبلادالعرب ووصايتهم على أهلها ، كما علم من الوثيقة الأولى ، ولكن الناس يغفلون عندالقراءة فيظنون أن المراد الاستقلال الحقيقي المطلق من كل قيد.ولهذا يتعجب بعضهم من تصريحه هو وأولاده وجريدته (القبلة) تسميةالعراق وشرق الأردن مستقلة ، فليس معنى الاستقلال عندهم ، إلا جعل الدولةالإنكليزية إياهم ملوكا وأمراء في البلاد العربية تحت حمايتها؛ إذ يعدون هذه البلادملكا لها. فلو سمي عبد الله أو أخوه زيد ملكا على سوريا؛

أي: المدن الأربعمنها صارت مستقلة عندهم، وصار الانتداب مساعدة ومحالفة في عرفهم.***الوثيقة الرابعةخداع أهل فلسطينبينا أن المعاهدة العربية البريطانية مشتملة على إقرار الانتداب وعهد بلفورضمنا ، ولكن الملك حسينا قد أرسل البرقية الآتية إلى أهل فلسطين ونشرت فيجرائدها والجرائد المصرية وهذا نصها:إلى عموم أهالي فلسطينرغبة في وقوفكم على الحقيقة ، وضرورة إعلانها للعموم ، لقد صرحنافي هذا العيد المبارك بمآل معاهدتنا العربية البريطانية ، المؤسسة على مقرراتناالأساسية التي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا باستقلال العرب فيجزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيسالوحدة العامة الشاملة ، لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الأردن ،وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب ما خلا عدن. وهذا من منن الباري علينا،وعلى عظمتها بالوفاء بمواعيدنا وأقوالنا للعرب رغما عما نسبوني، وعظمتها إليه ،من هضم حقوقهم وكل ما يرمونا به ، ولا نشك أن هذا العيد المبارك سيعتبر أيضاعيدا ميمونا باستقلال الأمة العربية ، ولا أحتاج لتحذيركم عن إحداث أي شيء يخلبالراحة والسكون بأي صورة كانت ، لما في ذلك من ضياع الحقوق ، فإنكمالمسؤولون عن ذلك وباقي المعاملات تردكم عقب هذا.... ... ... حسينهذه البرقية هي التي حملت حكومة فلسطين الإنكليزية الصهيونية على نشرخلاصة المعاهدة ، التي كان الملك حسين قد كتمها ، وأراد إقناع أهل فلسطينوسائر العرب بقبولها ، والإذعان لها ثقة ببيانه هو .كما فعل بمقررات النهضةمنذ بدأ بالثورة فكانت جريدته (القبلة) ، وجريدة الكوكب التي أنشأها الإنكليزبمصر وغيرها من الجرائد المستأجرة للإنكليز ، يذعن في العالم أن الأمة العربية قدضمن لها استقلالها ، وإعادة مجدها بولائها لإنكلترة وحلفائها.ولما نشرت خلاصة المعاهدة ، وعلم أنها مقررة للانتداب لا نافية له بلغرئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الملك حسين ذلك ، فأجابه الملك ببرقيةهذا نصها: (أحسنوا الظن) وفاته أن اليقين لا ينقض بالظن ، وأن تقليد أهلفلسطين له وهم على علم بالحقيقة محال ، فهم لم يقبلوا برقيته ولا غيرها ، ممانشر في جريدته الكاذبة الخاطئة من المكابرة ، وتكذيب حكومة فلسطين وجرائدالعالم... بل ألفوا مؤتمرا قرروا فيه عدم الاعتراف بالمعاهدة ، وبأن ملك الحجاز لايملك أن يقرر شيئا في شأن بلادهم افتئاتا عليهم ، وبلغوه ذلك هو والدولة البريطانية –ولا نطيل بنشر ما لم ننشر من الوثائق في ذلك؛ لقرب العهد بها، وعلمنا أنهلا يكابرنا أحد فيها.ولقد كان من عجب العقلاء الذي لا ينتهي أن ملكا ينفرد بوضع نصوصمعاهدة سياسية مع أدهى دول الأرض ، وأحذقهن وأدقهن في استعمال الألفاظ القابلةللتأويل، ثم إنه يفسر هذه المعاهدة بخلاف المتبادر من نصها ، ويخاطب بذلك أهلبلاد واسعة؛ ليحملهم على الرضا بإضاعة وطنهم ، وجعل رقبته وحكمه لغيرهم،ويخطئ كل من يخالفه في ذلك حتى حكومة فلسطين البريطانية ، والجرائدالإنكليزية – دع العربية وغيرها – ومن شاء فليراجع في ذلك (العدد ٦٩٠و ٦٩٦من جريدة القبلة ، والمنشور الرسمي في العدد ٧٠١ الذي يرد به على المصريينخاصة. ثم يعلم أنه قد ظهر للعالم كله أنه هو المخطئ فيما فهمه أو ما نشره مخالفالفهمه فيرجع عنه. وجه العجب الذي لم يعرف له نظير أن الملك حسينا إن كان قدنشر ما نشر من تفسيره المعاهدة المخالف لنصها ، وهو يفهم معنى النص فتلكخيانة توجب عدم الثقة بقوله وعمله وأمانته، وإن كان نشره وهو لا يفهم معناه ،ولم يفهمه إياه نائبه لدى الدولة البريطانية ، ولا ناظر خارجيته فالمصيبة أعظم؛ إذهو حجة على أنه ليس أهلا لعقد المحالفات ولا لتولي الأحكام ، ولا لنصب العمال –إذ يكون معتمده لدى الدولة البريطانية ، ووزير خارجيته قد خاناه بكتمان معنىالمعاهدة ، حتى حملاه على التصريح بتضمنها؛ لاستقلال جميع البلاد

العربية – ماعدا عدنا – وبحمل أهل فلسطين على قبولها، ثم ظهر الأمر وافتضح، وبقيالرجلان موضع ثقته في أعماله السياسية الدولية! .على أن الظاهر المتبادر هو الأول ، وهو أنه صرح بما صرح به على علم بأنهعبودية للإنكليز لا استقلال ،كما إنه اغتبط باحتفال ولده الأمير عبد الله باستقلال شرق الأردن ، ونشر ما قيل فيه بجريدته ، وهو يعلم أنها تحت الوصاية البريطانيةوالتي لا تنافي الاستقلال عنده بل تقتضيه.***طور آخر وتصريح جديدبعد هذا نشرت جريدته في العدد ٧٣٢ الذي صدر في ١٩ ربيع الأول سنة١٣٤٢ مقالا ، ذكرت فيه أنه صرح لبعض الحجاج من البلاد العربية المختلفة بمايدل على اعتراف بخطئه ، فيما صرح به في أول شوال وما كتبه بمعناه لأهلفلسطين ، وهو كسائر كلامه المتعارض أو المتناقض وهذا نصه:(يهمني من جميع البلاد العربية ما يهمني من أمر بيت الله الحرام ، وقد عرضتعلى الحكومة البريطانية معاهدة ، وجدت في بعض موادها ما لم يتفق مع العهودالمقطوعة لي ، التي تأسست عليها أعمال النهضة ، فعدلت تلك المعاهدة تعديلا هامانصصت فيه على استقلال فلسطين استقلالا مطلقا ، يخول للفلسطينيين إدارة بلادهمبأنفسهم ، واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ، وبذلك جعلت وعد بلفور في حكمأنه لم يصدر، وقضي عليه بالموت ، وفوق ذلك فإنني طلبت في التعديل أنه بعد عقدالمعاهدة ، يؤمر المندوب السامي بفلسطين أن يصرح – بحضور مندوب من قبليأمام ممثلي فلسطين – باستقلال الأقطار الفلسطينية استقلالا تاما مطلقا ، ودخولهاصراحة في الوحدة العربية طبقا للعهود البريطانية المقطوعة لي، وأؤكد لكم أنه إذالم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها ، فلا يمكن أن أوقع على المعاهدةبل أرفضها رفضا باتا ، وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضيفلسطين وأنا وأولادي أحياء على وجه الأرض ، فإنا نحافظ على أحقر قرية فيفلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ، ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة في دمائنا،وعلى كل حال فإنني بعد انتهاء أمر المعاهدة ، سأحضر بنفسي إلى أطراف تلكالبلاد ، فإذا ورد جواب لندن على مطالبي بالإيجاب ، أستشيركم في طريقة الحكمالتي تريدونها ، وإذا ورد جوابها بالسلب ، أستشيركم فيما يجب عمله ، وإني أسيرمعكم على ما تتفقون عليه، وكونوا على ثقة أنني أنظر إلى أهل فلسطين نظريإلى أولادي ، ولا أفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ويهودي وطني ، ومن يرجعمن الصهيونيين عن أطماعه البلفورية، وإنني أشهد الله على ذلك، وهو حسبي ونعمالوكيل) اهـ.وسنبين غرضه من هذا التصريح عند ذكر نتيجة هذه الوثائق كلها.***الجناية الثانية عداؤه لأمراء جزيرة العربوتعريضه الحرمين الشريفين للغزو والقتاللو شئنا لأتينا بوثائق كثيرة من جريدة القبلة ، تثبت هذه الجناية كالمنشوراتالرسمية الصادرة باسم الملك حسين في الطعن بدين أهل نجد وتكفيرهم ، وزعمهأنه يجب على ولي أمر المسلمين يعني (نفسه) عقابهم الذي يقتضيه الشرع؛ أي:قتالهم قتال أهل الردة ، وغير ذلك من التحرش بهم والتصريح بعداوتهم ،والاستعداد لقتالهم والاعتداء عليهم بالفعل: (كمنشور ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذينشر في عدد ٢٠٢ من جريدة القبلة المؤرخ ٢٤ منه – والمنشور الذي نشرته فيغرة ربيع الأول سنة ١٣٣٧ – والمنشور الذي نشرته في ٨ جمادى الأولى سنة١٣٣٧) وكالتصريح بغزوه لبلاد عسير بعد وفاة السيد محمد الإدريسي بالقوةالحربية والفتح الهاشمي ، ولكنا نستغني عن إيراد النصوص في ذلك من أعدادجريدته ، بالتصريح الأخير الذي بين فيه ما كان يكتمه من معنى الوحدة العربيةعنده ، وهو إخضاع جميع أمراء جزيرة العرب لملكه ، وما يراه من تقسيم البلادوإدارة حكومتها بالقوة القاهرة، وهو الوثيقة الخامسة.***الوثيقة الخامسةالتفسير الرسمي للوحدة العربيةجاء في صدر العدد ٧٣٧ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٦ربيع الآخر سنة ١٣٤٢

(بيان عام من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بإمضاءرئيس لجنتها التنفيذية (محمد بن علوي) جعل عنوانه (هذا بلاغ للناس) وذكرفيه أن اللجنة تشرفت بالمثول بين يدي الملك حسين للوقوف على ما وصلت إليهالقضية العربية ، فصرح لها بأمور أهمها عندنا: تفسيره للوحدة العربية التي ملأالدنيا تنويها بها ، وانخدع كثير من العرب الذين يصدقون دعايته ، بأنها هي التيتؤلف بين العرب وتوحد قوتهم – كما انخدعوا بمؤتمر الجزيرة الذي يستخدمه فيذلك، فتبين الآن من هذا التفسير أن هذه الوحدة عين الفرقة وأنه لا غرض له منهذه الدعاية إلا إذلال العرب والاستيلاء عليهم بقوة الأجانب الحامين له، وطالمابين الناصحون العارفون هذا قولا وكتابة – ولا سيما المنار – فارتاب في نصحهمالخادعون والمخدعون وعدوه عداوة شخصية له، حتى صدقهم الملك حسين نفسه،وهذا نص تصريحه بحروفه:(إن نهضتي عندما آن أوانها الذي قضت به قدرته جل شأنه ، قبل خلقالعالم وكرتنا بما فيها من موجوداتها قد رسمتها على الأساس الآتي: وهو وحدةالبلاد العربية واستقلالها ، بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدةأما داخليتها فالإمارات المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبلالحرب ، وإن كل أمير في أي أمارة من هذه الإمارات الموروثة لهم من آبائهموأجدادهم ، يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها إمارته قبل الحرب،بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عنالجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتىتفيء إلى أمر الله﴾ (الحجرات: ٩) . وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الإمارات، سواء كانت تلك الإمارات قائمة بذاتها ضمن حدودها ، أو طرأ عليها الاغتصابكعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة ، فلا بد من عودتهم إلى ما كانوا عليهكعودة الإمام يحيى إلى صنعاء فيكون أمرها (أي: تلك المقاطعات بما فيها الحجازالخارجة عن حدود تلك الإمارات) منوطا برأي عموم أهاليها ، يعينون رياساتهاوكيفية تشكيلاتها ، وإداراتها بالشكل الذي يستنسبونه بشرط المحافظة على الوحدةوالارتباط ، وهي القاعدة التي ذكرتها آنفا) .وهنا تبرأ مما هو محسوس ومشهود من تهالكه على طلب الرياسة لهولأبنائه ثم قال:(وإنني أمقت التداخل الأجنبي وسياسة الاغتصاب ، والاعتداء في داخليةالجزيرة مما هو مشهود من اغتصاب بعض الأمراء لإمارة إخوانه ، فإنني أجدهمن أكبر الفظائع أمام حسياتي المذكورة؛ إذ إن النهضة ومؤسساتها هي لحفظ حقوقالجميع وليست لتمييز فريق على فريق ، (إلى أن قال بصدد هذا الاعتداء الذي سماهأجنبيا) : (ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إنشاء الله من الآمنين ، لذا فلا بد من إعادة آل رشيد وآل عايض إلى إمارتهموحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، إعادة كل أمير من أمراء الجزيرة إلى ما كانعليه قبل الحرب ، وإني لثابت (بقدرة الله تعالى) على هذا الحس والشعور أمامالتجاوزات الأجنبية ، إذا أصر أربابها على مطامعهم الحاضرة ، المخالفة لمقرراتهم(الصواب لمقرراتنا) التي تأسست عليها النهضة ، والمخالفة لكل عدل حتى لماجاهروا به من بعد ومن قبل ، هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق إلا ذاتي وحياتيلأنفقتها في هذا السبيل ، لا أريد بذلك جزاء ولا شكورا إلا خدمة العرب خاصةوالإسلام عامة ، والأعمال بالنيات (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اهـ.هذا نص ألفاظ الملك حسين حتى إننا لم نصحح كلمة (لمقرراتهم التيتأسست عليها النهضة) مع القطع بأن لفظ لمقرراتهم غلط من المطبعة ، أو سبقلسان أو قلم منه لأن (مقررات النهضة) له لا لأولئك الأجانب في عرفه وهمأمراء العربية. ويتلخص هذا التصريح بالأمور الآتية:(١) جعل جميع البلاد العربية (وهو يسمي نفسه ملكها) دولة واحدة ،تكون سياستها الخارجية وعسكريتها وإدارتها العامة واحدة.(٢) تغيير شكل إمارات جزيرة العرب الحاضرة بانتزاع بلاد حايل

وعشائرشمر من سلطنة نجد ، وإعادتها إلى آل الرشيد – وانتزاع بلاد عسير التي كانتلآل عايض من سلطنة نجد ، وإمارة الإدريسي وإعادتها إليهم – وانتزاع إقليمالحديدة من الإدريسي ، وجميع ما بيد الإمام يحيى ، مما كان للدولة العثمانية من بلاداليمن ، واستشارة أهل هذه البلاد كالحجاز في شكل الإدارة التي يحبون أن تكونفي بلادهم ، واختيار رؤسائها في ظل وحدته.(٣) إعطاء إمارات الجزيرة الموجودة الموروثة حق الإدارة الداخلية ،بشرط الخضوع لملك العرب العام ، واتباعه في السياسة الخارجية والعسكريةوالإدارة العامة.(٤) أن من يأبى الخضوع لما تقدم يعد خارجا عن أمر الله وحدود دينه ،فيقاتل قتالا دينيا ، حتى يرجع إلى أمر الله (يعني: أمره هو بما ذكر؛ إذ لم يأمرالله بذلك) .(٥) أن هذه الوحدة بهذه الصورة الدينية مبنية على مقررات النهضةالمتضمنة لحماية الدولة البريطانية لجميع البلاد العربية.(٦) أن هذه الكليات الخمس عقيدة دينية للملك حسين يدين الله بها ، فلايرجع هو ولا أولاده عنها ، ولو لم تبق إلا ذاته وحياته لأنفقها في سبيل تنفيذها.ولا يخفى أن هذا التصريح الرسمي يتضمن جعل هذه الإمارات كلها في حالةحرب معه، فعلى أي قوة يعتمد في هذا؟ وهل هو مغرور في اتكاله على نجابة(الحسيات البريطانية) هذه المرة كما انخدع من قبل ومن بعد على ما نقل عنهالمغرورون بأقواله، أم هو على ثقة من إنجاز وعدها له؟ أم هو متكل على بعضأهل شرق الأردن وسوريا وفلسطين الرازحين تحت أوزار الوصاية البريطانيةوالفرنسية ، لا يملكون من أمرهم شيئا فيملكوا أن يعطوه قوة حربية ، يقاتل بها أهلنجد واليمن وتهامة ويخضعوهم لوحدته العربية، أو قوة دينية بمبايعتهم إياه بالخلافةتخضع بها أمراء جزيرة العرب الثلاثة لأمره ونهيه ، معتقدين أن تلك المبايعةجعلته إمامهم الشرعي؟ ؟ !لقد كان أنصار الملك حسين وأولاده من مأجورين ومغرورين ، يزعمون أنههو الزعيم الوحيد الذي وجه عنايته للوحدة العربية ، التي لا رجاء في حياة الأمةالعربية وحفظ استقلالها بدونها ، على حين يتقاتل الإمام يحيى والسيد الإدريسيعلى حدود بلادهما؛ طمعا في ربح كل من الآخر ويقاتل السلطان ابن سعود الأميرابن الرشيد فيضم بلاده إلى إمارته ، ويعتدي أحيانا على حدود الحجاز (قالوا) :فإذا كان الملك حسين هو الساعي إلى الاتفاق الذي يجمع كلمة الجميع ، فيجب علىكل عربي مخلص لأمته أن يشد أزره ، ويجاهد تحت لوائه ويغفر له ما ألم أو يلم بهمن سيئة بإزاء هذه الحسنة الكبرى ، التي هي أم الحسنات ويؤاخذ أولئك الأمراءحتى على الهفوة، لأنها تؤيد أكبر الكبائر وهي الفرقة.وكان أهل البصيرة من واضعي أساس الجامعة العربية وغيرهم يقولونلهؤلاء: إننا كنا ظننا كما ظننتم أن الرجل يريد جمع كلمة العرب على أساسقاعدتنا المعقولة ، التي أظهر هو وأولاده الموافقة لنا عليها، وهي تحالف أهلالبلاد المستقلة المسلحة على حفظ الاستقلال، والتعاون على عمران البلاد، وتأليفمجلس تحكيم لحل مسائل الخلاف، والتوسل بهذه الوحدة الحلفية، إلى الوحدة التامةالتي سبقتهم إلى مثلها الشعوب القوية. ثم علمنا بالاختبار الدقيق له، والاطلاععلى أسس نهضته، إنه إنما يسعى لقتل الأمة العربية وهدم استقلالها بمساعدةالدولة البريطانية ، على ضمها إلى إمبراطوريتها المرنة ، على أن تجعله ملكا علىالبلاد كلها تحت وصايتها وحمايتها (كما تقدم في الوثائق السابقة) ، ومن امتناعهالمرة بعد المرة ، عن إجابة ما دعاه إليه مؤسسو الجامعة العربية ، من عقد التحالفمع أمراء الجزيرة على قاعدتهم التي ذكرت آنفا ، وكان من أعوانهم لديه على ذلكولداه عبد الله وفيصل ، والشواهد والوثائق والدلائل على هذا كثيرة ، أشرنا إلىبعضها في أول الكلام على هذه الجناية، ولم يبق للاستدلال بها حاجة، فقد قطعتجهيزة قول كل خطيب – أقر الخصم وارتفع النزاع –كان الملك حسين في أول العهد بالثورة ، يظهر لمؤسسي الجامعة العربيةودعاة وحدتها موافقتهم على رأيهم ، ويرجئ إجابة دعوتهم

ويسوف فيها ، حتى لايرتابوا فيه ويعرقلوا عمله ، على حين كان يصرح لمن يعتقد أنهم يخدمونه فياتفاقه مع الإنكليز ، على استعباد الأمة العربية قائلا: من هؤلاء الكلاب حتى أتفقمعهم؟ اليوم يوجد في الدنيا ابن سعود ، وغدا لا يكون في الدنيا ابن سعود، اليوميوجد في اليمن إمام مطاع، وفي تهامة إدريسي مملك وغدا لا يبقى في البلاد غيرملك واحد وإمام واحد. أو ما هذا مآله كما نقله المنار الصادق مرارا. وكان ...المأجورون والمغرورون يكابرون وينتقدون ، وقد انقطعت اليوم جميع الألسنةالخادعة والمخدوعة ، التي كانت تكثر اللفظ في تولية الرجل زعامة العرب وتسميتهبملك العرب والبلاد العربية، على تلك القاعدة الكاذبة الريائية.وقد صرحت إحدى جرائد هذا الحزب بخطته في هذه الأيام ، في سياق بثالدعوة لزيارته لأطراف سوريا وهي الجريدة التي يعبر عنها في جريدته (القبلة)بقوله: (لسان حال أقوامنا) وهي تصدر في القدس بماله وما يفيضه عليها ولدهالأمير عبد الله ، ومال الدولة البريطانية التي صرح أحد رجالها بأنهم جعلوها(مقطم فلسطين) فقد نشر صاحبها مقالة افتتاحية في العدد ٤٦٥ الذي صدر في ٢١جمادى الأولى ، موضوعها (القضية العربية جزيرة العرب ركنها وقوتها) تكلمفيها على صلابة أهل الجزيرة وقوتهم، وضعف أهل سوريا والعراق ، وسهولةتغلب خصوم القضية العربية عليهم دون أهل الجزيرة.ثم بين أن (في الجزيرة ثلاث قوات يجب إحلالها محلها اللائق بها من رعايةالعرب واهتمامهم هي: قوة سلطان نجد ، وقوة إمام اليمن (قال الكاتب) : وكلمنهما ارتجاعية متأخرة، وقوة الحجاز وما يتبع الحجاز من البلاد كالعراقوالشرق [٥] ثم صرح بأن الحجاز دون نجد واليمن قوة عسكرية. (قال) : ولكنهيفوقهما بطشا واستعدادا ، إذا ألحقنا به الشرق والعراق فعرب سوريا والعراقوفلسطين ، يميلون بمصلحتهم وتربيتهم وأخلاقهم وصلتهم؛ لتأييد ملك الحجاز فيسعيه وعمله) .ثم ذكر أن الجزيرة صارت بعد خروج الترك منها تحت رحمة الحكوماتالثلاث، وأن حكومة نجد توسعت بإزاحة إمارة ابن الرشيد ، وحكومة اليمنتوسعت في الجنوب حتى حضرموت، وأن حكومة الحجاز واقفة موقف المعارضةلكل منهما ، ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئا لحاجتها إلى تكوين الاتحاد العربي منالحجاز والشرق والعراق ، (قال) : (ففي نجد وحدة مكونة، وفي اليمن كذلك،وأما الوحدة الثالثة أو الاتحاد الثالث فلا يزال في دور التكوين ، ولا يعلم أحد متىيتم؟ وكيف يكون؟(قال) : (والذي نراه هو أن حكومات هذا الاتحاد ستقف موقفا صعبا أمامحكومتي الجزيرة في اليمن ونجد ، فلا هي تستطيع التغلب عليهما وإرجاعهما عنمطامعها إلى الحق والصواب ، ولا يوافقها القبول بما تم؛ لأنه يساعد على اختلالالتوازن في الجزيرة ، وإيجاد عهد حروب ومشاغبات فيها ، وكل حكومة عربية(مستقلة) تنشأ في سوريا أو العراق ، ولا تتكل على دولة من الدول الأوربية تظلضعيفة مهددة في حياتها الداخلية ما بقيت نجد في قلق ، ثائرة على كل ما نسميهنحن نظاما، وبقيت اليمن في حالتها الحاضرة) اهـ.هذا بيان صحيح لما يقصده الملك حسين من الوحدة العربية؛ لضرب العربواخضاعهم للاستعمار الأوربي ، الذي يظل مهددا في العراق وسورية ، ما دامت نجدواليمن قويتين هذا سبب تحبيذ صاحب هذه الجريدة له ، وهو خادم للأجانب ليسمسلما فيغار على الحرمين الشريفين ، ولا من عرق عربي فيغار على العرب وقدخانهم وغشهم رجال من أشهر بيوتاتهم ، وإنما الذي نخشاه أن ينخدع بعض أهلبلادنا السورية باسم الوحدة العربية الذي يميلون إليه ، ويريدون منه غير ما يريدهالملك حسين. أما وقد ظهر لهم ما يريده فلن ينال من أحد ذي قيمة منهم تأييدا ، ولاتفويضا ولا مبايعة لسحق قوة العرب (بالاتكال على دولة أجنبية) .لم يبق بعد هذا التصريح الرسمي مجال لحزب مذبذب ، يخدع الناس بقولالملك حسين باستقلال العرب والوحدة العربية، بل أصبحت الأمة العربية حزبين لاثالث لهما: حزب

الجامعة العربية الذي يسعى للوحدة العربية ، من طريق عقدالتحالف والتأليف بين الأمراء ، بإقرار كل منهم في بلاده؛ لوقاية البلاد منالمطامع الاستعمارية الغربية ، والتمهيد للاتحاد الاختياري مع التعاون الودي بينالعرب وسائر الشعوب الشرقية، والحزب الشريفي الاستعماري ، الذي يسعىلإرغام جميع أمراء العرب بالقوة الحربية على التابعية (لملك العرب) بتسليمهأزمة السياسية الخارجية والقوى العسكرية والإدارة العامة، في ظل السيادةوالوصاية البريطانية.ومن المعلوم بالضرورة لجميع المشتغلين بالسياسة ، وأولي الإلمام بحال البلادالعربية أن الملك حسينا الذي وضع هذه الخطة من اليوم الأول الذي تصدى فيهللمسألة العربية ، لا يملك القوة التي يرغم بها أمراء جزيرة العرب عليها ، وأنهليس أمامه قوة يعتمد عليها إلا قوة الدولة البريطانية ، وأنه لأجل هذا جعل ما يسميهالنهضة العربية مبنيا على أساس الخضوع للسيادة والوصاية البريطانية، فلأجلهذا سمينا هذا الحزب (الشريفي الاستعماري) ويصح أن يسمى البريطاني؛ أي: الذي يسعى من حيث يدري زعماؤه ويجهل دهماؤه ، إلى جعل الحجازوسائر جزيرة العرب كالعراق ، وفلسطين ، وشرق الأردن تحت الوصايةالبريطانية، ويتبع ذلك بقاء سائر سوريا تحت الوصاية الفرنسية أيضا لاتفاقالدولتين على ذلك ، وعلى تسميته استقلالا.(له بقية)((يتبع بمقال تال))ــــــــــــــــ(١) أي: لا يقطع شجره ويقلع حشيشه إلا ما رخص فيه النبي من قلع الإذخر ، لوضعه على الموتى عند الدفن وهو نبات طيب الرائحة.(٢) توهم واضع هذا القيد أنه احترس به عن جعل الاحتلال دائما جهلا منه باحتلال مصر ، وبأنه لا يمكن له ولا هي تمكنه من إتمام ما ذكر.(٣) يعني: سلطان نجد؛ إذ كانت التيمس قد أثنت في ذلك العدد عليه.(٤) هذه الكلمة من الاصطلاحات التركية ، وهي بمعنى أولي الأمر والمراد هنا: الحكومة الإنكليزية؛ لأنها في عرف ملك الحجاز ولية أمر الحجاز ، وسائر العرب والوصية عليهم كما سيأتي.(٥) من المعلوم قطعيا أن العراق وشرق الأردن غير تابعين للحجاز في شيء من أمر الحكومة ، فالمراد: أنهما تتبعانه في قتال أهل نجد واليمن ، وتذليلهما وهذا إنما يكون إذا أمرت به الحكومة البريطانية ، فهل جاء وقته عندها؟ .." (١)

"الكاتب: شكيب أرسلانــــــــــــــالطريقة المثلى لعمران الحجاز الاقتصاديمن الرحلة الحجازية الموسومة(بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف)للأمير شكيب أرسلانإن الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب والزكاءولكن ينبغي لها **المال والعلم** فلابد من بناء السدود كما كانت من القديم ومن حفرالآبار الارتوازية لاستنباط المياه، ومن الاعتماد في السواني على الآلات الرافعةالبخارية (المواتر) وهناك طريقة رأيتها في الصيف الماضي في جزيرة ميورقةوهي الدواليب الهوائية تدور بهبوب الريح فترفع الماء ويتصبب إلى الصهاريج،ولا يتكلف عليها صاحبها زيتا ولا فحما.فإذا وجد الماء وجد من الخصب والخير والمير في الحجاز ما لا يوجد فيقطر آخر. وأما المال اللازم للمشروعات الزراعية المذكورة فله طريقان:(إحداهما) أن تنظم الميزانية المالية لحكومة الحجاز تنظيما حسنا ويفرزمنها جانب واف لمصلحة الزراعة، فتأخذ هذه كل سنة بمشروع وتقوم بإنشائه منمال الخزانة ثم تستوفي ذلك من الأهالي المنتفعين على أقساط معلومة مؤجلة إلىعدة سنوات بحسب جسامة المشروع.(والثانية) أن تتقدم لهذه الأعمال شركات إسلامية بحتة من حجازيينونجديين ومصريين وشاميين وهنود وأندونسيين وغيرهم وتعطيها حكومة الحجازبها امتيازات إلى آجال معينة، وهذه

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٢٥/٣٣

الشركات هي التي تبني السدود وتستوفي علىالري شيئا معلوما من الزراع، أو تحفر الآبار الارتوازية وتأخذ بدل العمل مع الربحالذي يكون وقع عليه الشرط، أو تقدم المواتر لأصحاب السواني وتأخذثمنها منجما على عدة سنوات وما أشبه ذلك [١] .ويوجد عدا الزراعة منبع عظيم الرزق في الحجاز بل في كل جزيرة العربهو المعادن. فإن غنى الجزيرة بالمعادن موصوف معروف عند جميع الأمم من قديمالدهر حتى إن المؤرخين أجمعوا على أن حضارة هذه الجزيرة الباهرة في الحقبالقديمة إنما قامت بأمرين:(أحدهما) نقل متاجر الهند والشرق الأقصى إلى الغرب بموقع العرب بين الاثنين.(والثاني) ثروة المعادن التي تكنها أرض الجزيرة.فينبغي الآن وقد مضى وقت الفتوحات وصرنا لا نطمح إلا إلى حفظ الموجودبيدنا، أن نأرز إلى الجزيرة التي هي مهد العرب المنتشرين في أقطار المعمورجميعا ونجعلها الكهف المانع، والأصل الجامع، ونستخرج كل ما فيها من عيونالحياة الكامنة، حتى تصون نفسها، وتنجد أخواتها التي انبسطت عليهن أيديالاستيلاء الأجنبي، وأصبحن لا يملكن لأنفسهن أمرا، فتزحزح عنهن هذا الرقالذي يرسفن في قيوده، وتتم بذلك الجامعة العربية التي هي نكتة المحيا، ونشيدةآمالنا في هذه الدنيا. ويجب أن لا ننسى أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلحبه أوله. فقد كانت معادن الجزيرة في القديم من أغزر منابع ثروتها وعزهاوارتقائها وهي لا تزال هي هي لا ينقصها إلا الإرادة والعمل.لقد يقال: إن استثمار المعادن ليس بأمر سهل وأنه إن أنشبت الشركاتالأوربية مخالبها في هذه المعادن جنينا منها السيطرة الأجنبية، والذل، والندامةفالأفضل أن نكون فقراء أحرارا ولا نكون أغنياء أرقاء. ولن نكون أرقاء وأغنياءأبدا؛ لأن الثروة لا تجتمع مع فقد الاستقلال. وهاؤم أهل المغرب والجزائر ... وتونس عندهم من معادن الفوسفات وغيرها ما يقوم بالمليارات وليس بأيديهم منهشيء حتى كأن ذلك ليس في أرضهم.كل هذا التعليل صحيح لا اعتراض عليه. وأحسن لنا أن نبقى فقراء مستقلينمن أن يبتلعنا الاستعمار الأجنبي بواسطة معادن نرجو في استثمارها اليسر، فيئولبنا الأمر إلى الخسر. ولكن هذا التعليل لا يحل المشكل، ولا يجوز لأمة عاقلةرشيدة أبية تبغي الحياة مثلنا أن تعول في قضية ذات بال كهذه على حل سلبيصرف، نظن أننا قد أجبنا به ضمائرنا الناشزة، وسكنا به خواطرنا الثائرة، علىحين أنه الحل الذي يليق بالأمم التي استوى عندها الماء والخشبة والتي لا تريد أنتعمل شيئا بل تنظر قضاء الاستيلاء الأجنبي أن ينفذ فيها.أقول في تعليل ذلك:(أولا) إن الذين يقترحون استثمار هذه المعادن الثمينة لا يشيرون بإعطاءأقل شيء منها لشركة أجنبية أو لشركة مؤلفة من مسلمين هم تبع لدولة أجنبية غيرمسلمة، بل يشيرون بإعطاء الامتيازات لاستثمارها إلى شركات إسلامية مرجعهاحكومات إسلامية، ومما لا نزاع فيه أن الشركات التجارية في بلاد الإسلام قليلةوأن رءوس الأموال قليلة أيضا.فالمسلمون لم يتعودوا أسلوب الشركات في التجارة فضلا عن أن ثروتهمالعامة لا تساعدهم على تأليف هذه الشركات. إلا أن المبالغة في كل شيء مذمومةفلا يجوز أن نظن أن تأليف الشركات عند المسلمين مستحيل ولا أن المال معدومتماما بين أيديهم، فكلا هذين الافتراضين مخالف للمحسوس.وفي بلاد الإسلام شركات اقتصادية كثيرة، ومن المسلمين عدد غفير من ذويالثروة، وعدد غفير من ذوي المهارة في الأمور الاقتصادية.وإذا جربت حكومتا الحجاز واليمن استثمار المعادن التي في هذين القطرينعلى أيدي متمولين من المسلمين فلا يبدأ هؤلاء بالربح ولا يتحقق المسلمون أن هذهالمشروعات ذات عوائد أكيدة حتى يقبلوا على المساهمة من كل صوب وتجد منرؤوس الأموال عند المسلمين ما لا يخطر لك على بال، وذلك لأن الربح جلاب،وحيث تحقق وجود الفائدة وجد المال بلا شك.إذن يمكننا أن نستثمر معادن جزيرة العرب برؤوس أموال أصحابها مسلمونبل أصحابها مسلمون

لا تلي بلدانهم دول غير مسلمة [٢] وليس بضربة لازب أننستثمر هذه المناجم كلها دفعة واحدة، بل يمكننا أن نستخرج خيراتها تدريجيا،ولكن الذي لا يجوز أصلا هو أن نظمأ والماء فوق ظهورنا وأن نشكو مزيد الفقروالمال تحت أرجلنا.(ثانيا) إن الظن الذي يظنه بعضنا أن الشروع في استخراج هذه المناجميفتح أعين الأوربيين على الجزيرة لا سيما إذا رأوا الخيرات تدر منها وأنهم قديشنون الغارات على البلاد لأجل حيازة هذه المعادن هو ظن لعمري بغير محله.فإن الإفرنج يعرفون مواقع هذه المعادن، ويعلمون ما فيها إن لم يكن تفصيلافإجمالا. وعندهم علم آخر من طبقات الأرض يجعلهم عارفين بما يحتوي منالمعدن والفلز كل نوع من هذه الطبقات، فإن كانوا لم يشنوا الغارات إلى اليوم علىالجزيرة فليس لجهلهم بما في بطنها من الكنوز والخيرات، بل لأن الأمور مرهونةبأوقاتها، والاستيلاء على جزيرة العرب أو على بعض أقسام من جزيرة العربليس بالأمر السهل، بل دونه عقبات من وعورة الجبال، وحرارة الرمال،وشجاعة الرجال، فضلا عما بين الدول من التنافس الذي يحمل بعضهن علىالوقوف بالمرصاد لبعض مما يخشى منه وقوع الحرب بينهن. وعلى كل حالفالجزيرة إلى الآن سالمة من استيلاء الأجنبي إلا بعض أطراف لا بال لها.فليس من الحكمة ولا من الحزم أن نضيع على أنفسنا ثروة نحن في أشدالاحتياج إليها تحت ملاحظات ليست صحيحة وأسباب غير واردة.ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الإفرنج رسالة بالألمانية أطلعنيعليها مؤخرا مؤلفها المستشرق الألماني الشهير الأستاذ موريتز واسمها (المعادن فيالعربية القديمة) die bergwerke in alten arabien.جاء فيها ما ملخصه:يظن الناس إجمالا أن جزيرة العرب هي من أفقر بلاد الدنيا، وحقيقة الحالأنها ليست كذلك بل إذا نظرنا إلى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانتذات ثروة تضرب بها الأمثال وكانت تلك الثروة آتية من منبعين (أحدهما) كونالجزيرة طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط (والثاني) وفرة المعادن التيكانت فيها، وأخصها الذهب، فقد كانت هذه المعادن في أواسط عهد الألف سنة قبلالمسيح معروفة عند العبرانيين والفينيقيين والآشوريين. وقد كان سليمان بن داودأرسل بعثة على حسابه إلى البحر الأحمر، وعادت بغنائم تدهش العقل.وذكر سترابون (جغرافي يوناني مات في زمان طيباريوس قيصر) ... وديودور (مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي صاحب تاريخ عظيم، وكانمعاصرا لأغسطس قيصر) أنهرا في بلاد العرب كان فيها التبر.وقد كانت جزيرة العرب قبل الإسلام وقبل دخولها في الفتوحات النائية ذاتثروة عظيمة بالزراعة والمعادن، وكانت مكة أشبه بمركز حكومة جمهورية ذيمراكز تجارية عظيمة ذات علاقات مع الآفاق، وكان الأخذ والعطاء جاريين بقوةبينها وبين سائر البلدان، وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الإتقان، ولا يزالصاغة مكة، وصنعاء اليمن وعنيزة نجد إلى يومنا هذا مشهورين بإتقان الصنعة.أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب:فأما الأقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الأقاليم الغربيةوالذهب يوجد فيها بإسناد الجبال بين الداخل والساحل أي إسناد الجبال المتدلية إلىالتهائم. وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الأماكن المجهولة الضاربةإلى الجنوب والشرق. وهذه الجوانب الجبلية متكونة من حجر الغرانيت مع كثيرمن الرخام السماقي، وهذه الحرات التي في الجنوب والتي تمتد إلى مكة وإلىغربيها لا شك أنها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذهالقفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة، وإن شكل الغرانيت الصواني هذا يظهرفي وسط البلاد وتمتد آثاره إلى جهة الشرق أي في جبال نجد. وأطرافه الجنوبيةتظهر في شمالي اليمن إلى أن تحاذي صنعاء من الشمال. وأما الجنوب الغربي منالجزيرة والجنوب كله فتشكلاتهما الجيولوجية مختلفة عن الأولى، والذهب إنمايوجد في الجهات التي فيها الصوان أو الغرانيت

وهي ما يأتي:(أولا) في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة.(ثانيا) في أرض الحجاز الضاربة إلى الجنوب.(ثالثا) في الشرق من الجزيرة نحو نجد.(رابعا) في الجنوب الشرقي إلى جهة اليمامة.(خامسا) في الجنوب المحض بأرض عسير إلى الشمال من اليمامة.فمدين هي البلاد الواقعة بين البحر الأحمر وقمم الجبال المحاذية للبحر الممتدةمن نحو العقبة في الشمال أي وادي الحمض في الجنوب وهي اليوم تابعة للحجاز.وهناك مراكز على ساحل البحر منها (ظبا، والمويلح، والوجه) .فأنت ترى من هذه الرسالة المنشورة سنة ١٩١٧ أي منذ أربع عشرة سنة أنالأوربيين يعرفون ما في جزيرة العرب من المعادن إن لم يكن تفصيلا فإجمالا وأنهليس عدم سماعهم بثروتها المعدنية هو الذي ثبطهم حتى اليوم عن احتلالها. بللذلك أسباب سياسية مرجعها حفظ التوازن الدولي، وعسكرية مرجعها صعوبةمراس أهلها.فالأولى بنا أن نغتنم الفرصة ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لتقوى بهاجيوشنا، ونصلح إدارتنا، ونبث العمارة في بلادنا، وأن لا نأخذ هذه الأموربالتسويف والمماطلة حتى يصيبنا ما أصاب تركيا في مطاولاتها باستخراج الكنوزالتي كانت تحت يدها إلى أن جاء الأجانب واستولوا عليها، فقد كانت قادرة علىأن تستفيد من زيت الموصل من عهد طويل، فلم تبت في أمره شيئا، ولم تزلتماطل إلى أن أضاعت بهذه المماطلة ثروة تقوم بالمليارات الكثيرة من الجنيهات لامن الفرنكات، وكان عندها البحر الميت فلم تصنع في استخراج ثروته شيئا، ولاأبدت ولا أعادت إلى أن جاء الإنكليز بعد الحرب العامة فحللوا مياهه وقوموا مايمكن أن يستخرج منه، فقالوا إنه يمكن أن يستخرج منه قيمة خمسة آلاف مليارجنيه، وعشرون ألف مليون طن من الفوسفات وهلم جرا مما تعيي العقول عنتصوره، وليس في جزيرة العرب شيء من الخيرات التي تقوم بهذه المليارات منالجنيهات ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي يمكن كلا من حكومة الحجازونجد السعودية وحكومة اليمن الإمامية أن ترتفق به وتستعين به على إصلاح بلادهاوتعزيز أجنادها، وذلك على شرط أن لا تلجأ في هذا الموضوع إلا إلى رؤوسأموال، أصحابها مسلمون ليسوا من تبعة الأجانب وهذا ممكن إذا أرادته هاتانالحكومتان وبدأتا بفحص فني عن هذه الأماكن حتى تعلما ما تحت أرجلهما قبلمباشرة العمل.______________(١) وفي أخبار أم القرى أن الحكومة السعودية انتدبت أحد كبار مهندسي الأمريكان لاختبار الأرض وأماكن وجود المياه فيها وأنه وجد مياها غزيرة قرب وادي فاطمة من جهة جدة، وستحفر هناك الآبار الارتوازية لاستخراجها وسقي الأرض بها اهـ من حاشية الأصل.(٢) إن تجار العرب في بمبي الهند وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحموا بها الشركات الإنكليزية فزحموها، ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الإنكليز عليها بصفة قانونية! اهـ مصحح الرحلة.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا______________تعليق على خطبة ملك المملكة العربية السعوديةالتي لخصناها في الجزء الماضيإن ما قرره هذا الملك العربي الهمام من أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم هوالحق الواقع الذي لا يقبل المراء ولا المكابرة، وإن ما ذكره من نعم الله تعالى عليهبالإمارة والملك وحب قومه وطاعتهم له صحيح يعرفه له ولهم كل من له وقوفعلى تاريخه فيهم، وكذلك ما قاله من حبه للسلم والوفاق، ومن دلائله اتفاقه معسيادة إمام اليمن حتى إذا ما وقع الخلاف على جبل عرو حكمه الإمام يحيى فيهفحكم على نفسه، وترك ذلك الجبل الحصين له، وكان هذا الحكم موضع إعجابالشعوب العربية

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٦٩٨/٣١

والأعجمية، واستغراب الدول الغربية.وكذلك قوله: إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنةرسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون، والأئمة المجتهدون،فهو حق تشهد له به خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده،على انتقاد يوجه إلى بعض رجال حكومته، منه ما خوطب به ومنه وما لا يحيطبه علما، ومنه ما يقول: إنه ضرورات قضى بها ضعف الأمة وضعف استعدادها،وكثيرا ما أشرنا إلى هذا في المنار، وفصلناه لجلالته في المكتوبات الخاصة.وأما الشيء الجديد المهم في الخطبة فهو قوله: (أنا مبشر أدعو لدين الإسلامولنشره بين الأقوام) فهذا نعده وعدا منه لا يمكنه إيفاؤه إلا بتأسيس جماعة ومدرسةللدعوة والإرشاد كالذي سبق لنا في مصر، والذي قرر مثله المؤتمر الإسلامي الذيعقد في العام الماضي في بيت المقدس.وكذلك قوله: إنه يبذل كل مجهوداته لتوحيد الأمة العربية وجمع كلمتها، فهووعد تطالبه به الشعوب العربية عالمة أنه أقوى دولها وحكوماتها، وأن مقامه فيقلب جزيرتها من الحجاز ونجد يعطيه من قوة المركز ما يزيد قوة جيشه أضعافامضاعفة، وحسبنا من قوة جيشه وتأمين بلاده، وحفظ مركزه من التعدي الخارجيوتمكنه من العمل، وإنما يعوزه **العلم والمال** وهما مما يأتي به الرجال، إذا صحتالنية ووضع النظام لكل عمل من الأعمال، ومتى وثق المسلمون بهذا فإن عربهموعجمهم يبذلون له ما يستطيعون من المساعدة، وفقه الله تعالى ووفق سائرالمسلمين لإحياء مجد الإسلام.______________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا______________فتاوى المنار(س١٣-١٥) من صاحب الإمضاء في برلين (أوربة) بعد مقدمة طويلة.(١) لم فضل الله تعالى اليهود وهم أرذل الأقوام وأشنعهم ومفسدون فيالأرض، وكل الفساد الأخلاقي والاقتصادي والسياسي ناشئ منهم فقط كما قال تعالى:﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة: ١٢) وإنهم أشد الناسعداوة للناس ولا سيما للمسلمين. فإذن ما معنى قوله تعالى: ﴿وأني فضلتكمعلى العالمين﴾ (البقرة: ٤٧)(٢) لم ورد في كلام الله القديم قصص بعض الرسل كنوح وإبراهيمموسى وعيسى عليهم السلام مرارا كثيرة مثلا قصة عيسى عليه السلام أكثر منسبع عشرة مرة وقصة موسى عليه السلام أكثر من سبع وعشرين مرة إلخ.(٣) لماذا جمع أبو بكر وعثمان - أي الهيئة المخصوصة لجمع القرآن زمنخلافتهما - على غير ترتيب نزوله؟ فإن أمكن اليوم جمعه على ترتيب نزوله؟ فإنأمكن أيصح؟ تلميذكم الداعي المخلص:... ... ... عالم جان إدريس... ... ... في برلين(أجوبة المنار)١٣- معنى تفضيل بني إسرائيل على العالمين على مفاسدهم:إن تفضيل بعض الشعوب على بعض من الأمور النسبية التي تختلفباختلاف الأجيال والزمان والمكان؛ وباختلاف مراد المفضل من التفضيل، وإذاأطلق التفضيل في كتاب الله يراد به الديني منه، وإلا بينه كقوله تعالى: ﴿واللهفضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ (النحل: ٧١) وإنني أبين جواب السائلبشيء من التفصيل.يقول الله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران علىالعالمين﴾ (آل عمران: ٣٣) ويقول: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فيذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد: ٢٦) فعلم منهأن التفضيل خاص بالمهتدين بكتب الله تعالى للأنبياء الذين بعثوا فيهم من ذريةإبراهيم بعد نوح عليهما السلام.وقد كان الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في غيرهم من الشعوبوالمهتدون منهم أكثر من غيرهم لأولئك

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٢٢٣/٣٣

الأنبياء، وقال الله تعالى: ﴿ولقد آتيناداود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ (النمل: ١٥) فهذان نبيان من أعظم أنبيائهم يحمدان الله تعالى أن فضلهما على كثيرمن عباده المؤمنين لا على جميعهم.وإن من قواعد الشرع الإلهي العام أن الغرم على نسبة الغنم فمن كان ثوابهعلى الإيمان والطاعة مضاعفا كان عقابه على الكفر والمعصية مضاعفا وقد أنذرالله بني إسرائيل على لسان موسى ومن بعده من أنبيائهم أشد النذر إذا هم نقضواعهده بالكفر والمعاصي كما تراه في كتبهم المقدسة من العهدين القديم والجديد، وفيالقرآن العظيم المهيمن على جميع تلك الكتب، وفيه وصف لشدة كفرهم وبغيهموقتلهم الأنبياء بغير حق، وما عاقبهم به من اللعن وسلب الملك وضرب الذلة عليهمبفقد الملك، وتسليطه عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وأنهم لنيعتزوا بأنفسهم، بل بسيادة غيرهم، كما قال تعالى: ﴿إلا بحبل من الله وحبل منالناس﴾ (آل عمران: ١١٢) فحبل الله شرعه الإسلامي الذي أمنهم على أنفسهموأموالهم ودينهم، فرفع ظلم الرومان وغيرهم عنهم، وحبل الناس خضوعهم للدولالتي تحميهم، وكل هذا معروف في تاريخ دول الإسلام، وواقع مشاهد في بعضبلاد أوربة الآن، وإن اعتزوا في بعض آخر وأحدثوا ما نعلم من انقلاب.وأما ما يؤيد تفضيلهم على غيرهم من ناحية الخصائص القومية والوراثةوالتربية فيؤخذ من التاريخ الديني والمدني، وهو ما أجمله لنا القرآن على سنته فيبيان سنن الاجتماع بالإيجاز، إلى ما فصلته أسفار التوراة من معاندة موسى عليهالسلام في صحاري سيناء بعد إنقاذ الله تعالى إياهم على يديه من استعباد فرعونوقومه وإذلالهم لهم، وتعبر عنهم أسفار التوراة بالشعب الصلب الرقبة، حتىانقرض في مدة التيه – وهي أربعون سنة – أولئك الأذلاء الجبناء الذي تربوا تحتحجر الوثنية والعبودية، ونشأ فيه جيل جديد تربى في حجر الشريعة المؤسسة علىعقيدة التوحيد الخالص وآيات النبوة، وقشف البادية، فسلطهم الله على أولئكالوثنيين المفسدين في بلاد فلسطين ونصرهم عليهم، وأدال لدين الله وشرعه منعبادة الأوثان، فذلك قوله تعالى: ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين *من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين * ولقد اخترناهم على علم على العالمين *وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ (الدخان: ٣٠-٣٣) فالمراد بالعالمينالذين اختارهم عليهم القبط والفلسطينيون الذين نصرهم عليهم، وأنشأ لهم ملكاعظيما من بعد ذلهم.ثم سلبهم الله هذا الملك بما كفروا من نعمه، وأشركوا في عبادته، كما بينتعالى هذا في أول السورة التي سميت باسمهم؛ إذ قال: ﴿وقضينا إلى بنيإسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾ (الإسراء:٤) إلى قوله: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ (الإسراء: ٨) وهو بيان لماعوقبوا به من القتل والسبي مرة بعد أخرى، ولسنة الله فيهم بعد ذلك.وقد انقضى كل ما كان لبني إسرائيل من التفضيل الديني على غيرهم إلىالفرع الآخر من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهم العرب ببعثة محمد رسولالله وخاتم النبيين الذي بشرهم الله تعالى به على لسان موسى وعيسى ومن كانبينهما من النبيين كما بيناه بالشواهد الكثيرة في مواضع من تفسير المنار أوسعهاتفسير آية الأعراف: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباعندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهمالطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف: ١٥٧) من الجزء التاسع.وقد بين الله لهم وللناس غرورهم بما كان من تفضيل الله لسلفهم من الأنبياءوالذين اهتدوا بهم بأنه ليس اختصاصا ومحاباة منه لهم لذاتهم أو لنسبهم بينه فيآيات منها قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلميعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ (المائدة:١٨) الآية ومنها قوله: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم

أولياء لله من دونالناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليمبالظالمين﴾ (الجمعة: ٦-٧) ومنها الآيات الكثيرة في لعنهم والغضب عليهمومقاصدهم وعقابهم. راجع في سورة المائدة (٥: ٤١ -٥١ و٥٨ -٧٠و٧٦ -٨٢) وغير ذلك في غيرها.وأما ما يستنكره السائل من أعمالهم الإفسادية في العالم ولا سيما روسيةوألمانية، فحكمته أن الله تعالى ينتقم بقوتهم في التدبير المالي والمكر والكيد السري(كالماسونية) من أشد شعوب الأرض ضراوة بالحروب، واستذلال الشعوب،واستخدام دين المسيح لنقيض ما جاء به من الزهد والتواضع والإيثار، فلولا كيداليهود في ثل عرش ذلك السلطان الديني الدنيوي في أوربة لمحت العصبيةالصليبية آية الإسلام من الشرق كما محتها من أكثر أوربة، ولأطفأت نوره، ولماوجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التي نفخها روحالإسلام في الأندلس والشرق ثم انتقلت إلى إيطالية وفرنسة فسائر بلاد الغرب.على أن الشعوب الأوربية الحربية بالطبع الموروث قد كفرت بنعم الله تعالىفي العلم كما كفرت من قبل بنعمته في هداية الدين، فهي تستخدمها في الاستعدادلدك معالم الحضارة والعمران وإبادة بعض شعوبها لبعض، فاليهود يكيدون لهذهالدول وشعوبها في شرق أوربة وآسية بالبلشفية، وفي غربها بخصيمتها الرأسمالية،والغرض من الكيدين إزالة بغي القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربة إلاالتي تساعدهم على غرضهم الأساسي، وهو تجديد ملك يهودي يكون له النفوذالأعلى في العالم.فهم الذين ثلوا عرش السلطان البابوي بقوة **العلم والمال**؛ لأنه كان يضطهدهمفي كل مكان، وهم الذين أضعفوا سلطان الحكم القيصري بمجلس الدوما أولا، ثمقوضوه بالحكومة الشيوعية آخرا؛ لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدواجمعية الاتحاد والترقي على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكينهم منامتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم، فإنهم لم يضطهدوهم وهم الذي قوضواصرح القوة الألمانية في الحرب الأخيرة بما نفثوه من سموم الثورة في أسطولهاوفي جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدةأعدائها الحلفاء عليها، ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحيةولا قومية، وما كان هذا إلا خدمة لإنكلترة وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفورعلى تأسيس وطن قومي وملك يهودي في فلسطين، فكيدهم لألمانية كان ككيدهمالدولة العثمانية، لا ككيدهم لدول اللاتين وللقيصرية الروسية، ومن الناس من يرىأن إضعاف ألمانية وانتصار الحلفاء عليها كان خيرا للإنسانية وأنا أرى عكسه.فأنت ترى أن هذا الشعب أفضل من جميع شعوب الأرض عزيمة ووحدةوأثرة وذكاء، وإقداما وثباتا، واعتزازا بنفسه، وأما ضرره لغيره فهو يجري فيهعلى ما تعلمه من شعوب أوربة لبعض، وشره ما كان من دفع الفاسد بالفاسدويجري على سنة الاجتماع البشري والطبيعي المسماة برد الفعل، وقاعدة إذا جاوزالشيء حده، جاور ضده أو انقلب إلى ضده، ووفاقا للحديث المشتهر على ألسنةالعامة: (الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه) . رواه الديلمي في مسند الفردوسبلفظ (عدل الله) ولكن بغير سند، وقال الحافظ ابن حجر: إنه لا يعرف له روايةغيره.ولا يمكن أن يغلب على أمره إلا بقوة الحق والعدل والهدى التي كفل الله نصرأهلها على من يقاومها، وهذه القوة لا توجد إلا في دين الإسلام دين القرآن وسنةمحمد عليه الصلاة والسلام، التي فتح بها خلفاؤه العالم وطهروا ما ظهروا عليه منهمن الوثنية والظلم والمنكرات وعبادة البشر من الكهنة والملوك، وقد بينا هذابالتفصيل في كتابنا (الوحي المحمدي) الجديد.وقد تنبهت الشعوب اللاتينية والجرمانية للانتقام منهم، ولا يزالالأنكلوسكسون ينتصرون لهم بسبب نفوذهم المالي، ولكن الدولة

الإنكليزية هي التيستقضي عليهم القضاء الأخير، بمساعدتهم على تأسيس الملك اليهودي في فلسطين،بظلم للعرب شديد وبغي فظيع، بالرغم من وعيد الله لهم على لسان رسله، ولاسيما المسيح الحق ومحمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهما، وسيكون هذاالجمع بين الظلم والبغي الإنكليزي والطمع اليهودي قاضيا على نفوذ إنكلترة فيالشرق خلافا لما يظنان، معجلا لحياة الأمة العربية خلافا لما يبغيان، بمقتضى سنةرد الفعل في الاجتماع، بل عجل الله للإنكليز الانتقام بزوال نفوذهم المعنويوصيتهم الأدبي بفضيحتهم في فلسطين وسيتبعه النفوذ المادي ولو بعد حين، وأمااليهود فهم على ما ذكرنا من مزاياهم قد سلبوا الاستعداد للملك بفقدهم لملكة الحربإذ قال فيهم: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ (البقرة: ٩٦) وبشدةأثرتهم المالية وعصبيتهم النسبية والدينية، التي بغضتهم إلى جميع شعوب البشرمسودين، فكيف إن صاروا سائدين، وقد قال الله فيهم: ﴿أم لهم نصيب من الملكفإذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾ (النساء: ٥٣) وقد ورد في أخبار نبينا الغيبية أنهقال: (تقاتلكم اليهود فتظهرون عليهم حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم هذاوراثي يهودي تعال فاقتله) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.***١٤- حكمة تكرار قصص بعض الأنبياء في القرآن:إن هؤلاء الأنبياء الذين كرر القرآن ذكرهم هم الذين كانوا معروفين في بلادالعرب وما جاورها من طريق أهل الكتاب، ولهذا التكرار حكمتان: (إحداهما)بيان هدايتهم الصحيحة التي شوهتها روايات اليهود والنصارى بما جهلت به حقيقةدين الله وهدايتهم فيه بما يرجى تأثيره كما فصلناه في كتاب (الوحي المحمدي) فيبحث حكمة التكرار في القرآن، وفي بحث إصلاح الإسلام لتعاليم الرسل قبل محمدعليه الصلاة والسلام. (ثانيهما) إقامة الحجة على إعجاز القرآن في أسلوبهونظمه وبلاغته كما ترى بيانه في تفسير هذا الجزء.***١٥- جمع القرآن على غير ترتيب النزول:من المعلوم من تاريخ الإسلام بالإجماع أن بعض السور نزلت متفرقة فيأوقات مختلفة، وأنه كلما كملت سورة كان جبريل عليه السلام يقرئها النبي صلىالله عليه وسلم كاملة، وكان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم أي يدارسه كل ماتم من القرآن في كل سنة، وأنه في آخر سنة من عمره عارضه القرآن كله مرتينبهذا الترتيب الذي لقنه لأصحابه ولكتبة الوحي، وكان يقرؤوه في الصلاة وغيرها،ويحفظه كثير منهم ويقرؤونه بهذا الترتيب الذي في المصحف ولأجل هذا كتبوه،وبه يظهر تناسبه والتئامه وإعجازه، ويسهل حفظه ومدارسته على الصغار والكبار،فترتيب القرآن ترتيب توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى، ولايمكن جمعه بحسب النزول إلا بالنسبة إلى فائدة في كتابته على هذا الترتيب وخلطالسور الصغيرة بالكبيرة. وأما ترتيب آياته في كل سورة مما نزل متفرقا فمتعذر،والتصدي لما علم منه ممنوع بالإجماع، وهو ضار غير نافع، فإن آيات الربا منسورة البقرة، وقوله تعالى بعدها: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ (البقرة:٢٨١) الآية هي آخر الآيات نزولا، وأكثر السورة نزل عقب الهجرة. ولماأنزلت هذه الآيات أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في مكانها؛ لمناسبتها لماقبلها وما بعدها من الآيات المالية من الصدقة والدين. ولو وضعت مع آخر ما نزلمن السور لوضعت في سورة النصر، ولا مناسبة بينهما، فكل تغيير في القرآنضار، ومحرم بالإجماع.____________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا______________محاضرتي في جمعية الشبان المسلمينأيها الإخوان:كنت عازما على أن أسمع في اجتماع هذا العام ولا أتكلم، حتى إذا ما فرغالخطيب الأول صديقي الأستاذ المؤرخ الشيخ عبد الوهاب النجار من

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٤٧/٣٣

خطبته، بدالي أن أتعقبه أو أقفي عليه متطوعا بكلمة تكون مقابلة لكلامه من ناحية غير الناحيةالتي سلكها وهي لا مندوحة عنها فأقول:مضت سنة الأمم أن يسلك مرشدوها في الكوارث التي تنزل بها طريقتين(إحداهما) تهوين الخطب، وتصغير الكارثة، وتقوية الرجاء بزوالها وانكشافها عنقريب؛ إشفاقا عليها من اليأس، وقد سلك هذه الطريقة الأستاذ فصور كارثةاليهودية الصهيونية بسحابة صيف تنذر فلسطين بطوفان عظيم، ثم لا تلبث أنتنقشع وتزول؛ ولكنه توقع أن يكون خذلان اليهود فيها، والقضاء على ملكإسرائيل الذي يحاولون تأسيسه في مهد ملك داود وسليمان بظهور مسيحهم الدجالالذي حذر منه الأنبياء عليهم السلام، وآخرها خاتمهم محمد رسول الله صلى اللهعليه وسلم الذي أمر أمته أن تستعيذ بالله من فتنته في الدعاء المأثور بعد التشهدالأخير من الصلاة.فإن كان المصاب بعدوان اليهود على فلسطين لا ينكشف إلا بظهور مسيحهمالدجال فيااللهول، وياللرزية، إنه لبلاء لا ينكشف إلا في آخر عمر الدنيا، ولاتلبث بعده أن تقوم الساعة.وقد أشار الأستاذ الخطيب إلى ما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة منالقتال بين اليهود والمسلمين، والبشارة بأن المسلمين يظهرون عليهم فيه، وذهبعلماؤنا إلى أن هذا سوف يقع في عهد المسيح الدجال.وأما الطريقة التي أريد سلوكها في بيان ما يجب على الأمة العربية والشعوبالإسلامية، من العبرة بالنكبة اليهودية الصهيونية، فهي طريقة الأسباب الدنيوية،والسنن الاجتماعية، التي يسير عليها أهل البصيرة والعلم قبل وقوع ما أنبأ بهاالأنبياء عليهم السلام من مقدمات خراب العالم وقيام الساعة، ومنها ظهور المسيحالدجال الذي رجحت في تفسير المنار أن اليهود سيهيئون أسبابه ومعجزاته بالعلومالكونية.وإنني – مع هذا – أعتقد أن العدوان الصهيوني الحال بمساعدة الإنكليز علىفلسطين لا ينتهي إلا بقتال بينهم وبين العرب، لا أقول هذا تحريضا لكم أيهاالحاضرون عليه، فإنني لا أظن أن أحدا منكم أهلا ولا مستعدا له؛ وإنما هذه عاقبةطبيعية لما هو واقع هنالك، فقد ثبت في الأخبار المتواترة أن اليهود في فلسطينيقتنون السلاح ويستزيدون منه بالتهريب من أوربة، وقد عثرت الحكومة علىباخرة تحمل شيئا ليس بالقليل منه لليهود من أيام قليلة، وأن أمة غنية تريد إخراجقوم من ديارهم لجعلها ملكا لها لا بد لها من الاستعداد للقتال، فاليهود يجلبون السلاحالعصري من أوربة، والدولة الإنكليزية قد نزعت سلاح عرب فلسطين من أيديهم،وهي تريد نزع سلاح إخوانهم في شرقي الأردن عند سنوح الفرصة بمساعدة خونةالعرب وسواعدهم، ومتى تم هذا يسمح لليهود بنزع أرض شرقي الأردن، كماينزعون أرض فلسطين، هذا رأي لي قديم في عاقبة الحكومة المؤقتة في شرقيالأردن طالما صرحت به لمن لقيت من أهل البلاد، وقل من كان يعقله؛ ولكنهمسيرونه بأعينهم.هذه مقدمة سنحت قبل الكلمة المقصودة من وقفتي هذه، وهاؤم اسمعوهابالاختصار: إن خطر ما يسمونه (المسألة اليهودية الصهيونية) كبير هائل جدا،هو أكبر من كل ما قيل وما كتب في تكبيره وتهويله، ولو ظل اليهود على اعتقادهمالقديم وانتظار المسيح الذي بشروا به، وفسروه بملك دنيوي يعيد لهم ما فقدوا منملك سليمان عليه السلام بتأييد الله تعالى له بالآيات والمعجزات، لما كان خطرالصهيونية هو الخطر الذي أعنيه، بل لما وجدت هذه الصهيونية التي نخشاهاوننذر الأمة خطرها.تلك عقيدة دينية مرت القرون، ولم يستعد اليهود لظهورها وإظهارها بقوةاجتماع ولا سلاح ولا مال، ولا عمل من الأعمال، بل كانت مانعة لهم منالاستعداد لإعادة ملكهم من طريق الأسباب؛ لاعتقادهم أنه سيكون بآيات إلهية هيفوق الأسباب، فمثلهم فيه كمثل جماهير المسلمين – ولاسيما الشيعة – في عقيدةالمهدي المنتظر بظهوره بعد أن تملأ الأرض ظلما وجورا، فيملؤها عدلا.كانت هذه العقيدة من أسباب خنوع المسلمين وسكونهم وسكوتهم على

ماأصابهم من جور الظالمين المخربين منهم، ثم من سلب الإفرنج لأكثر ملكهم: كلماظهر فيهم عاقل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم يصدونه بقولهم: إن الأرض ملئتجورا وظلما، وقد قرب زمن ظهور المهدي، ولن ينقذها غيره، ولم يخطر في بالأحد من زعمائهم أن يدعوهم إلى الاستعداد لظهوره ليكونوا معه كما كان المهاجرونوالأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لاعتقادهم أن ظهوره وعمله وسيكونبالكرامات وخوارق العادات؛ ولذلك خدع ألوف منهم بظهور الدجالين المدعين لهذهالمهدوية، ولما هو فوقها ومتمم لها من ظهور المسيح، كما فعل الباب والبهاءوغلام أحمد القادياني، فكانت عقيدة المهدي المنتظر، والمسيح المنتظر مثار فتنوحروب مبيرة، سفكت فيها دماء غزيرة.رأى بعض اليهود – الذين درسوا العلوم الكونية والاجتماعية والتاريخ فيأروبة – أن قومهم يعللون أنفسهم بأمنية ظهور مسيح يجدد لهم ملكهم، وأن القرونتتلو القرون على هذا الاعتقاد، وهم لا يزدادون إلا تفرقا وذلا بفقد الملك، ورأوامن عبر التاريخ أن أفرادا من أصحاب الهمة والعزيمة قد أسسوا ممالك قوية،فتوجهت عزائمهم إلى تأسيس ملك لقومهم بالأسباب الاجتماعية دون الاعتماد علىالأوهام الاعتقادية النافية لسنن الاجتماع، فأسسوا هذه الدعوة الصهيونية على قواعد**العلم والمال**، وتوحيد قوة الأمة وجمع كلمتها.وضعوا لعملهم رأس مال كبير فكان بنكا للصهيونية، وضعوا له دائرةمعارف يهودية صهيونية، ووضعوا نظاما اجتماعيا لجمع كلمة الأمة يعقدون لهالمؤتمرات تلو المؤتمرات، في أمصار أوربة وأمريكة، ولقد كان اليهود –المتكلون على ظهور (مسيا) مؤيدا بالعجائب والخوارق السماوية – ينفرون منهذا النظام ويعدونه كفرا وإلحادا، أو هرطقة وزندقة؛ ولكن الحقائق العلميةوالمساعي العملية، ما زالت تدحض الآراء الوهمية، حتى صار يهود العالم كلهمأنصارا للجمعية الصهيونية، حتى إن فقراء يهود اليمن والمغرب الجاهلينيهاجرون إلى فلسطين؛ ليشهدوا تأسيس ملك إسرائيل.ما ينبغي لنا ولا لعاقل أن يستصغر عمل هؤلاء القوم، أو يستكبر نهوضهم بمهمها يكن كبيرا في نفسه، فاليهود شعب قوي العزيمة، شديد الشكيمة، عظيم الكيدوالحيلة، قد أحدثوا أعظم انقلاب في الدول والأمم، وكان آخر ما أحدثوا انقلابدولة الخلافة التركية الحميدية، ودولة القيصرية الروسية، ثم كانوا هم السبب فيانكسار الدولة الألمانية القاهرة في حرب المدنية العامة، وإن دولة بريطانية العظملترى نفسها مسخرة لهم في مساعدتهم على تأسيس ما سمته (الوطن القومي فيفلسطين) بمقتضى وعدها لهم بما يسمى (عهد بلفور) وهو الذي اجتمعناللاحتجاج عليه اليوم كما نفعل في كل عام، وقد سبقونا هم للاحتفال بهذه الذكرىفي مصر وفي كل قطر، وشتان بين اجتماعنا واجتماعهم، نحن نجتمع للندبوالاحتجاج بالكلام، وهم يجتمعون للتهاني والتعاون بالأموال والأعمال.فالذي أبغيه بكلمتي هو أن نعتبر بأعمالهم ونقتدي بهم فيها، بل نقتدي بماأمرنا به كتاب ربنا من المحافظة على ملتنا وأمتنا بالجهاد في سبيله بأموالناوأنفسنا.إن عدد اليهود في العام كله بضعة عشر مليونا على أكثر تقدير – ١٥ أو ١٧مليونا – وإن عدد المسلمين ليبلغ أربعمائة مليون، وإن عدد العرب الذين يريدوننزع فلسطين من أيديهم لا يقل عن مائة مليون، وإن اليهود خصوم للمسلمينوالنصارى منهم على سواء، إنهم خصوم لهم في وطنهم المشترك ومعاهدهماالمقدسة فيه، بل خصوم لهم في دينهم أي في دين الإسلام ودين النصرانية – كيفهذا؟إن عقيدة اليهود في إعادة ملك إسرائيل بالمسيح المنتظر تكذيب لدين الإسلاموتكذيب أصرح للمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام؛ فإنه هو المسيح الذيبشرهم به أنبياؤهم فكذبوه، وهو الذي أنذرهم خراب هيكلهم السليماني حتى لا يبقفيه حجر على حجر، وهم يريدون إعادته إتماما

لتكذيبه، ومن عجائب همتهموكيدهم أنهم يسخرون الدول المسيحية كلها لمساعدتهم الأدبية، وسخروا بريطانيةالمسيحية لتأسيس هذا الملك لهم بقوتها السياسة والعسكرية، ومخالفة تقاليدهاالنصرانية والأدبية، فانظروا إلى مبلغ كيدهم وقوتهم.وماذا عسى أن يفعل العرب في إيقاف الدول البريطانية عند هذا الحد الذيبلغته من تسخيرهم لها وليس عندهم إلا الكلام؟إن في بلاد الإنكليز خصوما لليهود كخصومهم في سائر بلاد أوربة؛ ولكنهمأعظم نفوذا في هذه الدولة من خصومهم من أهلها، فماذا عسى أن يبلغ تأثيرنا فيها؟إن نفوذهم قائم على أساس المال والصحف السياسية؛ لأنهم يملكون القسم العظيممن سهام شركاتها.وإن للعرب لقوة أعظم من قوتهم بكثرة عددهم، وسعة بلادهم ونفوذهمالمعنوي الديني في الهند وغيرها من الإمبراطورية البريطانية؛ ولكنهم يجهلونوسائل الانتفاع بهذا النفوذ في جمع المال، وفي تهديد الدولة الإنكليزية وإلجائها إلترجيح مصلحتهم على مصلحة اليهود الصهيونيين.وقد قلت لكم في هذا المكان من قبل: إن الانتفاع بهذه القوة العربية، منإسلامية ومسيحية، وبالقوة الإسلامية التي تؤيدها، يتوقف على نظام لا يجوزشرحه في هذه المحافل، وإني أعيد هذه النصيحة وأكرر التذكير بها عملا بقولهتعالى: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى﴾ (الأعلى: ٩-١٠)انتهت المحاضرة.______________." (١)

"الكاتب: حسين الهراوي______________الفصل الأولأسباب ونتائجيحدثنا التاريخ أن جزيرة العرب عامة ومكة خاصة، لم تكن قبل الإسلاممستعمرة لأحد، ولم يفتحها فاتح قط [١] ، وكان العرب مدى تاريخهم أحرارا،وكذلك يحدثنا التاريخ أن العرب قبل الإسلام لم تكن لهم ثقافة، أو دور تعليم، ولمتكن لهم مدينة ولا تاريخ مكتوب غير ما كانت تتناقله الألسن راوية عن راوية،وتلك هي ثقافة الفطرة.ولم يكن للعرب هيئة اجتماعية، أو نظام حكومي بالمعنى الذي نفهمه الآن،وجل تفاخرهم كان بانتصار قبيلة على أخرى، أو بتحديها، فكانوا أشتاتا من القبائللا تجمعهم إلا ميادين الحروب، أو أسواق التجارة، أو مواسم الحج.ومن البين أنه لم تكن هناك أية فكرة أو ظن بينهم لجمع شتاتهم وتوحيدمجتمعهم قبل الإسلام.ومن وسط هذه القبائل المفككة أو من أسحق الأمكنة فيها سطعت أشعة الإسلام،وفي مدى عشرين عاما من حياة النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم،تكونت أمة تشعر بوجودها الأدبي وتقوم برسالتها في الأمم المجاورة، فتكتسحالمعتقدات البالية، وتقضي على ملك الفرس والرومان وترثه.وليس لهذه النهضة الكبرى والثورة الفكرية العظمى سوى مصدر واحد هوالقرآن، وأداة واحدة في تأدية الرسالة هي شخصية سيدنا محمد صلى الله عليهوسلم، ومهما يكن من الظروف التي ظهر فيها الإسلام، وأحوال العالم في ذلكالوقت، فإن ظهور الإسلام من أجدب وسط في العالم، ومن أوحش صحراء، ومنأبعد الأمكنة التي يظن أن العالم ينقذ على يدها – هذا كله يعد معجزة لا شك فيها.وإذا كانت النهضة العربية ومصدرها الإسلام وحده تعد آية، فإن اكتساحهاللعالم والمعتقدات وتكوين دولة ترث الرومان والفرس في مدي ثمانين عاما يعد سراليس من السهل أن يعود، ومن المستحيل أن تجد له مثلا في التاريخ [٢] ، خصوصاإذا لاحظت أن هذه الثقافة الجديدة قد هضمت الدول كلها وطبعتها بطابع خاص هوالطابع الإسلامي.بل المثير للدهشة والعجب أن تظل هذه الثقافة إلى الآن راسخة ثابتة رغمالعواصف التي واجهتها، والحروب التي عملت على فنائها.والتاريخ يحدثنا عن تنازع البقاء

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٦٠٧/٣٤

الدولي بين الشرق والغرب، ويصف لنا منالحوادث مدها وجزرها، وكيف بسط الشرق سلطانه وساد، ثم كيف قاومه الغربورده واكتسحه أو كاد.وعلى الرغم من كل هذه التقلبات، فالإسلام دينا وقانونا وثقافة اجتماعيةوأخلاقية، ثبت لكل هذه الموجات والعواصف والتقلبات ثبات الصخر على الشاطئ،فذهبت كلها كذهاب الزبد على سطح الماء.والواقع أن أعداء الإسلام لم تهدأ ثائرتهم، ولم يفت في عضدهم بقاء الإسلامقويا مكينا على الرغم من الحروب والدسائس في البلاد الإسلامية التي أثاروها، بلكان ذلك مما زاد المسلمين يقينا وثباتا واستمساكا بدينهم ومحافظة على يقينهم؛ لأنالإسلام يحفظ القومية، ويشعر الناس بواجبهم نحو أنفسهم، ويجمعهم في دائرةواحدة من العاطفة، ويوجههم كلهم إلى قبلة واحدة، هذه القبلة التي تفني إزاءهاالقوميات والشعبيات ويتساوى فيها الناس أجمعون من جميع الأجناس والأوساط.أضف إلى ذلك أن الإسلام هو أول مطلع للتفكير الحر، والتحلل من قيود التقاليد،وهو الذي يحث على الأسفار وجوب القفار والمشي في مناكب الأرض ابتغاءالرزق. وهو في تعاليمه ينافي الاستعمار، وينافي الخضوع لكائن من كان إلاللواحد الديان.وفضلا عن ذلك فإن الإسلام عطف على الأديان الأخرى، وطبع الشعوبالتي انتشر فيها بطابع آخر هو الطابع العربي. فترى معتنقي الأديان السابقة لهوالذين يعيشون في البلاد الإسلامية تجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة،ويعطفون على الإسلام بداعي العروبة، والعروبة هي الطابع الثاني للإسلام لغيرأهله – بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الأديان الأخرى وتقوية روابطالأسر، ونشر روح الوئام بين الجماعات؛ ولذلك اختلطت الأنساب وتنوسيت،ولكن الشائع في البلاد الإسلامية هو الأصل العربي، سواء كان الشخص مسلما أوغير مسلم. فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة،فطورا يسمونها الإسلامية وطورا يسمونها العربية.تلك حقيقة، وذلك واقع، ولم يخف عن الغرب، وليس في حاجة إلى دليلوليس من المستطاع انتزاع تلك العواطف من أفئدة الناس، وليس من الممكناستئصالها بحملة عسكرية، أو إنشاء محكمة تفتيش أندلسية جديدة لمحاربة آراءالناس ولغاتهم وضمائرهم وعلاقاتهم.فالمسألة كلها فكرية وعلمية، ومحاربتها يجب أن تكون على أسلوب نشأتها،ثقافة وغزوة فكر.من أجل هذا نشأ الاستشراق في بلاد الغرب، وأخذ جماعة من الغربيينيعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكارا وحفظا وتحقيقا وتغلغلافي البحث.هذا هو منبع المستشرقين، وهذا هو مصدرهم، وتلك هي الغاية التي يعملونلها.والباحث في هذه الموضوعات لا يعدم موضوعا جديدا علميا، ولا يعدم كتاباقيما مدونا، يعيد نشره، ويحيي ذكره؛ ليصبغ نفسه بصبغة العالم البريء، ومنهااصطبغ اسم المستشرقين بصبغة علمية.غير أن النواحي الأخرى التي عكفوا عليها وهي غزوة الفكر الشرقي فيقوميته ولغته ودينه كانت واضحة جلية في أعمالهم؛ لأنها الهدف الأول والغايةالقصوى.والمستشرقون هم من أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات، وطلبتهم من أبناءوطنهم، وهؤلاء الطلبة يعدون أنفسهم للعمل في المستعمرات في الشرق، وكانلابد من المحافظة على قومية هؤلاء الطلبة. ولابد للعناية بتربيتهم أن لا يكونوا أداةعطف على الشرق أو مصدرا لإذاعة محاسن الإسلام، ولإدراك ذلك لابد منتصوير الشرق بصورة بشعة قبيحة في أخلاقه وعاداته وآرائه، ولابد من تصويرالإسلام في صورة منفرة، وأن يكون هؤلاء الطلبة حربا على الشرق والإسلام.كما لابد من أن يقوم هؤلاء المستشرقون بدورهم في تغذية جمهور أممهم بمثل تلكالتعاليم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة. ويصمون الإسلام بكلالمخازى التي هو منها براء.ولذلك أصبحت الهوة بعيدة بين عواطف الغربيين والشرقيين، وأصبح التفاهمأبعد منالا مما يجب.وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية، وكأنه من هذا التجريح والتشنيع شعربضعفه أمام الغرب،

وألقى فريق من ضعفاء النفس سلاحهم، فاعتقد الشرقيونأنفسهم أن عاداتهم وأخلاقهم وقوميتهم وشعوبهم في مستوى أدبي وعقلي أقل منالمستوى الأوربي، وأصبح الشرقيون لا يثقون بأنفسهم في التفكير ولا في العملالحر ولا في إدارة الأعمال، وأصبحت تراهم إذا قرؤا في الجرائد أي جريمة عاديةأو خبرا صغيرا ثاروا وقالوا إن ذلك مستحيل حدوثه في الغرب؛ ولذلك أخذوايقلدون الغربيين في كل شيء؛ في المعنويات وفي الماديات.أما في المعنويات فقد شاهدنا اختلاط الألسن في الأسر والبيوت، ونبذ اللغةالقومية في الطبقات المتفرنجة، وكذلك في الزي النسائي، واستحالت الأخلاق،وضاعت تلك المودة القويمة وصلة القربى، وأصبح الشخص ينظر إلى أسرتهالمصرية الصميمة من أعلى إلى أسفل، يحاول خدع نفسه بأنه غربي، وأنهمشرقيون، ورأينا تيارا جارفا من الأدب الغربي يكتسح التفكير الشرقي والقوميةالشرقية، انتشرت القصة المعربة، وهي قصص لا تخرج عن معاني الحب الساقط،وألفاظ الخنا، وخيانة الزوجة، وتهوس الشباب، وسقوط المرأة التي يقابلالزوج زلتها بالعفو والصفح والغفران.كان هذا من أثر الدعاية أن العربية ينقصها أدب القصة، فملأ المعربون هذاالفراغ بقصص لا تلتئم والشرق الشرقي، ولا الغيرة الإسلامية، ولا الآداب القومية،ثم هجم جماعة المبشرين على معاقل الإسلام، مزودين **بالمال والعلم** والرجال،فأصبحنا نرى المخازي والإغراء والقبائح ترتكب باسم الأديان، وأصبحت الأسرةالإسلامية يقتنص بعض أفرادها بالمال، أو بالإغراء، أو الاستهواء، أو التنويمالمغناطيسي باسم الدين. وترى ذلك متجليا في دور التعليم الأجنبية، وفيالمستشفيات الأجنبية التي تحمل على بابها بالخط العريض أنها بيئة ووكر للمبشرينفي ثوب علمي شفاف. طرق لا يقرها عقل أو ذمة أو ضمير أو وجدان.أضف إلى ذلك أن كل بلد شرقي استعمر كان لابد له من طلائع تجوس الديار،وتستكشف الآثار، وتكتب التقارير.وكان لابد لهذا الجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد، وأن يصطنعالبحث العلمي.وفي حالة دخول الجيش الفاتح لابد لقيام صلة بين الأهالي والجيش المهاجم،والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء كلهم من المستشرقين.أما في حالة السلم فلابد من وضع سياسة لمعاجلة هدم الإسلام وتفريق كلمةأهله، وإعداد النفوس لقبول التغييرات التي تدخلهم تحت النير.هذه مسائل علمية محضة، ويقوم بها المستشرقون.فلتغيير الدين يجب أن يقال إن الإسلام دين مخترع ملفق، ولهذا الرأي شيعةمن المستشرقين، وللسخرية من الإسلام يجب مهاجمة شخصية النبي الكريم ولهذاأيضا شيعة من المستشرقين، ولتفكيك روابط العرب يجب أن يفهم الناس أنالعربية الفصحى لا تصلح لشيء، وأنها لغة قديمة، وأن اللغات الدارجة أنفع منها.ولتفكيك روابط القومية والهيئة الاجتماعية الشرقية يجب أن يعتزي كل شعبإلى أصله؛ لأن العرب لم يكن لهم فضل في ثقافة أو تاريخ.ولإضعاف الروح القومية وقتل الاعتماد على النفس يجب أن يفهم الشرقي أنهغير مؤتمن الجانب، وأن الاختلاس غريزة فيه، وأن الشرف بعيد عنه، وأنبلاده وتربيته لا تصلح إلا للزراعة، وأن عقله غير مكون تكوينا تجاريا، وهذا كلهليحتكروا التجارة والصناعة ويتركوا للبلاد المستعمرة العمل الزراعي الشاق الذي لايدر إلا الخير القليل.* * *كل موضوع من الموضوعات التي ذكرناها تخصص لها فريق منالمستشرقين، وقد أصبحنا نعرف وجهة تخصص كل واحد منهم، ويمكننا أن نعدأسماء المخصصين لكل موضوع من هذه الموضوعات كما سيمر بك في هذا الكتاب،وكل هذه الموضوعات ذات مرمى سيئ، وليست من الحقائق العلمية في شيء؛ولذلك فإن هؤلاء الناس قد ألبسوا موضوعاتهم الثياب العلمية، غير أنه لم يتعرضلهم أحد بنقدها وإظهار ما فيها من غش وخداع وتلبيس، حتى إن كثيرا من القراءقد خدعوا بها ودخلت الحيلة

عليهم.ولذلك يجب تحرير الفكر الشرقي من تلك الغزوة التي طال أمدها وسئمناتكرارها، ويجب أن نبرهن لهؤلاء الناس أنهم خادعون، وأن الأخلاق الغربية لمتبلغ إلى الآن المستوى الشرقي، وأن الزخرف البراق من المعاملة والطلاءالخارجي للمعاملات العادية لا يغير الواقع، فالبلاد الغربية كالبلاد الشرقية فيها أحطالأخلاق وأشنع الجرائم من كل نوع.وليس الفكر الشرقي بأقل في مستواه من الغربي، وإنما في استقلال المواهبنتيجة التربية الاستقلالية التي امتاز بها الغرب، ونتيجة لازمة للحرية الشخصيةوالمساعدة الحكومية التي حرمتها الشعوب الشرقية، إلا أن أول دعامة في تحريرالفكر الشرقي أن يعرف أسرار استعباده فيقف دونها حائلا، ويطلع على الصوابفيستزيد من مناهله، ولا يقبل التغرير، وأن يواجه هؤلاء المستشرقين بحقيقتهمويعلم أن بضاعتهم مغشوشة ولأغراض غير بريئة، وهي بضاعة زائفة صنعت فيمعامل التغرير؛ ولذلك عمدنا إلى الرد على بعض المستشرقين في هذا الكتاب،وجعلنا الرد في أسلوب علمي ليعرف القارئ الحقيقة.والذي دعانا إلى وضع هذا الكتاب هو تلك الحادثة المشهورة التي اضطربلها عقلاء المصريين، فإنه لما صدر المرسوم الملكي بتأليف المجمع اللغوي الملكيبالقاهرة، ووجدنا اسم فنسك من ضمن أعضائه نشرنا شيئا من مباحثه، ورددناعليه، وانبنى على ذلك خروجه أو إخراجه من المجمع اللغوي وحلول غيره مكانه،وبذلك انفضح جانب عظيم من أعمال المستشرقين وحقيقتهم مما سيتجلى عندقراءة هذا الموضوع في الصفحات المقبلة.أضف إلى ذلك أن هذا المبحث الذي خرج من أجله فنسنك كان بعض الناسسرقه ونسبه لنفسه في كتاب ادعى أنه بحث في الشعر الجاهلي، وبذلك اتضحتآفة أخرى من آفات المستشرقين هي أن بعض الناس من المسلمين يجاورنهم فيتفكيرهم ويقتبسون آراءهم بغير نسبتها إليهم؛ ليقال إنهم من العباقرة.وفوق ذلك فقد عثرنا على بعض سفسطة المستشرقين من أن محمدا كان علىعلم بالأديان السابقة، وأنه اتصل في سياحته للشام بأهل العلم مما دعاه إلى وضعقرآنه، وتلك الفرية قد اتخذت سبيلها في التفكير الشرقي ورددنا على ذلك في حينهكما سنزيده شرحا في الفصول القادمة.والخلاصة: أننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الاستعمار، ومصدر تغذيةالمبشرين، وأدوات إذلال الشعوب الشرقية وتفريقها، وتشتيتها، ونثبت أن هذا كلهمن المستشرقين.ولا ندعي أننا ندافع عن الإسلام بهذا الكتيب فنحن أهون أن تكون لنا هذهالمنزلة الرفيعة؛ ولكننا نريد أن نهتك سترهم، ونظهر حقيقتهم دفاعا عن قوميتنا،وعقولنا، وقديما قال عبد المطلب: (أما الجمال فسأدافع عنها، وأما البيت فله ربيحميه) .((يتبع بمقال تال))______________(١) مواقف حاسمة الفصل الأول لعنان.(٢) فتوحات الإسكندر ونابليون استغرقت زمنا يسيرا، ولكنها ماتت بموت أبطالها.." (١)

"بعض، بل يزيد الأنس بكثرتهم، إلا أنه إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا.والفرق بين **العلم والمال**، أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن يد أخرى، والعلم مستقر في قلب العلم، ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه، ولا نهاية له، فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكه، وصار ذلك عنده ألذ من كل نعيم، لأنه لم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق، لأن غيره لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته، فقد عرفت أنه لا حسد إلا في المتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل.ولهذا لا ترى الناس يتزاحمون على النظر إلى

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٢٥٣/٣٥

زينة السماء، لأنها واسعة الأقطار، وافيه بجميع الأبصار، فعليك إن كنت شفيقا على نفسك أن تطلب نعيما لا زحمة فيه، ولذة لا تتكدر، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله تعالى وعجائب ملكوته، ولا ينال ذلك في المعرفة أيضا، فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله سبحانه، ولم تجد لذتها، وضعفت فيها رغبتك، فلست برجل، إنما هذا شأن الرجال، لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقى من المحرومين.واعلم: أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا، بل ينتفع به، والنعمة لا تزول عن المحسود بحسدك، ولو لم تكن تؤمن بالبعث لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر من الحسد، لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع، فكيف وأنت تعلم ما فيه من العذاب في الآخرة.وبيان قولنا: أن المحسود لا ضرر عليه في الدين ولا في الدنيا، بل ينتفع بحسدك في الدين والدنيا، لأن ما قدره الله من نعمة لا بد أن تدوم إلى اجله الذي قدره، ولا ضرر عليه في الأبخرة، لأنه لا يأثم هو بذلك، بل ينتفع به، لأنه مظلوم من جهتك. لا سيما إذا أخرجت الحسد إلى القول والفعل.وأما منفعته في الدنيا، فهو من أهم أغراض الخلق غم الأعداء، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من الحسد.." (١)

"البصرى، والأحنف بن قيس، وكان من الفضلاء الصالحين، كثير العبادة، وكان ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع واحد من الفرقتين، ومات- رضى الله عنه- بالبصرة فى سنة إحدى «١» وخمسين من الهجرة، وقال «٢» خليفة بن خياط: مات فى سنة اثنتين «٣» وخمسين، وصلى عليه أبو برزة الأسلمى..وكان أولاده أشرافا فى البصرة بكثرة **المال والعلم** والولايات «٤» .. قال الحسن:لم يكن بالبصرة من الصحابة «٥» أفضل من عمران بن الحصين «٦» وأبى بكرة «٧» .. روى له جماعة «٨» . والحارث هو مولى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.وولد «٩» بكار هذا بالبصرة سنة ١٨٢ هـ. وتفقه على ابن يحيى بن مسلم، المعروف بهلال الرازى، أحد أصحاب أبي يوسف، وزفر بن الهذيل «١٠» ، وأخذ عنه علم الشروط أيضا «١١» .. وحدث بمصر عن أبى داود الطيالسى، ويزيد بن هارون «١٢» ، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وصفوان." (٢)

"رشيد عطية (١٢٩٨ - ٠٠٠ هـ) (١٨٨١ - ٠٠٠ م) رشيد عطية اللبناني.أديب، ناثر، شاعر، لغوي.ولد في سوق الغرب من أعمال لبنان، وهاجر إلى البرازيل.من آثاره: قواعد لغة الاعراب، الدليل إلى مرادفالعامي والدخيل، رواية تبرئة المتهم وهي تمثيلية شعرية.(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) توفيق ضعون: ذكرى الهجرة ٢٩٨ - ٣٠٣، فهرس دار الكتب المصرية ٢: ١٣ (م) الكتاب ١٠: ٨٢٠، ٨٢١، المنتقد ٢: ٢٨١ رشيد غازي (١٢٧٤ - ١٣٢٥ هـ) (١) (١٨٥٨ - ١٩٠٧ م) رشيد غازي بن احمد بن سليمان الصيرفي الدمشقي.عالم مشارك في بعض العلوم.ولد في رمضان، له من التصانيف: كشف النقاب عن أنواع الشراب، منتهى المنافع في أنواع الصنائع، والنجوم المشرقات في تدبير

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٨٩

(٢) مرشد الزوار الى قبور الابرار زين الدين ابن الموفق ٢١٦/١

المسكونات.(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) البغدادي: هدية العارفين ١: ٣٦٨، المكتبة البلدية: فهرس الرياضيات ٧٤، فهرس الطب ٥٠، البغدادي: ايضاح المكنون ٢: ٣٦٨، ٥٧٤، ٦٢٨ (م) المقتطف ٢١: ٧٠١، ٧٠٢____________(١) كان حيا سنة ١٣٢٥ هـ.رشيد الداحدح (١٢٢٨ - ١٣٠٦ هـ) (١٨١٣ - ١٨٨٩ م) رشيد بن غالب بن سلوم الدحداح اللبناني.أديب، لغوي، شاعر، مؤرخ.ولد في عرامون بكسروان لبنان، واتخذه الامير بشير الشهابي كاتبا لاسراره، ثم رحل إلى مرسيليا، وتوفي بشمال فرنسة في ٥ أيار.من آثاره طرب المسامع في الكلام الجامع من الاشعار والحكم، قمطرة طوامير وهي مقالات أدبية وفوائد لغوية، السيار المشرق في بوار المشرق وهو تاريخ كبير في عدة مجلدات، ترويح البال في **العلم والمال**، وديوان شعر.(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) يوسف الدبس: تاريخ سورية ٨: ٧٣٩ - ٧٤١، طرازي: تاريخ الصحافة ١: ١٠٠، ١٠١، شيخو: المخطوطات العربية ٩٨، زيدان: تاريخ اداب اللغة العربية ٤: ٢٦٣، ٢٦٤، سركيس: معجم المطبوعات ٨٦٧، ٨٦٨، شيخو: الآداب العربية ٢: ١٢٥، ١٢٦، الزركلي:الاعلام ٣: ٥٠، كنعان: الآداب العربية وتاريخها ٥٧٩، فهرس دار الكتب المصرية ٧: ١٦٦، عبود: رواد النهضة الحديثة ٨٢، ٨٣ ٧٦٩: Brockelmann: s , II." (١)

"آثارة: اورشليم أو فتح العرب بيت المقدس، مقبرة الرجال، ابن رشد وفلسفته، الدين **والعلم والمال** أو المدن الثلاث، ورواية السلطان صلاح الدين الايوبي.(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) نوفل: تراجم علماء طرابلس ٢٢٧ - ٢٣٠، احمد أبو الخضر منسى: فرح انطون شخاشيري: فرح انطون حياته وتأبينه ومختاراته، عباس العقاد: مطالعات في الكتب والحياة ٦١ - ٦٦،الزر كلي: الاعلام ٥: ٣٤١، ٣٤٢، سركيس: معجم المطبوعات ١٤٤٠، ١٤٤١، شيخو: المخطوطات العربية ١٦٠، مارون عبود: جدد وقدماء ١٧ - ٦٦، فرح انطون طبع مكتبة صادر ببيروت، المكتبة البلدية: فهرس الفلسفة ٣، فهرس المصنفات الاجتماعية ١٥، ٣٥، فهرس التيمورية ٤: ٤، مارون عبود: رواد النهضة الحديثة ٢٠٩ - ٢١٣، فهرس دار الكتب المصرية ٤: ٦، ٣٧، ٤٨، ١٣٤، ٧: ٢٥٠، ٢٧٥، ٣٣٧ ١٩٢: Brockelmann: s , III (م) مارون عبود: الحديث ٣١: ٦٠٥ - ٦١٠، الطليعة ٤: ٥١٥ - ٥٢٢، مارون عبود: الكتاب ٤: ١٧٣٧ - ١٧٤٧ جرجي نقولا باز: الكلية ببيروت ٩: ٢٤١، ٢٤٢، مجلة سركيس ٥: ٣٥٩، ١٢: ١٦٢، نقولا حداد: المقتطف ٦١: ٢٦١ - ٢٦٥، المقتطف ٦٢: ٦٠٢، ٦٤: ٢٢١، مناهل الادب العربي العدد ٢٩، المورد الصافي ٨: ٣٧٥، ٩: ٨٩، الهلال ٣١: ٦٥ - ٦٧، ٥٢٧، ٥٢٨ فرح الموره وي (..- ١٠٠٠ هـ)(..- ١٥٩٢ م) فرخ بن عبد المحسن الموره وي، الرومي، نزيل مكة.عالم مشارك في انواع من العلوم.توفي في حدود سنة ١٠٠٠ هـ.له خيار العقول من معيار المعقول في موضوعات العلوم.(ط) البغدادي: هدية العارفين ١: ٨١٧ فرحات إلياس (كان حيا قبل ١٣٠٢ هـ) (١٨٨٥ م) فرحات الياس البيروتي (١) .رياضي.من آثاره: الروض النرجسي في الحساب الهندسي طبع ببيروت سنة ١٨٨٥ م.(ط) فنديك: اكتفاء القنوع ٤٦٢، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٥٩٠ فردريك دياتاريشي (١٢٣٦ - ١٣٠٥ هـ) (١٨٢١ - ١٨٨٨ م) فردريك دياتاريشي.مستعرب الماني.ولد في برلين.من آثاره: معجم عربي الماني، شرح الفية ابن مالك في

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١٦٠/٤

النحو،ــــــــــــــــ(١) وفي هدية العارفين ١: ٨١٧، فرحان ابن الياس النبكي نزيل دمشق سنة ١٢٧٦ هـ له الروض النرجسي في الحساب." (١)

"من آثاره: نزول القرآن في شأن امير المؤمنين.(خ) آغا بزرك: اعلام الشيعة عن حسين علي محفوظ (ط) عباس قمي: فوائد الرضوية ٥٩٩محمد الشيرازي (٠٠٠ - ١١١٨ هـ) (٠٠٠ - ١٧٠٦ م) محمد مؤمن بن محمد قاسم بن ناصر الجزائري الاصل، الشيرازي، الشيعي.صوفي، اديب، شاعر.ولد بشيراز، ونشأ بها، وتوفي بالهند.من آثاره: مجانس الاخبار ومجالس الاخيار في سبع مجلدات، مقامات العارفين في شرح منازل السائرين، ديوان شعر، خزانة الخيال المشحونة من طرق المعاني والالفاظ الموزونة بأمثال اللآل في ثلاث مجلدات، وطيف الخيال في مفاخرة **العلم والمال** وشرحه.(خ) عن حسين علي محفوظ (ط) البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣١٠، عباس قمي: فوائد الرضوية ٥٩٩، ٦٠٠، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٣٢٢، ٣٤٧ ٤٢٨، ٢: ٤٢٩، ٥٢٦، العاملي: أعيان الشيعة ٤٦: ٢١٢ - ٢١٤ - Mingana: Catalogue of Arabic manus 570:) * (cripts 719 - 919 , Brockelmann: s , II." (٢)

"السائبة١ والوصيلة٢ والحام٣ والبحيرة٤ وأنكر الله تعالي ذلك عليهم، أمر المؤمنين بالأكل من الطيبات وهي كل ما أحله الله تعالي من اللحوم وغيرها. وأمرهم عز وجل بشكره علي نعمه التي أنعم بها عليهم من أنواع الطيبات من الرزق الحلال. فالشكر يكون بالاعتراف بالنعمة وحمد المنعم عليها وصرفها فيما أذن أن تصرف فيه، وذلك كنعمة **العلم والمال** والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به، وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته. وشكر نعمة البدن أن يسخر في عبادة الله، وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات، وأخيرا أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد إن الأمر بالأكل من الطيبات دال علي أن الأكل من المحرمات لا يجوز، والمحرمات قد بينها الله تعالي بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ وبقوله تعالي: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ وكالأكل الشرب، فالخمر محرمة بقول الله تعالي: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ أي من شرب الخمر، ومال الميسر والأنصاب والأزلام، ومن ذلك مال الربا قل أو كثر ولنستمع إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول محذرا أو معلما ومنبها: " يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا" وأن الله تعالي أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ . وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟؟ "أرأيت أيها القارئ والمستمع كيف يحرم آكل الحرام استجابة الدعاء، ومن لم يستجب الله دعاءه هلك ورب الكعبة. فالحذر الحذر أيها المؤمن من أكل الحرام وشربه ولباسه والاستمتاع به. واكتف بما احل الله تعالي لك عما حرم عليك فإنك عبده وتعبده فكيف يصح إذا أن تأكل ما حرم عليك وأنت عبده وعابده وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ . أما من لا يعبد الله تعالي فأكله الحرام وتركه سواء إذ ما بعد الكفر ذنب كما قيل،

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٦٠/٨

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٦٩/١٢

وهو كذلك.وسلام علي المرسلين، والحمد لله رب العالمين.______________١ السائبة: الناقة تسيب للآلهة فلا تركب ولا تؤكل.٢ الوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثي.٣ الحام: الجمل يحمي ظهره للآلهة فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يؤكل لحمه.٤ البحيرة: الناقة تبحر أذنها أي تشق وتترك للآلهة.." (١)

"فنون ومنها مشرق السعدين ومنها مجمع البحرين ومنها ثمر الفؤاد وسمر البعاد ومنها ثمرة الحياةوذخيرة الممات ومنها محاسن الأخبار ومجالس الأخيار في سبع مجلدات ومنها طيف الخيال فيمناظرة **العلم والمال** وله غير ذلك من المصنفات.وقد ذكر قصته في مجالس الأخيار مع بعض أصحابه ببلدة أورنك آباد قال: سرنا مع بعضالأصحاب من أولي الألباب منهم الأخ الأغر النجيب شمس الدين محمد القزويني الطبيب متفكهينمتضاحكين إلى بستان هي خيرة الجنان المشهورة بمقبرة إسلام خان في بلدة أورنك آباد من البلادالهندية، لا أضحت أرضها مخضرة ندية، فبينما تتنزه إذ بدر من بعض مطالعها غلام كأنه البدرومليح أسمر كأنه ليلة القدر فتتبع صاحبنا المذكور أثره كي يتزود من طلعته وينظره فلم يدركالشمس القمر فغاب ولم يذق من عين وجهه مشربة فآب وقد امتلأ من الخجل، فعند ذلك ساقني العجلإلى إنشاد أكرم بنظامه وما أوقع المقال في مقامه فقلت:كنا نسير وشمس الدين صاحبنا كالطل يتبع بدرا قد بدى وسريفغاب عنه ولم يدرك فقلت له الشمس لا ينبغي أن تدرك القمرافتضاحك الحضار واستظرفوه مدى التسيار، انتهى.الحكيم محمد مهدي الأردستانيالشيخ الفاضل محمد مهدي الأردستاني حكيم الملك كان من العلماء المبرزين في الصناعة، ولد ونشأبأرض إيران وقرأ العلم بها ثم قدم الهند وتقرب إلى عالمكير فجعل منصبه ألفا لنفسه ثم لقبه بحكيمالملك سنة ثلاث وسبعين وألف، وصار منصبه في آخر عمره أربعة آلاف، كما في مآثر الأمراءوفي مآثر عالمكيري: أن محمد أعظم بن عالمكير لما ابتلى بأمراض صعبة سنة أربع ومائة وألفعالجه حكيم الملك فبرىء محمد أعظم من تلك الأمراض فأعطاه عالمكير أربعة آلاف منصبا رفيعاسنة خمس ومائة وألف، انتهى.الشيخ محمد ناصر الإله آباديالشيخ الفاضل محمد ناصر بن محمد يحيى بن أمين العباسي الإله آبادي، كان من فحول العلماء، ولدبمدينة إله آباد سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وقرأ العلم على صنوه الكبير محمد طاهر بن محمديحيى العباسي وعلى والده وخاله كمال الدين بن محمد أفضل الإله آبادي وأدرك في صباه جده محمدأفضل فبايعه ولذلك سمى نفسه على سنة شعراء الفرس الأفضلي نسبة إلى جده المذكور، وكانشاعرا مجيد الشعر، له ثلاثة دواوين ضخام في الشعر، ومن مصنفاته منتخب الأعمال والجواهرالنفيسة في أشغال القوم والأفكار العشرة وتذكرة الخلفاء وتفسير آيات الأحكام ورسالة في إثباتمذهب الحق وأنوار الحقائق وتنبيه الأعزة بما كان لي عند الشيخ من العزة.توفي يوم الأربعاء لتسع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين ومائة وألف بمدينة إله آباد، كمافي ذيل الوفيات.خواجه محمد ناصر الدهلويالشيخ الفقيه محمد ناصر الحسيني الدهلوي أحد المشايخ النقشبندية، يرجع نسبه إلى الشيخ بهاءالدين محمد نقشبند البخاري بعشر وسائط وإلى الإمام الحسن العسكري بأربع وعشرين واسطة، ولدونشأ بدار الملك دهلي واشتغل بالعلم من صغره ونال حظا منه ثم أخذ الطريقة عن الشيخ سعد اللهالدهلوي ثم عن الشيخ زبير بن أبي العلاء السرهندي ولازمهما زمانا حتى فتح الله سبحانه عليهأبواب العلم والمعرفة وجعله من العلماء الراسخين وأفاض عليه الطريقة الجديدة بواسطة الإمام حسنبن علي سبط الأكبر

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٢

رضي الله عنه فسماها الطريقة المحمدية الخالصة لخلوصها عن الرسومالمتعارفة في المشايخ ومصطلحاتهم ومخترعاتهم، قال ولده خواجه مير في علم الكتاب: إن والدياعتزل عن الناس مرة في حجرته فلم يخرج إليهم سبعة أيام ولم يتكلم ولم يطعم شيئا فظهر عليهروحانية السبط الأكبر الإمام حسن بن علي عليه وعلى أبيه وجده السلام فألقى عليه النسبة الجديدةولم يرض عليه." (١)

"ن وببركة اللام اللطافة وببركة الميم المحبة والهداية والمهابة ... فائدة: قال ابن عباس وخير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطاه الله تعالى المال والملك معه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب زيد بن حارثة ويقول هكذا أمرنا أن نعمل بعلمائنا فيأخذ زيد بيده فيقبلها ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت ... لطيفة: قال عيسى ابن مريم عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرا فحملت فظهر حملها فافتضحت كذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة ... حكاية: رأيت في روض الأفكار أن رجلا سافر سبعمائة فرسخ ليسأل عن سبع كلمات الأولى: ما أثقل من في السموات والأرض قال البهتان على البريء الثانية: ما أوسع من الأرض قال الحق الثالثة: ما أغنى من البحر قال القلب الغني بالقناعة الرابعة: ما أبرد من الثلج قال طلب الحاجة من الصديق إذا لم يقضها الخامسة: ما أحر من النار قال الحمد السادسة: ما أقسى من البحر قال الكافر السابعة:ما أذل من اليتيم قال النمام عند المقابلة ... فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم في أبدانهم وأطل في أعمارهم وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وملائكته وأهل سمواته وأهل أرضه والحوت في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير وقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل فضل المعلم على سائر الناس كفضل أبي بكر وعمر على سائر أمتي وكفضل جبريل على سائر الملائكة وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المعلمين العلم فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي قلنا ومن خلفائك قال الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي يعلمونها الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم من خاض يوم الجمعة في الحديث فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة وكأنما تصدق بألف دينار وكأنما حج أربعين حجة وهو في رضوان الله ومغفرته وعفوة وسئل رسول الله لأي شيء كانت قصة يوسف أحسن القصص قال لأن المتكلم بها سبحانه وتعالى أحسن القائلين والمخبر عنه أي يوسف أحسن الناس وجها قالت عائشة وهو أحسن أم أنت يا رسول الله فقال هو أحسن خلقا وأنا أحسن خلقا. فقالت لم تخبره به الناس فقال أوحي إلي وإنك لعلى خلق عظيم ... لطيفة: قال رجل لابن سيرين رأيت كان الحمام يأكل الياسمين فقال الحمام هو الموت والياسمين هم العلماء فمات ذلك اليوم عشرون عالما وقيل إن شم الياسمين يقوي وينفع من الصداع البارد والنزلات الباردة إذا دلك به الكلف قلعه وروى ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب أرسل أبو حنيفة رضي الله عنه يسأل عن رؤيا كأنه يحفر

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٨٤٠/٦

قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سيرين يكون أعلم الناس في زمانه وكان أبو حنيفة هو الرائي ... فائدة: قال الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى رأيت رب العزة في المنام تسعا وتسعين مرة فقلت إن رأيته تمام المائة لأسألنه عما ينجو به الخلائق يوم القيمة فرأيته فجلست بين يده فقلت أي رب عز سلطانك وعظم شأنك سألتك بك إلا ما علمتني ما ينجو به الخلائق يوم القيامة منك فقال يا أبا حنيفة من كان قائلا حين يأوى إلى فراشه وحين يقوم منه سبحانه الأبدي الأبد سبحان الواحد سبحان الفرد الصمد سبحان رافع السماء بغير عمد لم يلد ولم يكن له كفوا أحد في وتقدم في كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يستيقظ سبحانك لا إله إلا أنت اغفر لي انسلخ من ذنوبه كما تسلخ الحية من جلدها رواه الإمام أحمد. ما أذل من اليتيم قال النمام عند المقابلة ... فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم في أبدانهم وأطل في أعمارهم وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وملائكته وأهل سمواته وأهل أرضه والحوت في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير وقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل فضل المعلم على سائر الناس كفضل أبي بكر وعمر على سائر أمتي وكفضل جبريل على سائر الملائكة وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المعلمين العلم فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي قلنا ومن خلفائك قال الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي يعلمونها الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم من خاض يوم الجمعة في الحديث فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة وكأنما تصدق بألف دينار وكأنما حج أربعين حجة وهو في رضوان الله ومغفرته وعفوة وسئل رسول الله لأي شيء كانت قصة يوسف أحسن القصص قال لأن المتكلم بها سبحانه وتعالى أحسن القائلين والمخبر عنه أي يوسف أحسن الناس وجها قالت عائشة وهو أحسن أم أنت يا رسول الله فقال هو أحسن خلقا وأنا أحسن خلقا. فقالت لم تخبره به الناس فقال أوحي إلي وإنك لعلى خلق عظيم ... لطيفة: قال رجل لابن سيرين رأيت كان الحمام يأكل الياسمين فقال الحمام هو الموت والياسمين هم العلماء فمات ذلك اليوم عشرون عالما وقيل إن شم الياسمين يقوي وينفع من الصداع البارد والنزلات الباردة إذا دلك به الكلف قلعه وروى ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب أرسل أبو حنيفة رضي الله عنه يسأل عن رؤيا كأنه يحفر قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سيرين يكون أعلم الناس في زمانه وكان أبو حنيفة هو الرائي ... فائدة: قال الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله." (١)

"أوتي قارون من **المال والعلم** الظاهر الذي أدى إليه باتباعه قوله: ﴿وقال الذين﴾ وعظم الرغبة في العلم بالبناء للمفعول إشارة إلى أنه نافع بكل اعتبار وباعتبار الزهد، وبالتعبير عن أهل الزهد به فقال: ﴿أوتوا العلم﴾ أي من قومه، فشرفت أنفسهم عن إرادة الدنيا علما بفنائها، زجرا لمن تمنى مثل حاله، وشمرا إلى الآخرة لبقائها: ﴿ويلكم﴾ أي عجبا لكم، أو حل بكم الشر حلولا، وأصل ويل، «وي» قال الفراء: جيء بلام الجر بعدها مفتوحة ما المضمر نحو وي لك، ووي له،

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٢/٦٣

أي عجبا لك وله، ثم خلط اللام بوي لكثرة الاستعمال حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا بإتمامه ثلاثيا، فجاز أن يدخل بعدها لام أخرى في نحو ويلا لك، لصيرورة الأول لام الكلمة، ثم نقل إلى باب المبتدأ فقيل: ويل لك، وهو باق على ما كان عليه في حال النصب إذ الأصل في ويل لك: هلكت ويلا، أي هلاكا فرفعوه بعد حذف الفعل نفضا لغبار الحدوث، وقيل: أصل ويل الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك - وأصله الدعاء على الرجل - في الحث على الفعل، فكأنهم قالوا: ما لنا يحل بنا الويل؟ فأخبروهم بما ينبغي معرضين." (١)

"ولما كان لفرعون ومن ذكر معه من العتو بمكان لا يخفى، لما أتوا من القوة بالأموال والرجال قال: ﴿وقارون﴾ أي أهلكناه وقومه لأن وقوعه في أسباب الهلاك أعجب، لكونه من بني إسرائيل، ولأنه ابتلى **بالمال والعلم**، فكان ذلك سبب إعجابه، فتكبر على موسى وهاورن عليهما السلام فكان ذلك سبب هلاكه ﴿وفرعون وهامان﴾ وزيره الذي أوقد له على الطين، فلا هو نجا ولا كان رأسا في الكفر، بل با ع سعادته بكونه ذنبا لغيره.

ولما كان هلاكهم مع رؤية الآيات أعجب، فكان جديرا بالإنكار، إشارة إلى أن رؤية الآيات جديرة بأن يلزم عنها الإيمان قال:." (٢)

١-"المدعي يثبت بذكر القسم تارة وأخرى بلفظ القسم انتهى والأظهر أن يقال التقدير فأما قولي الذي أقسم فيه على الخصال الثلاث وأؤكده فإنه إلى آخره وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فقال إنما الدنيا هو تفسير وبيان بل قال جملة معترضة للتأكيد والتقدير فإنما الدنيا ويؤيده أنه ليس في الجامع لفظ فقال بل فيه إنما الدنيا لأربعة نفر أي كل واحد عبارة عن جمع وصنف عبد بالجر ويرفع رزقه الله مالا وعلما فيه إيماء إلى أن العلم رزق أيضا وأن الله تعالى هو الذي يرزق **العلم والمال** وبتوفيقه وفتحه يفتح باب الكمال وقد ورد في حديث إن علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون البقرة ثم فيه اشعار بأن المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال فهو يتقي فيه أي في المال ربه بأن لا يصرف ماله في معصية خالقه ويصل رحمه أي بالمواساة إلى أقاربه ويعمل لله فيه أي في العلم بحقه أي قياما بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده ففيه لف ونشر مرتب ويؤيده لفظ الجامع ويعلم الله فيه حقا ويمكن رجوع كل من الضميرين إلى كل من **المال والعلم** وأفرده باعتبار ما ذكر وقال ابن الملك أي بحق المال والمعنى يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة وإطعام الضيف ويجوز كون المضير لله أي بحق الله". (٣)

"يعطي عطاء من لا يخاف الفقر؛ ولأنه - صلى الله عليه وسلم - بث كل علم من العلوم للعباد.(وأجودهم من بعدي رجل علم علما) من علوم السنة والكتاب. (فنشر علمه) أي بثه إلى العباد بحسن التعليم. (يبعث يوم القيامة أمة واحدة) في الفردوس: أن الأمة هنا الرجل الواحد المعلم للخير المنفرد به. (ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى يقتل) أو

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٥٧/١٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٣٨/١٤

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٩٦/١٥

ينتصر قال ابن رجب (١): دل هذا على أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أجود الآدميين على الإطلاق كما أنه أعلمهم وأشجعهم وأفضلهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل **العلم والمال** وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم. (ع) (٢) عن أنس قال المنذري: ضعيف، وقال المنذري وغيره: فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك الحديث، وأخرجه ابن حبان بقريب من لفظه عن أنس أيضا ثم قال: منكر باطل، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.٢٨٤٦ - "ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". ابن أبي الدنيا في الفرج (ك) عن أبي سعيد (صح).(ألا أخبركم بشيء) أي بدعاء نافع. (إذا نزل برجل كرب) أي مشقة وجهد والكرب الغم يأخذ بالنفس. (أو بلاء) بالفتح والمد أي محنة. (من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه) قال الأزهري وغيره فرج الله الغم: أي كشفه وكأنهم قالوا: بلى، قال: (دعاء ذي النون) أي صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام. (لا إله إلا_____________(١) انظر: لطائف المعارف (ص ١٨٣).(٢) أخرجه أبو يعلى (٢٧٩٠)، والديلمي في الفردوس (٤٥٣)، وانظر الترغيب والترهيب (١/ ٦٨)، وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٠١)، وانظر الموضوعات (٣/ ١٢٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢١٦١).." [1]

"هانئ) سكت عليه المصنف وفيه إسماعيل بن عبد الملك قال الذهبي (١): قال النسائي غير قوي.٥٧٠٢ - "**العلم والمال** يستران كل عيب، والجهل والفقر يكشفان كل عيب". (فر) عن ابن عباس".(**العلم والمال** يستران) أي كل واحد ستر. (كل عيب) يعاب به من اتصف بواحد منهما؛ لأنه بجمال العلم تنظره الأعين فلا يرى عيب خلقته أو عيب صفاته التي لا تنقصه في دينه، وكذلك صاحب المال يستره غناه عن عيوبه عند الناس فلا يرون له عيبا، ويحتمل أن المراد إذا اجتمع **العلم والمال** في شخص سترا عيوبه فالغنا يستر عيوبه عند العامة والعلم يستر عيوبه عند الخاصة، كما قيل: فقيمة المرء علمه عند ذي العلم وما في يديه عند الرعاع فإذا ما جزيت هذا وهذا كنت عين الوجود بالإجماع، ويحتمل أن المراد ستر عيوب الذنوب في الآخرة وأن جزاء العلم مع العمل ستر كل ذنب أتاه صاحبه فإنه لا يخلو أحد عن ذنب ولو بالغ في العمل سيما من عظمت نعمة الله عليه فإن سيئاته حسنات من دونه ويجري في المال ويراد به المال مع الإنفاق في وجوه الخير. (والجهل والفقر يكشفان كل عيب) يجري فيهما الاحتمالان يكشف كل واحد منهما أو هما إذا اجتمعا والمراد أنه لا يغتفر لهما عيب؛ لأنه لا فضيلة بستر عيوبهما ويحتمل أنه يكشف حالهما في الآخرة بإظهار ما ارتكباه بالجهل والفقر من المعاصي فإنه ما عصى الله بأعظم من الجهل وكاد الفقر أن يكون كفرا. (فر (٢) عن ابن عباس) سكت المصنف عليه وفي رجاله من هو متكلم فيه._____________= والضعيفة (٣٩٤٦): موضوع.(١) انظر: المغني (١/ ٨٤).(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٢٠٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٨٨١).." [2]

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٥٩/٤

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٠٤/٧

"بسبب من الأسباب (ابن أبي الدنيا في) كتاب (ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف) // (بإسناد فيه غرابة وضعف) //ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة) تصدق بها منه بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي (ولا ظلم عبد) بالبناء للمفعول (مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزا) في الدنيا والآخرة (ولا فتح عبد) على نفسه (باب مسألة) أي سؤال للناس (إلا فتح الله عليه باب فقر) من حيث لا يحتسب (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) عني لعل الله تعالى أن ينفعكم به (إنما الدنيا لأربعة نفر) أي إنما حال أهلها حال أربعة الأول (عبد رزقه الله مالا) من جهة حل (وعلما) شرعيا نافعا (فهو يتقي فيه) أي في الانفاق من المال والعلم (ربه ويصل فيه) أي في كل منهما (رحمه) بالصلة من المال وبالاسعاف بجاه العلم (ويعمل لله فيه حقا) من وقف واقراء وافتاء وتدريس (فهذا) الانسان القائم بذلك (بأفضل المنازل) أي الدرجات عند الله تعالى (و) الثاني (عبد رزقه الله علما) شرعيا نافعا (ولم يرزقه مالا) ينفق منه في وجوه القرب (فهو صادق النية يقول) فيما بينه وبين الله (لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان) أي الذي له مال ينفق منه في البر (فهو بينته أى يؤجر على حسبها (فأجر على حسبها (فأجرهما سواء) أى فأجر عقد عزمه على أنه لو كان له مال أنفق منه في الخير وأجر من له مال ينفق منه سواء ويكون أجر العلم زيادة له (و) الثالث (عبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما) شرعيا نافعا يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه) أي لا يخافه فيه بأن لم يخرج الزكاة (ولا يصل فيه رحمه) أي قرابته (ولا يعمل لله فيه حقا) من اطعام جائع وكسوة عار وفك أسير ونحوها (فهذا) العامل على ذلك (بأخبث المنازل) عند الله تعالى أي أخسها وأحقرها (و) الرابع (عبد لم يرزقه الله مالا ولا علما) ينتفع به (فهو يقول) بنية صادقة (لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان) فمن أوتي مالا فعمل فيه صالحا (فهو بنيته) أي فيؤجر عليها (فوزنهما سواء) فهما بمنزلة واحدة في الآخرة لا يفضل أحدهما على الآخر من هذه الجهة (حم ت عن أبي كبشة) واسمه سعيد بن عمرو أو عمرو بن سعيد (الأنماري) بفتح الهمزة وسكون النون وآخره راء نسبة إلى أنمار(ثلاث جدهن جد) بكسر الجيم فيهما ضد الهزل (وهزلهن جد) فمن فعل شيئا منهن هازلا أي لاعبا لزمه وترتب عليه أثره (النكاح) فمن زوج بنته هازلا نفذ وإن لم يقصده عند الثلاثة دون مالك (والطلاق) فيقع طلاقه إجماعا (والرجعة) وخص الثلاثة لتأكد أمر الفروج وإلا فكل تصرف ينعقد بالهزل على الأصح عند الشافعية (د ت ه عن أبي هريرة) قال ت // (حسن غريب ونوزع) //(ثلاث حق على الله تعالى أن لا يرد لهم) أي لكل منهم (دعوة) دعا بها مع توفر الأركان والشروط (دعوة الصائم) أي دعوة الانسان في حال تلبسه بالصوم الكامل (حتى) قال في الاذكار هكذا الرواية بمثناة فوقية أي فحين تصحيف (يفطر) بالفعل ويحتمل حتى يدخل أوان إفطاره (والمظلوم حتى ينتصر) أي ينتقم من ظالمه لأنه مضطر ملهوف (والمسافر) أي سفرا في غير معصية (حتى يرجع) إلى وطنه لأنه مستوفز مضطرب فهو كثير الانابة إلى الله تعالى فلا يرده (البزار عن أبي هريرة) وفي // (إسناده مجهول وبقيته ثقات) //(ثلاث دعوات) بفتح العين (مستجابات) عند الله تعالى إذا توفرت شروطها وأركانها (دعوة الصائم) ولو نفلا حتى يفطر ومراده كامل الصوم (ودعوة المسافر) سفرا جائزا حتى يصدر (ودعوة المظلوم) على من ظلمه حتى ينتصر (عق هب - - هوامش قوله ويعمل

كذا بخطه والذي في نسخ المتن المعتمدة ويعلم من العلم اه من هامشقوله دعوة الصائم كذا في نسخ الشرحين والذي في نسخ المتن المعتمدة الصائم باسقاط لفظ دعوة اه." (١)

"(العلم خير من العمل) لأن العلم وظيفة القلب وهو أشرف الأعضاء والعمل وظيفة الجوارح الظاهرة (وملاك الدين الورع والعالم من يعمل) ومن لا يعمل فهو والجاهل سواء بل الجاهل خير منه (أبو الشيخ عن عبادة) بن الصامت(العلم دين والصلاة دين فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلوات) فلا تأخذوا إلا عمن يوثق به ولا تصلوا إلا صلاة مستجمعة الأركان والشروط والآداب (فإنكم تسئلون يوم القيامة) عن العلم والصلاة (فر عن ابن عمرالعلم علمان فعلم) ثابت (في القلب) وهو ما أورث الخشية (فذلك) هو (العلم النافع) لصاحبه (وعلم على اللسان) ولا قرار له لأنه شرارة من شرر الإيمان (فذلك حجة الله على ابن آدم) وهذا لا ينصرف إليه اسم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء (ش والحكيم) الترمذي (عن الحسن) البصري (مرسلا) // وإسناده صحيح // (خط عنه عن جابر) // وإسناده حسن //(العلم في قريش والأمانة في الأنصار) الأوس والخزرج والمراد الأمانة المالية والعلمية والمراد أنهما فيهما أكثر لا أن غيرهما لا علم ولا أمانة عنده أصلا (طب عن) عبد الله بن الحرث (ابن جزء) الزبيدي // بإسناد حسن //(العلم ميراثي وميراث الأنبياء قبلي) فجميع الأنبياء لم يورثوا شيأ من الدنيا إنما ورثوا العلم فالنبي لا يورث وما ترك فهو صدقة (فر عن أم هانئ) // بإسناد ضعيف //(العلم والمال يستران كل عيب والجهل والفقر يكشفان كل عيب) أراد به العلم النافع الذي يصحبه العمل والمال وإن ستر العيب لكن لا نسبة بينه وبين ستر العلم بل ذاك أتم وأكمل (فر عن ابن عباس) // بإسناد حسن //(العلم لا يحل منعه) أي عن مستحقه فمن منعه عنه ألجم يوم القيامة بلجام من نار (فر عن أنس) // بإسناد ضعيف //(العم والد) أي نازل منزلته في وجوب الاحترام لتفرعهما عن أصل واحد فلا ينبغي عقوقه (ص عن عبد الله الوراق مرسلاالعمائم تيجان العرب) أي هي لهم بمنزلة التيجان للملوك لأنهم أكثر ما يكونون بالبوادي رؤسهم مكشوفة والعمائم فيهم قليل وهذا قطعة من الحديث وتمامه عند مخرجه القضاعي والاحتباء حيطانها وجلوس المؤمن في المسجد رباطه (القضاعي فر عن علي) // وإسناده ضعيف //(العمائم تيجان العرب) أي هي لهم قائمة مقام التيجان (فإذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم) لفظ رواية الديلمي وضع الله عزهم (فر عن أنس) // وإسناده ضعيف // (العمامة على القلنسوة) أي لفها عليها (فصل ما بيننا وبين المشركين) أي هي العلامة المميزة بيننا وبينهم (يعطى) صاحب العمامة (يوم القيامة بكل كورة يدورها على رأسه نورا) حيث اتقى الله في الدنيا (الباردوي عن ركانةالعمد قودوا والخطا دية) أي في القتل عمدا القود وفي القتل خطأ دية (طب عن عمرو بن حزم) // بإسناد حسن //(العمري) اسم من أعمرتك الشيء أي جعلته لك مدة عمرك (جائزة) أي صحيحة ماضية لمن أعمر له ولورثته من بعده وقيل عطية (لأهلها) أي يملكها الآخذ ملكا تاما بالقبض ولا ترجع للأول عند الشافعي وأبو حنيفة وجعلها مالك إباحة منافع (حم ق د ن عن جابر) بن عبد الله (حم ق د ن عن أبي هريرة حم د ت عن سمرة)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٤٦٧/١

بن جندب (ن عن زيد بن ثابت وابن عباس(العمري) بضم فسكون (ميراث لأهلها) هذا كما ترى نص صريح فيما ذهب إليه الإمام الشافعي وأبو حنيفة من عدم رجوعها للمعمر وعقبه مطلقا لأنه إنما وهب الرقبة وحمله المالكية." (١)

"أسرع امتثالا والا فحكم الله المطرد في عدله انه لا يعاقب على الارادة (حم هـ ت ك عن سعد) بن أبي وقاص واسناده جيد(من يسر على معسر) مسلم أو غيره بابراء أو هبة أو صدقة أو نظرة الى ميسرة (يسر الله عليه) مطالبه وأموره (في الدنيا) بتوسيع رزقه وحفظه من الشدائد (والآخرة) بتسهيل الحساب والعفو عن العقاب (هـ عن أبي هريرةمن يضمن من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية (لي ما بين لحييه) العظمان بجانبي الفم وأراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق (وما بين رجليه) أي الفرج (أضمن له الجنة) أي دخله اياها بغير عذاب وهذا تحذير من شهوة البطن والفرج وانها مهلكة وعملها يؤثر في القلب ما يؤثره جميع أعمال الجوارح واللسان أخص لانه يؤدى عن القلب ما فيه من الصور فيقتضى كل كلمة صورة في القلب مخالفة لها فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه القلب واذا كان في شئ من الفضول اسود به وجه القلب وأظلم حتى تنتهي كثرة الكلام الى امانة القلب ولذلك قدمه المصطفى في الذكر اهتماما به (خ عن سهل بن سعد) الساعدي(من يعمل سوأ) شمل البر والفاجر والولي والعدو والمؤمن والكافر (يجز به في الدنيا) زاد في رواية الحكيم أو الآخرة أخبر بأن جزاءه اما في الدنيا أو الاخرة ولا يجمع فيهما لكن الكافر يجمع عليه فيهما (ك عن أبي بكر) الصديق(من يكن في حاجة أخيه) أي في قضاء حاجة أخيه في الدين (يكن الله في حاجته) الحاجة اسم لما يفتقر اليه الانسان ومعناه على ظاهره ظاهر (ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن جابر) بن عبد الله واسناده حسن(منى مناخ من سبق) فلا يجوز البناء فيها لاحد لئلا يضيق على الحاج وهي غير مختصة باحد بل موضع للنسك ومثلها عرفة ومزدلفة (ت هـ ك عن عائشة) قلت يا رسول الله الا نبني لك بناء بمنى يظلك فذكره واسناده صحيح(مناولة المسكين) أي اعطاؤه الصدقة (تقى ميتة) بكسر الميم (السوء) أي الموت مع قنوط من رحمة الله أو بنحو سرق أو غرق أو لدغ بين به ان أفضل كيفيات الصدقة المناولة لانه يصير بالمناولة في قرب الله ومن وقع في قربه كان له مأمنا وذمة فكان في ذمته ويوقى مصارع السوء (طب هب والضياء عن الحرث بن النعمان) قال الهيثمي فيه من لم أعرفه (منبرى هذا على ترعة) في الاصل الروضة على مرتفع فان كانت في مطمئن فهي روضة (من ترع الجنة) أي موضع يعينه في الآخرة أو المراد أن التعبد عنده يورث الجنة فكأنه قطعة منها (حم عن أبي هريرة) باسناد صحيح(منعني ربي ان أظلم معاهدا ولا غيره) كمستأمن وذمي وهذا ليس من خصائصه فيحرم على امته (ك عن علي) أمير المؤمنين(منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا) أي من حيث ما هو محب في تحصيل كل واحد منهما فما للعلم غاية ينتهى اليها ولا للمال غاية ينتهى اليها فلهذا لا يشبع قال بعضهم ما استكثر أحد من شئ الا مله وثقل عليه الا **العلم والمال** فانه كلما زاد كان اشهى له (عد عن أنس) ثم قال منكر (البزار عن أنس) وفيه ليث بن أبي سليم(موالينا منا) في الاحترام والاكرام لاتصالهم بنا فليس المراد أنه تحرم عليهم الزكاة وفيه أنه ينسب الى القبيلة مولاهم سواء كان مولى عتاقة وهو الاكثر أو مولى حلف او مناصرة أملى اسلام بان اسلم

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١٥٧/٢

على يده في تهذيب الاسماء (طس عن ابن عمر) واسناده ضعيف ورواه عنه الطبراني باسناد حسن(موت الغريب شهادة) أي في حكم الآخرة (هـ عن ابن." (١)

"٤١٩٩ – ابن عمرالعلم شجرة أصلها بمكة وفرعها بالمدينة وأغصانها بالعراق وثمرها بخراسان وورقها بالشام٤٢٠٠ – ابن عباس**العلم والمال** يستران كل عيب والفقر والجهل يكشفان كل عيبفصل٤٢٠١ – أنس بن مالكالعالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء وإذا أراد بعلمه أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء." (٢)

"الكوفي صدوق يخطىء ورمي بالرفض من السادسة (عن سعيد الطائي أبي البختري) بفتح الموحدة والمثناة بينهما معجمة بن فيروز بن أبي عمران الطائي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فيه تشيع قليل كثير الإرسال من الثالثةقوله (يقول ثلاث) أي من الخصال (أقسم عليهن) أي أحلف عليهن (وأحدثكم) عطف على قوله ثلاث بحسب المعنى فكأنه قال أخبركم بثلاث أؤكدهن بالقسم عليهن وأحدثكم (حديثا) أي تحديثا عظيما أو بحديث آخر (فاحفظوه) أي الأخير أو المجموع (ما نقص مال عبد من صدقة) تصدق بها منه بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي (ولا ظلم عبد) بصيغة المجهول (مظلمة) بفتح الميم وكسر اللام مصدر (صبر) أي العبد (عليها) أي على تلك المظلمة ولو كان متضمنا لنوع من المذلة (إلا زاده الله عزا) في الدنيا والآخرة (ولا فتح) أي على نفسه (باب مسألة) أي سؤال للناس (إلا فتح الله عليه باب فقر) أي باب احتياج آخر وهلم جرا أو بأن سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) عني لعل الله تعالى أن ينفعكم به (إنما الدنيا لأربعة نفر) أي إنما حال أهلها حال أربعة الأول (عبد) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل مما قبله (رزقه الله مالا) من جهة حل (وعلما) أي شرعيا نافعا (فهو يتقي ربه فيه) أي في الإنفاق من **المال والعلم** (ويصل به) أي بكل منها (رحمه) أي بالصلة من المال وبالإسعاف بجاه العلم (ويعلم لله فيه حقا) من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس (فهذا) أي العبد الموصوف بما ذكر (بأفضل المنازل) أي بأفضل الدرجات عند الله تعالى (وعبد رزقه الله علما) أي شرعيا نافعا (ولم يرزقه مالا) ينفق منه في وجوه القرب (يقول) فيما بينه وبين الله (بعمل فلان) أي الذي له مال ينفق منه في البر (فهو بنيته) أي يؤجر على حسبها (فأجرهما سواء) أي فأجر من عقد عزمه على أنه لو كان له مال أنفق منه في الخير وأجر من له مال ينفق منه سواء ويكون أجر العلم زيادة له (يخبط في ماله) بكسر الباء جملة حالية أو استئناف بيان أي يصرفه." (٣)

"ﷺ٤٧٤٣٨ƒتربيه وتعليمﷻطيف الخيال في مناظره **العلم والمال**Ⓔ**محمد** مؤمن بن محمد قاسم بن ناصر، الشيرازي﵁الشيرازي﵁الجزائري٢١١١٨هـ$١٢هـ١٨«المكتب الهندي (ضمن المتحف البريطاني) µانجلترا¶لندن»١١١٣٨«مانشسترµانجلترا¶مانشستر»٦٧٥١٨«دار الكتب

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٤٤٩

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب الدَّيْلَمي ٣/٧١

(٣) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٦/٥٠٧

المصريهµمصر¶القاهره»٣/٢٤٧ ٢٨ «طهرانµايران¶طهران»٢/٢٩٠ ٢٨ «عليكرهµالهند¶عليكره»٤/١٢٧ ٢٨ «المكتبه الآصفيهµالهند¶حيدرآباد»٣/٦٤٠/٢٤٨-٢٤٩." (١)

"٤٧٤٤٠ ƒتربيه وتعليمﷻسفينه العلمﷺشرح طيف الخيال في مناظره **العلم والمال**Œ**محمد** مؤمن بن محمد قاسم بن ناصر، الشيرازيﷻالشيرازيﷻالجزائري٢١١١٨هـ$١٢هـ٢٨ «خدابخشµالهند¶بتنه»٢٣/١٠٨/٢٥٩٧." (٢)

"فتح الله عليه باب فقر أو قال: (كلمة نحوها) في إفادة ذلك (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) ظاهر أنه مزيد على الثلاث ولعله استطرد مما أقسم عليه من الخصال إلى ذلك لمناسبة بينه وبين ما انتقل عنه، إذ كل فيه ترغيب في إنفاق المال في التقرب إلى الله وتحذير من الحرص على جمع المال، ويحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام أبي كبشة لما حدثهم بما تقدم، ذكر هذا الحديث بجامع ما ذكرناه فذكره وقال: هذه الجملة قبله ليقبلوا عليه، ويؤيد هذا قوله: (قال) أي النبي (إنما الدنيا لأربعة نفر) بفتح أوليه هو لغة ما بين الثلاثة إلى العشرة، وهو هنا تمييز أربعة وجاز مع أن تمييزها لا يكون إلا جمعا كسبع ليال وثمانية أيام اعتبارا بالمعنى لأنه كذلك البعد (عبد) يجوز فيه وفي أمثاله من مفصل لمجمل استوفى العدة الجر على الإبدال مما قبله بدل كل من كل بتقدير سبق العطف على الإبدال، والقطع بالرفع بإضمار مبتدأ محذوف وجوبا، وبالنصب بإضمار نحو أعني محذوف كذلك (رزقه الله مالا وعلما) فيه أن العلم من الرزق (فهو يتقي فيه ربه) أي لا يصرفه في معصية بل يجتنب ما لا يرضيه (ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا) سواء كان ذلك واجبا عينيا من زكاة أو كفارة لمقتضاها أو نذر، أو كفائيا ككفاية مضطر من جائع بسد جوعته وعار بكسوته، أو مندوبا كالتقرب إلى الله سبحانه بأنواع الطاعات المالية (فهذا بأفضل المنازل) من الجنة لأنه علم وعمل وأدى الواجب والمندوب واجتنب الحرام والمحظور، وعلمه هداه إلى الإخلاص فيذلك وجعل معاملته في ذلك مع الله سبحانه (وعبد رزقه الله علما) أي بالأحكام المتعلقة بالمال من حيث جمعه وإنفاقه وما يتعلق بذلك، ويحتمل أن يراد ما يعم علم ذلك وغيره، ويؤيده التنكير إذ الأصل فيه التعميم (ولم يرزقه مالا فهو) لعلمه النافع له (صادق النية) أي القصد في طلب ثواب الله فيعزم على العمل المالي لو قدر عليه ليثاب به (يقول) ناويا لذلك (لو أن لي مالا لعملت) أي فيه (بعمل فلان) الجامع بين **المال والعلم** من طلب ما رضي الله به (فهو نيته) قال العاقولي مبتدأ وخبر أي فهو سني النية وبها أجره. قلت: يجوز أن يكون نيته مبتدأ وخبره محذوف: أي ألحقته بمن قبله، وبالجملة خبر هو يدل على ذلك قوله: (فأجرهما سواء) أي من حيث النية وصحة القصد. ويزيد ذلك بثواب نفقة المال التي زاد على صاحبه (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما) (يعرف به وجوه." (٣)

"التشدق في الكلام.أما المتفيهقون فقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمتكبرين، المتكبر الذي يتكبر على الناس ويتفيهق، وإذا قام يمشي كأنه يمشي على روق من تكبره وغطرسته، فإن هذا لا شك خلق ذميم، ويجب على الإنسان أن يحذر منه؛ لأن الإنسان بشر فينبغي أن يعرف قدر نفسه، حتى لو أنعم الله عليه بمال، أو أنعم الله عليه بعلم، أو أنعم الله

---

(١) خزانة التراث - فهرس مخطوطات - ٤٨/٤٤٠

(٢) خزانة التراث - فهرس مخطوطات - ٤٨/٤٤٢

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٤/٥٤٠

عليه بجاه، فينبغي أن يتواضع، وتواضع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم **بالمال والعلم** والجاه افضل من تواضع غيرهم، ممن لا يكون كذلك.ولهذا جاء في الحديث من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: (عائل مستكبر) لأن العائل لا داعي لاستكباره، والعائل هو الفقير، فهؤلاء الذين من الله عليهم **بالعلم والمال** والجاه كلما تواضعوا؛ صاروا أفضل ممن تواضع من غيرهم الذين لم يمن الله عليهم بذلك.فينبغي لكل من أعطاه الله نعمة أن يزداد شكرا لله، وتواضعا للحق وتواضعا للخلق، وفقني الله وإياكم لأحاسن الأخلاق والأعمال، وجنبنا وإياكم سيئات الأخلاق والأعمال إنه جواد كريم.." (١)

"نأكلها لو شاء الله تعالى لم نقدر عليها إما لعسر فينا وإما لفقد لهذه النعم قال الله تعالى ﴿أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾ .فالمهم أن علينا أن نشكر نعمة الله ويكون الشكر من جنس النعمة فتبذل من **العلم والمال** بحسب ما أعطاك الله عز وجل الصحة أنت أعطاك الله صحة ونشاطا واحتاج إخوانك إلى المساعدة والمعاونة فمن شكر النعمة أن تعينهم والله الموفق.قال الله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ وقال تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وقال تعالى ﴿وقل الحمد لله﴾ وقال تعالى ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾قال المؤلف النووي – رحمه الله – في كتابه رياض الصالحين باب حمد الله وشكره وقد سبق الكلام على هذا ولكننا لم نتكلم على الآية الأولى وهي قوله تبارك وتعالى ﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾." (٢)

"أنه سيؤثر عليهم، والمؤثر يجب أن يكون من غيرهم؛ ألا ترى قوله: (فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله) فعرفهم أن ذلك حالهم إلى انقضاء الزمان. وفى حديث جبير استعمال حسن الأخلاق والحلم لجهل الناس والأعراب وقلة ردهم بالخيبة. وفيه: سنة الأمراء أن يسكنوا عن رد السائل، ويتركوه تحت الرجاء ولا يؤيسوه ويوحشوه. وفيه: مدح الرجل نفسه إذا ألحف عليه فى المسألة فى **المال والعلم** وغيره. وفيه: أن النبى (صلى الله عليه وسلم) مدح نفسه بالجود العظيم، ووصف نفسه بالشجاعة والبأس الذى بسببه كانت الأعراب تسأله، ووصف نفسه بالصدق فيما يعد به من العطايا. وفيه: أنه من أخلف وعد الله جاز أن يسمى: كاذبا، وقد قال تعالى: (إنه كان صادق الوعد (. وقال ابن المنذر: فى حديث جبير دليل على أن الإمام بالخيار إن شاء قسم الغنائم بين أهلها قبل أن يرجع إلى بلاد الإسلام، وإن شاء أخر ذلك، على قدر فراغه وشغله إلى وقت خروجه، وعلى قدر ما يرى من الصلاح فيه. وقال المهلب: فى حديث الذى جبذ النبى معنى ما تقدم من صبر السلاطين والعلماء لجهال السؤال واستعمال الحلم لهم، والصبر على أذاهم فى المال والنفس.." (٣)

"قال أبو الحسن على بن أبى طالب: المفتاح يدل على السلطان وعلى **المال والعلم** والحكمة والصلاح، فإن كان مفتاح الجنة نال سلطانا عظيما فى الدينأو علما كثيرا من أعمال البر أو وجد كنزا أو مالا حلالا ميراثا، وإن كان مفتاح

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٥٧٢/٣

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٤٥٩/٥

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٣٢١/٥

الكعبة حجب سلطانا أو أماما، ثم على نحو هذا فى سائر المفاتيح وجواهرها، وقال الكرمانى: قد يكون المفتاح إذا فتح به بابا دعاء يستجاب له.- باب عمود الفسطاط تحت وسادته ودخول الجنة فى المنام/ ٢٠ - فيه: ابن عمر، رأيت فى المنام كأن فى يدى سرقة من حرير لا أهوى بها إلى مكان فى الجنة إلا طارت بى إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فقال: (إن أخاك رجل صالح) . قال المهلب: السرقة الكلة وهى كالهودج عند العرب وكون عمودها فى يد عمر دليل على الإسلام وطنبها الدين والعلم بالشريعة الذى به يرزق التمكن من الجنة حيث شاء، وقد يعبر هنا بالحرير عن شرف الدين والعلم؛ لأن الحرير أشرف ملابس الدنيا، فكذلك العلم بالدين اشرف العلوم، ودخول الجنة فى المنام يدل على دخولها فى اليقظة؛ لأن من بعض وجوه الرؤيا وجها يكون فى اليقظة كما يرى نصا، وقد يكون دخول الجنة أيضا دخول الإسلام الذى هو سبب الجنة، فمن دخله دخل الجنة كما قال تعالى: (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتي) وطيران الشرقة: قوة يرزقه الله على التمكن من الجنة حيث شاء كما فى الخبر عن جعفر بن أبى طالب أنه أكرمه الله بأن جعل قوة على الطيران فى الجنة، وفى خبر آخر: (إنما نسمه المؤمن طائر يعلق من شجر الجنة) .." (١)

"معرفة الله عز وجل وصلة الرحم من ثمرات العلمفقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الدنيا -فيه إشارة إلى هذا المعنى الذي جليناه- لأربعة نفر) فكلنا واحد من هؤلاء الأربعة، وليس هناك واحد منا يخرج أبدا عن هؤلاء الأربعة.الأول: رجل آتاه الله **العلم والمال**، فثمرة العلم أنه يعرف لله فيه حقه، ويصل به رحمه، فالعلم هو الذي عمل هذا كله، بدليل أن الرجل الثاني الذي عنده مال فقط وهو جاهل قال عنه عليه الصلاة والسلام: (فهو يخبط بماله لا يرعى لله فيه حقه) .فالرجل الذي عنده **العلم والمال** استطاع أن يوظف المال بالعلم، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن أو الحكمة أو العلم فهو يعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) لا حسد، الحسد هنا: الغبطة، أن تتمنى لنفسك ما لأخيك، بغير أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك؛ لأن العبد إذا حسد الحسد المذموم فإن الضرر يعود إليه، إذ: ﴿لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر:٤٣] .فمعنى لا حسد: أي لا غبطة، وإن كان القصد لا حسد أي: الحسد المذموم.(رجل آتاه الله علما أو قرآنا فهو يعلمه الناس، ورجل آتاه الله مالا -فجعل المال تابعا للعلم- فسلطه على هلكته في الحق) وانظر هنا إلى تعبير الحديث، سلط المال على هلكته، يعني أهلك المال بسرعة، وليس ينفق ببطء، وإنما يهلك المال، ووضع القيد وهو أنه لا يكون إلا بالعلم، يعني لو أنك جئت في رمضان فعملت موائد إفطار، وتقول: أنا شرطي أن هؤلاء الجماعة يأكلون مثل أكلي أنا في البيت، وتشرف على هذه الموائد، وتتأكد أنها على ما يرام، وتهلك مالك في هذا الشرط، والله طيب لا يقبل إلا طيبا.فهذا الخير لا يكون إلا بفضل العلم، فالرجل الأول آتاه الله علما ومالا، فعرف كيف يوظف ماله بالعلم الذي عنده، والرجل الثاني: آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول: لو أن لي مثل فلان، فأعانه العلم على تصحيح نيته، والرجل الثالث: آتاه الله مالا، ولم يؤته علما فهو يخبط فيه خبط عشواء، فهذا لم يستطع أن يوظف ماله؛ لأنه جاهل، والرجل الرابع: جاهل ولا مال له، فهذا خسر الدنيا والآخرة بنيته الخبيثة.وهذه قصة فيها أن الجاهل لا يميز بين الطيب والخبيث: أن رجلا -مثل الذي يسمع الكلمة ويأخذ بشرها-

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٥٣٦/٩

جاء إلى راعي غنم، وقال: يا راعي الغنم أعطني شاة، فقال صاحب الغنم لهذا الرجل: انزل وخذ لك أسمن شاه فدخل فأخذ بأذن كلب الغنم وقال: هذه أسمن شاة.فقال عليه الصلاة والسلام: (فهو يقول: لو أن لي كفلان لعملت بعمله فهو ونيته) هو ونيته: معناه قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) .فهو ونيته: إن كانت لله ورسوله فهي لله ولرسوله، وإن كانت للدنيا فهي للدنيا،.(فهما في الأجر سواء) إذا: كيف يكونان في الأجر سواء، ولم يستويا في العطاء؟ فالرجل الأول تعدى خيره بخصلتين: عنده علم وعنده مال، والرجل الثاني تعدى خيره إلى الناس بخصلة واحدة، وهي نيته، فكيف يستويان؟ قال العلماء: قوله عليه الصلاة والسلام: (فهما في الأجر سواء) يعني قريبا من السواء، أتينا بمثال تقريبي لهذا الحديث، فهذا أبو حاتم الرازي رحمه الله قال له ابنه: إنك تقول على الراوي مرة: ثقة، وتقول مرة: لا بأس به، فقال له: من قلت فيه: لا بأس به فهو ثقة، إذا ما هو الفرق، لماذا لا تقول: ثقة فقط؟ يعني مثلا في التقديرات الجامعية عندنا الامتياز، عندنا جيد جدا، وجيد، ومقبول، وضعيف، وعندنا راسب، فالمائة بالمائة امتياز، والتسعين بالمائة امتياز وهل يستويان؟ لا يستويان، لكنهما في نفس التقدير، فهذا القول الأول.والقول الثاني وهو الأصح: هما في الأجر سواء، والرجل الثاني ما امتنع عن الإنفاق باختياره حتى يؤاخذه الله عز وجل بما كسبت يمينه، هو فقير، وهذا ليس باختياره، والله يعامل هذه الأمة بالفضل، وليس بالعدل، فمناسب لتمام فضله وكرمه وتفضله على عباده أن يرفع الرجل بغير كسب منه، تفضلا منه على عبده.والإمام البخاري رحمه الله التقط هذا المعنى في باب من أبواب الصحيح سماه: باب من أدرك من العصر ركعة، أي: قبل أن تغرب الشمس، وروى فيه حديث أبي هريرة الصريح في المسألة: (من أدرك ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك الصلاة) ثم ذكر بعد ذلك حديثا لـ أبي موسى الأشعري، وحديثا لـ عبد الله بن عمر والحديثان فحواهما واحدة، يقول الحديث: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس) .مثال ذلك: رجل صاحب عمل استأجر أجراء يعملون له من أول النهار إلى آخر النهار بمبلغ معين، كأن يعملوا من الصبح إلى المغرب بعشرين جنيها فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا وقالوا: لا حاجة لنا في هذه الأجرة، فقال لهم: يا جماعة أنا اشترطت في البداية أن تعملوا من الصبح إلى الليل، وإذا أكملتم أعطيتكم الأجر، قالوا: لا حاجة لنا في هذه الأجرة، فقال: ننظر آخرين! فاستأجر أجراء فقالوا لهم: تعملون من الظهر إلى المغرب بعشرين جنيها، فعملوا من الظهر إلى العصر وعجزوا، فاستأجر أجراء من العصر إلى المغرب وقال لهم: بأربعين جنيها، فلما قال لهم: بأربعين جنيها، اعترض العمال السابقون وقالوا له: ماذا تصنع؟ نحن كنا أكثر عملا منهم، وهم أكثر أجرا منا! فقال كما في الرواية الثانية من حديث ابن عمر قال: (أعطاهم قيراطا قيراطا وأعطانا قيراطين قيراطين) وفي رواية أخرى قال: (فعجزوا وقالوا: لا حاجة لنا في هذه) .والجمع بين الحديثين: أنهم لما عجزوا وقالوا: لا حاجة لنا في أجرك، أمر الله عز وجل بإعطاء أهل التوراة أجرهم قيراطا، وأعطى أهل الإنجيل أجرهم قيراطا، وأعطى المسلمين أجرهم قيراطين، فضل الله يؤتيه من يشاء.وبهذا نكون قد جمعنا بين الحديثين ولا تناقض، ففي الحديث الأول أعطاهم قيراطا قيراطا، والحديث الثاني قال: فعجزوا وقالوا: لا حاجة لنا في أجرك.المهم فلما أخذ كل واحد منهم أجره، جاء السابقون فقالوا: (أي ربنا! نحن أكثر عملا منهم وهم أكثر أجرا منا! قال: هل ظلمتكم من أجوركم شيئا؟ قالوا: لا.قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء) مالي أعطيه من أشاء من عبيدي

وأنا ما ظلمتكم.فلماذا وضع الإمام البخاري هذين الحديثين، وما علاقة هذين الحديثين بباب من أدرك ركعة من العصر؟ فلو أن هناك شخصا يصلي العصر ولم يبق على أذان المغرب إلا دقيقة واحدة، فأدرك ركعة من العصر وأذن المغرب بعد أن أتم ركعة واحدة، إذا سيصلي ثلاث ركعات في غير الوقت، فالعدل أن يثاب على ركعة، وثلاث يذهبن عليه، لكن الله عامله بالفضل، فوهب له الثلاث التي وقعت في غير الوقت بركعة وقعت في الوقت، إذا عامله بالفضل أم لا؟ نعم.عامله بالفضل، فـ البخاري رحمه الله بعد أن ذكر دليل المسألة، ذكر الحديثين من باب التعليل.أن الله إنما عاملنا بفضله تبارك وتعالى قال: (فذلك فضلي أوتيه من أشاء) .وفي هذا دليل على أن الإنسان يسعى في الشر بسرعة الريح كما في الحديث: (فهو يخبط في ماله لا يرعى لله فيه حقه، ولا يصل به رحمه) ، فهذا بأخبث المنازل، فالذين لم يستضيئوا بنور العلم كما قال القائل: لم يحصل على دنيا ولا على آخرة.." (١)

"٢٨٦٠ - (ألا أخبركم عن الأجود) أي الأكرم والأسمح قالوا: بلى أخبرنا قالأ: (الله الأجود الأجود وأنا أجود ولد آدم) لأنه بث علوم الشريعة مع البيان والتعليم وأرشد السالكين إلى الصراط المستقيم وما سئل في شيء قط وقال لا وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر (وأجودهم من بعدي رجل علم علما) من علوم الشرع (فنشر علمه) أي بثه لمستحقيه ولم يبخل به (يبعث يوم القيامة أمة وحده) قال في الفردوس: الأمة ههنا هو الرجل الواحد المعلم للخير المنفرد به (ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى يقتل) أو ينتصر. قال ابن رجب: دل هذا على أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أجود - [١٠٤]- الآدميين على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم(ع عن أنس) قال المنذري: ضعيف وقال الهيثمي وغيره: فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك الحديث اه. وأخرجه ابن حبان عن مكحول عن محمد بن هاشم عن سويد بن عبد العزيز عن نوح بن ذكوان عن أخيه عن الحسن عن أنس بلفظ ألا أخبركم بأجود الأجودين قالوا: بلى قال: فإن الله تعالى أجود الأجودين وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه فيبعث يوم القيامة أمة وحده كما يبعث النبي صلى الله عليه وسلم أمة وحده اه. وأورده الجوزي من حديث ابن حبان هذا ثم حكم بوضعه وقال: قال ابن حبان: منكر باطل وأيوب منكر الحديث وكذا نوح ولم يتعقبه المؤلف سوى بأن أبا يعلى أخرجه ولم يزد على ذلك." (٢)

"٣٤٥٠ - (ثلاث أقسم عليهن) أي أحلف على حقيقتهن (ما نقص مال عبد من صدقة) تصدق بها منه بل يبارك الله له فيه في الدنيا ما يجبر نقصه الحسي زيادة ويثيبه عليها في الآخرة (ولا ظلم عبد) بالبناء للمجهول (مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزا) في الدنيا والآخرة (ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) من حيث لا يحتسب (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) عني لعل الله أن ينفعكم به (إنما الدنيا لأربعة نفر) أي إنما حال أهلها حال أربعة: الأول (عبد رزقه الله مالا) من جهة حل (وعلما) من العلوم الشرعية النافعة في الدين (فهو يتقي فيه) أي في كل من المال

---

(١) شرح صحيح البخاري للحويني أبو إسحق الحويني ٢/٨

(٢) فيض القدير المناوي ٣/١٠٣

والعلم (ربه) بأن ينفق من المال في وجوه القرب ويعمل بما علمه من العلم ويعلمه لوجه الله تعالى لا لغرض آخر (ويصل فيه رحمه) أي في المال بالصلة منه وفي العلم بإسعافه بجاه العلم ونحو ذلك (ويعلم لله فيه حقا) من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس (فهذا) الإنسان القائم بذلك (بأفضل المنازل) عند الله تعالى لجمعه بين **المال والعلم** وجوزه لفضلهما في الدنيا والآخرة (و) الثاني (عبد رزقه الله علما) من العلوم الشرعية (ولم يرزقه مالا) يتصدق منه وينفق في وجوب القرب (فهو صادق النية يقول) فيما بينه وبين الله تعالى بصدق نية وصلاح طوية (لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان) أي الذي له مال ينفق منه في مرضاة الله ابتغاء لوجهه (فهو بنيته) أي يؤجر على حسبها ويعطى بقضيتها (فأجرهما سواء) أي فأجر علم هذا أو مال هذا سواء في المقدار أو فأجر عقد عزمه على أنه لو كان له من المال ما ينفق منه في الخير وأجر من له مال ينفق منه فيه سواء لأنه لو كان يملكه لفعل وعلى هذا فيكون أجر العلم زيادة له (و) الثالث (عبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما) أي من العلوم الشرعية وإن كان عنده من علم غيرها (يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه) أي لا يخافه فيه بأن لم يخرج ما فرض عليه من الزكاة (ولا يصل منه رحمه) أي قرابته (ولا يعلم لله فيه حقا) من إطعام جائع وكسوة عار وفك أسير وإعطاء في نائبة ونحو ذلك (فهذا) العامل على ذلك (بأخبث المنازل) عند الله أي أخسها وأحقرها عنده (و) الرابع (عبد لم يرزقه الله مالا ولا علما) ينتقع به (فهو يقول) بنية صادقة وعزيمة قوية (لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان) ممن أوتي مالا فعمل فيه صالحا (فهو بنيته) أي فيؤجر عليها ويجازي بحسبها (فوزرهما سواء) أي من رزق مالا فأنفق منه في وجوه القرب ومن علم الله منه أنه لو كان له مال لعمل فيه ذلك العمل فيكونان بمنزلة واحدة في الآخرة لا يفضل أحدهما على صاحبه من هذه الجهة(حم ت عن أبي كبشة) واسمه سعيد بن عمرو أو عمرو بن سعيد وقيل عمرو أو عامر بن سعيد صحابي نزل الشام (الأنماري) –[٣٠٠]– بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وآخره راء نسبة إلى أنمار." (١)

"٥٧٢٠ – (**العلم والمال** يستران كل عيب والجهل والفقر يكشفان كل عيب) أراد بالعلم الذي يستر كل عيب النافع الذي يصحبه العمل قال ابن عطاء الله: مثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين أو خمسين سنة يتعلم ولا يعمل كمن قعد هذه المدة يتطهر ولم يصل صلاة واحدة إذ مقصود العلم العمل كما أن القصد بالطهارة وجود الصلاة ثم إن المال وإن كان يستر العيب لكن لا نسبة بينه وبين ستر العلم لأن ذلك أتم وأكمل وقلما يجتمع **العلم والمال** قال الماوردي: قيل لبعض الحكماء: لم لا يجتمع **العلم والمال** قال: لعزة الكمال(فر) من رواية الخليفة الرشيد عن أبيه عن جده عن علي بن عبد الله بن عباس (عن ابن عباس) وفي رجاله من هو متكلم فيه." (٢)

"الاقتصادي في التسعير والقيمة والعمل والأجور والملكية والعدالة الاجتماعية في الفقه الإسلامي، وغيرها من المسائل الاقتصادية، إلى جانب بحث عام عن الدولة ووظائفها. طبع الكتاب طبعته الأولى سنة "١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م" في دار الفكر.١٠– الطرق الحكمية في السياسة الشرعية:لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية "٧٥١هـ". طبع سنة "١٣١٧هـ" بمصر. ولابن القيم كتاب "أحكام أهل الذمة" فصل القول فيه في جميع أحكام غير

(١) فيض القدير المناوي ٢٩٩/٣

(٢) فيض القدير المناوي ٣٩١/٤

المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية تفصيلا شرعيا واضحا. طبع الكتاب بتقديم وتحقيق الدكتور صبحي الصالح في جزأين سنة ١٩٦١ بمطبعة جامعة دمشق.١١- معيد النعم ومبيد النقم:للشيخ القاضي تاج الدين عبد الوهاب السبكي "٧٧١هـ" من أجمع ما صنف في بيان واجبات المسئولين في جميع مرافق الدولة ومؤسساتها وإداراتها من رئيس الدولة ونوابه ووزرائه ورؤساء الدواوين، وكتاب السر، وأمراء الجيش، وأمراء الدولة والقضاة وعمال بيت المال والعلماء والمفتين والفقهاء. إلى السجان ورماة البندق، كما بين واجبات أصحاب الحرف وما يلحق بهذا، وجعل كتابه في مئة وثلاثة عشر مثالا كل مثال يمثل نوعا من أنواع الوظائف أو الأعمال الحرة. ويعد هذا الكتاب فريدا في بابه جامعا لكثير؛ مما لا نجده في غيره. طبع في جزء وسط بتحقيق محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمود أبو العيون سنة "١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م". بالقاهرة.١٢- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية:للعلامة الشيخ عبد الحي الكتاني تناول فيه الخلافة والوزارة، والأعمال." (١)

"٢٦٢- (٦٥) وعنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها)) روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان، وقال: قال الإمام أحمد في حديث أبي الدرداء: هذا متن مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح.ـــــــجماعة، ومنه قول الشاعر:١- ليس من الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد٢٦٢- قوله: (منهومان) تثنية منهوم من النهم بفتحتين، الولوع بالشيء وإفراط الشهوة في الطعام، والمنهوم شديد الشهوة، المنكب على الشيء لحيازته، المولع به، يعني حريصان على تحصيل أقصى غايات مطلوبيهما. (لايشبعان) أي لا يقنعان (منهوم في العلم لا يشبع منه) ؛ لأنه في طلب الزيادة دائما وليس له نهاية (ومنهوم في الدنيا) أي في تحصيل مالها وجاهها (لا يشبع منها) فإنه كالمريض المستسقى. قال بعضهم: ما استكثر أحد من شيء إلا مله، وثقل عليه، إلا العلم والمال فإنه كلما زاد اشتهى. (روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان) أما حديث أبي الدرداء فأخرجه أيضا الشيرازي في الألقاب، وابن حبان في الضعفاء، وأبوبكر في الغيلانيات، والسلفي، وابن النجار. وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة: معاذ بن جبل، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد، وعلي، وأبي مسعود، وأبي أمامة، وابن مسعود، وابن عمر، وجابر بن سمرة بروايات متنوعة، ذكر أحاديثهم علي المتقي في كنز العمال (ج٥:ص٢٢١) ، وأما حديث أنس: ((هل تدرون من أجود جودا؟)) فأخرجه أيضا أبويعلى، وفيه سويد بن عبد العزيز، وهو متروك الحديث. وأخرجه أيضا ابن حبان بنحوه، وقال: منكر باطل. وأما حديثه الثاني: ((منهومان لا يشبعان)) . فأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولم أجد له علة. وأقره الذهبي، وأخرج أبوخيثمة في العلم، والطبراني في الأوسط والكبير، والبزار عن ابن عباس بنحوه، وفيه ليث بن سليم، وهو ضعيف. (وقال) أي البيهقي (قال الإمام أحمد في حديث أبي الدرداء) وهو "من حفظ على أمتي" يعني في شأنه. (فيما بين الناس) أي المحدثين وغيرهم (وليس له إسناد صحيح) ، وقال النووي: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه. وقال الحافظ في التلخيص (ص٢٦٩) : حديث "من حفظ على أمتي أربعين حديثا" روي عن ثلاثة عشر من الصحابة، أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية، وبين ضعفها كلها، وأفرد المنذري الكلام عليه في جزء مفرد، وقد لخصت القول فيه في المجلس

---

(١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر محمد عجاج الخطيب ص/٣٤٨

السادس عشر من الإملاء، ثم جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة- انتهى. قال بعضهم: الحكم عليه بالضعف إنما هو بالنظر لكل طريق على حدته، وأما بالنظر إلى مجموع طرقه فحسن لغيره، فيرتقي عن درجة الضعف إلى درجة الحسن، وأيضا قد اتفقوا على جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال، فتأمل.." (١)

"٥٢٨٧ - وعن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " «ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، فأما الذي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأما الذي أحدثكم فاحفظوه " فقال: " إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه، ويعمل لله فيه بحقه، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يتخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل فيه بحق، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته ووزرهما سواء» ". رواه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح.ـــــ٥٢٨٧ - (وعن أبي كبشة الأنماري) : قال المؤلف: هو عمرو بن سعيد نزل الشام، روى عنه سالم بن أبي الجعد، ونعيم بن زياد (أنه سمع رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - يقول: " ثلاث ") أي: من الخصال (" أقسم ") أي: أحلف (" عليهن، وأحدثكم ") : عطف على قوله " ثلاث " بحسب المعنى، فكأنه قال: أخبركم بثلاث أؤكدهن بالقسم عليهن، وأحدثكم (" حديثا ") أي: تحديثا عظيما أو بحديث آخر (" فاحفظوه ") أي: الأخير أو المجمع، ومما يدل على ما اخترناه من التقدير المذكور والتحرير المسطور قوله: (" فأما الذي أقسم عليهن ") أي: الذي أخبركم بثلاث وأحلف عليهن، هو هذا الذي أبينه (" فإنه ") أي: الشأن (" ما نقص مال عبد ") أي: بركته (" من صدقة ") أي: من أجل إعطاء صدقة لأنها مخلوفة معوضة كمية أو كيفية في الدار الدنيوية والأخروية. قال تعالى جل جلاله: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ [سبأ: ٣٩] (" ولا ظلم عبد ") : بصيغة المجهول (" مظلمة ") : بفتح الميم وكسر اللام اسم ما أخذه الظالم ظلما، كذا ذكره ابن الملك.وفي القاموس: المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل، والظاهر أنه هنا مصدر بمعنى المفعول صفته قوله: (" صبر ") أي: العبد (" عليها ") أي: على تلك المظلمة ولو كان متضمنا لنوع عن المذلة (" إلا زاده الله بها عزا ") أي: عنده تعالى، كما أنه يزيد للظالم عنده ذلا بها أو يزيده الله بها عزا له في الدنيا معاقبة، كما يحصل للظالم ذل بها ولو بعد حين من المدة، بل ربما ينقلب الأمر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقا، (" ولا فتح عبد ") أي: على نفسه (" باب مسألة ") أي: باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة، بل لقصد غنى وزيادة (" إلا فتح الله عليه باب فقر ") أي: باب احتياج آخر وهلم جرا، أو بأن سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة، كما هو مشاهد في أصحاب التهمة، ومثل حاله بالحمار الذي ليس له الذنب، وهو دائر في الطلب، فدخل في بستان حريصا عليه فقطع الحارث أذنيه، وشبه أيضا بكلب في فمه عظم، ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف، ففتح الكلب فمه حرصا على أخذ ما في قعر الماء فوقع ما في فمه من العظم في الماء، فالحرص شؤم

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١/ ٣٥٠

والحريص محروم، هذا وقال الطيبي – رحمه الله – في قوله: فأما الذي أقسم عليهن أفرده وذكره باعتبار كون المذكور موعودا، وجمع المرجع إلى الموصول باعتبار الخصال المذكورات، وبه فسر قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد﴾ [البقرة: ١٧] في وجه أي: الجمع أو الفوج، وفي المصابيح: أما اللاتي أقسم عليهن وهو ظاهر، وليس المراد تحقيق الحلف، بل تأكيده تنويها فإن المدعي يثبت بذكر القسم تارة وأخرى بلفظ القسم، انتهى.والأظهر أن يقال: التقدير فأما قولي الذي أقسم فيه على الخصال الثلاث، وأؤكده فإنه إلى آخره. (" وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه " فقال: " إنما الدنيا ") : هو تفسير وبيان، بل قال جملة معترضة للتأكيد، والتقدير: فإنما الدنيا، ويؤيده أنه ليس في الجامع لفظ فقال: بل فيه: إنما الدنيا (لأربعة نفر) أي: كل واحد عبارة عن جمع وصنف (" عبد ") : بالجر ويرفع (" رزقه الله مالا وعلما ") فيه إيماء إلى أن العلم رزق أيضا، وأن الله تعالى هو الذي يرزق **العلم والمال**، وبتوفيقه وفتحه يفتح باب الكمال، وقد ورد في حديث: «إن علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه» ، فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ٣] ثم فيه إشعار بأن المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال (" فهو يتقي فيه ") أي: في المال (" ربه ") بأن لا يصرف ماله في معصية خالقه (" ويصل رحمه ") أي: بالمواساة إلى أقاربه (ويعمل لله فيه) أي: في العلم (" بحقه ")." (١)

"أي: قياما بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده، ففيه لف ونشر مرتب، ويؤيده لفظ الجامع: ويعلم لله فيه حقا، ويمكن رجوع كل من الضميرين إلى كل من **المال والعلم**، وأفرده باعتبار ما ذكر. وقال ابن الملك أي: بحق المال، والمعنى يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة وإطعام الضيف، ويجوز كون الضمير لله أي: بحق الله الواجب في المال (" فهذا ") أي: العبد الموصوف بما ذكر (" بأفضل المنازل ") أي: في أكمل مراتب الشمائل في الدنيا أو في أعلى الدرجات في العقبى (" وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية ") أي: ظاهره مطابق لما في الطوية (" يقول ") أي: بلسان المقال أو بلسان الحال (" لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان ") أي: من أهل الخير (" فأجرهما سواء ") . وهو استئناف بيان أو حال (" وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يتخبط ") : بكسر الخاء بدون فهو، فهو حال أو استئناف بيان، والمعنى يقوم ويقعد بالجمع والمنع (" في ماله ") : أو يختلف في حاله باعتبار الإنفاق والإمساك في ماله (" بغير علم ") أي: بغير استعمال علم بأن يمسك تارة حرصا وحبا للدنيا، وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء، (" لا يتقي فيه ربه ") أي: لعدم علمه في أخذه وصرفه (" ولا يصل فيه رحمه ") ، أي: لقلة رحمته وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله (" ولا يعمل فيه بحق ") أي: بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده، ولفظ الجامع: ولا يعلم لله فيه حقا (" فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان ") أي: من أهل الشر (" فهو نيته ") أي: فهو مغلوب نيته، ومحكوم طويته، أو الحمل بطريق المبالغة، فكأنه عين نيته كرجل عدل. وفي نسخة: فهو بنيته، وكذا في الجامع أي: مجزى بها ومعاقب عليها، ولما كان الظاهر أن إثمه بمجرد نيته دون إثم العامل المشتمل عمله على النية والمباشرة أكد الوعيد وشدد التهديد بقوله: (" ووزرهما سواء ") : ولفظ الجامع: فوزرهما سواء.قال الطيبي – رحمه الله –: فهو نيته مبتدأ وخبر، أي: يسيء النية يدل عليه وقوعه في مقابلة قوله: فهو صادق النية في القرينة الأولى، وقوله: يقول

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٣٠٨/٨

لو أن لي مالا إلى آخره، تفسير لقوله: صادق النية. وقوله: فهو يقول لو أن لي مالا إلى آخره مقابل قوله: فأجرهما سواء. وقوله: ووزرهما سواء متقابلان. قال ابن الملك: هذا الحديث لا ينافي خبر: " «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به» " لأنه عمل هنا بالقول اللساني، والمتجاوز عنه هو القول النفساني، انتهى. والمعتمد ما قاله العلماء المحققون: إن هذا إذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها، فإن عزم واستقر يكتب معصية، وإن لم يعمل ولم يتكلم، وقد تقدم، والله تعالى أعلم. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح) .قال المنذري: حديث أبي كبشة رواه أحمد والترمذي واللفظ له. وقال: حسن صحيح، وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك. وفي الجامع: وكذا رواه أحمد في مسنده، وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، عن عبد الرحمن بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه: " «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى جل جلاله بها عزا، فاعفوا يزدكم الله عزا، ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر» ". فهذا يدل على أن الحديث الأول مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما حديثا واحدا، وما يدل عليه أن لفظ الجامع عن الأنماري: ثلاث أقسم عليهن إلى قوله: باب فقر. ثم قال: وأحدثكم حديثا فاحفظوه وإنما الدنيا إلخ. فالتفسيرات المحتاجة إلى التأويلات إنما هي من تصرفات بعض الرواة، والله تعالى أعلم.." (١)

"السكة الحديدية وكانوا مسافرين إلى المانيا – مصر ١٩٢١ ص ١٩١ ٢ – الكنز الثمين لعظماء المصريين – وهو مشحون برسوم وتراجم رجال المصريين الحديثيين – أسيوط ١٩١٩ فرح " (ميخائيل) افندي أحد مدرسي مدرسة الامر كان بمصر الاسلوب الجديد في ملخص تاريخ مصر – مصر.. (الدكتور) فرج الله حبيب صحة الاسنان – وهو في وقاية الاسنان ومعالجتها مصر ١٩٠٦ م

فرج صفير * صفير " جرجس " فرح أنطون (١٩٢٣) منشئ مجلة الجامعة وأحد نجباء الكتاب ١ – ابن رشد وفلسفته – مذيل بردود الشيخ محمد عبده على الجامعة في ست مقالات وأجوبة الجامعة في ست مقالات – الاسكندرية ١٩٠٣ ص ٢٢٧ ٢ – أوشليم الجديدة – أو فتح العرب بيت المقدس والرجل الريض والاسرائيلية الجميلة فيها – رواية تاريخية فلسفية اسكندرية ١٩٠٤ ص ١٧٦ ٣ – تاريخ المسيح – معرب عن ارنست رنان اسكندرية ١٩٠٤ ٤ – الدين **والعلم والمال** – المدن الثلاث – فلسفي اجتماعي اسكندرية ١٩٠٣ ص ٥٠." (٢)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٣٠٩/٨

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة اليان سركيس ١٤٤٠/٢